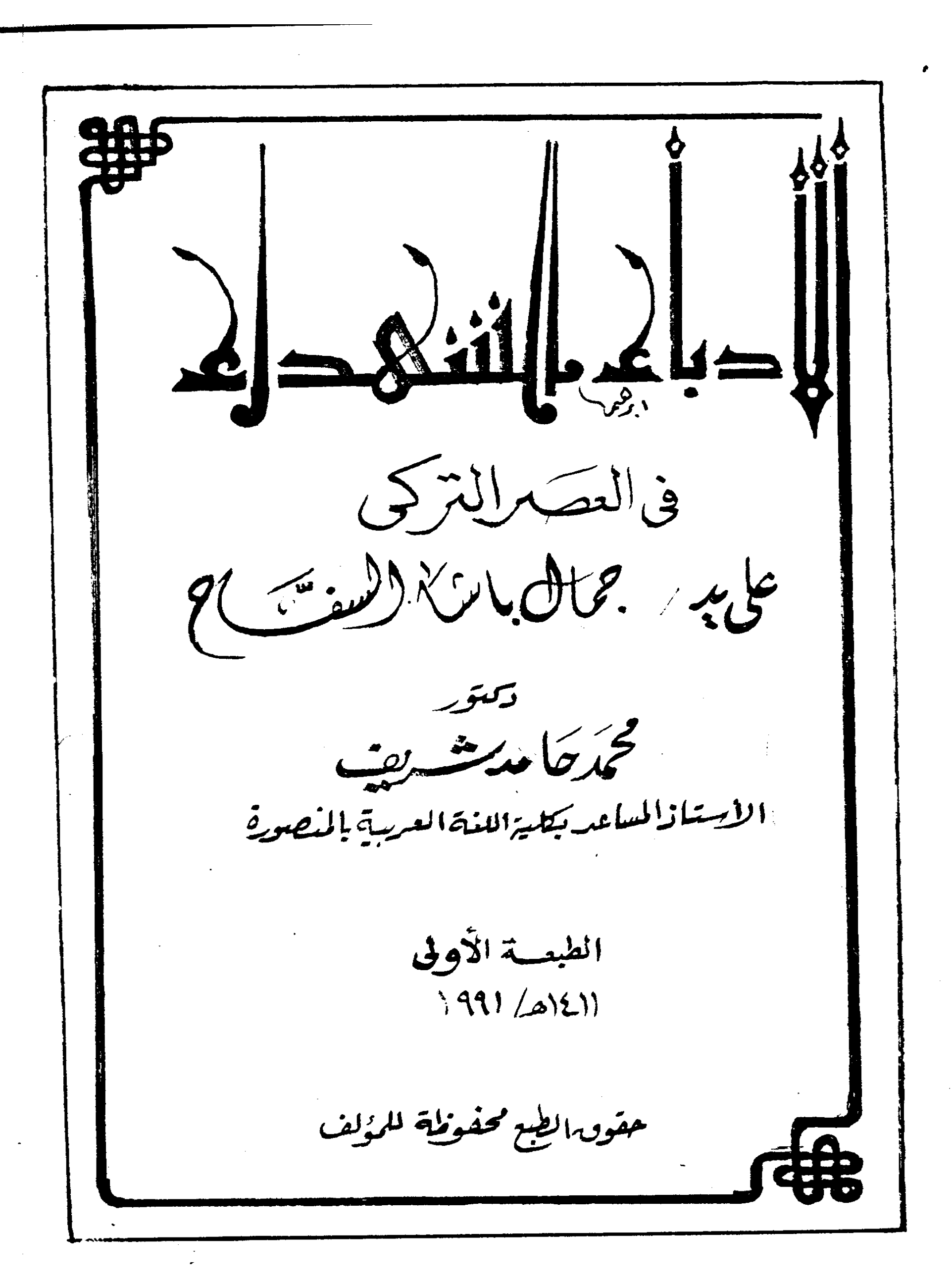


الأدباء الشهداء
في العصر التركي
على يد جمال باشا السفاح
دكتور
محمد حامد شريف
الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية بالمنصورة
الطبعة الأولى
١٤١١هـ/ ١٩٩١
حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

"ولاتَحْسَبنَّ الذَّينَ قُتِلوا فى سَبيلِ اللّه أمواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِندَ ربِّهِم يُرزَقُون. فَرحينَ بما آتاهم اللّه مِن فَضْلِه - ويَسْتَبْشِرُونَ بالذّين لم يَلْحَقوا بِهِم مِنْ خَلْفِهم أَلاَّ خَوْفٌ عليْهِمْ ولاهُمْ يَحْزَنُونَ . يَسْتَبْشِرُونَ بنعمةٍ من اللهِ وفَضْلٍ وأنَّ اللّه لايُضِيعُ أجْرَ الْمُؤمِنين ".[1]

(١) سورة آل عمران آية ١٦٩-١٧١ . وقد اشتملت الآيات على "عشرة" أوسمة للشهيد.!

" بسم الله الرحمن الرحيم"

مقدمــــة

" الحـمـدُ لله الـذى هدَانا لهـذا ، ومـا كنّا لنهـتـدى لولا أن هَدانا اللّه،
والصلاة والسلام على سيدنـا محمـد وعلي آلـه وصحبـه أجمعين . وبعـد:

فمن الطبعّى أن يجد موضوع الاستعمار الذى اقتحم حياة العرب عشرات السنين صداه البالغ فى الأدب الحديث ، ويصبح من أبرز جوانبه القوميّه.

ورغم أن العـهـد العثـمـانى لا يختلف كثيرا- فيما جرّه على العرب من شرور - عن عهود الاستعمار، فإنّ ثمّة فارقاً أيديولوجيا بينهما لا يمكن إغفاله، ففى حين كان الحكم العثمانى يقوم علي التسوية بين جميع القوميّات التى تتألف منها الدولة، كان الغزو الإستعمارى يرتكز إلى فلسفة غريبة تبرز سياسة العدوان وتحل اعتداء القوىّ على الضعيف ، وتزعم لنفسها حق تمدين الشعوب المستضعفة ، ولو اقتضى الأمر اللجوء إلى الحديد والنار (١)

وكذلك يختلف الحكم العثماني عن الإستعمار من وجه آخر هو : أن الأتراك مسلمون ، وقد دافعوا عن الديار الإسلامية ، وانطلقت الغزوات نحو أوربا الشرقيـة تحت ظل الخلافة الإسلاميـة.- ولعل من مظاهر الطابع الدينّى الذى اتّسمت به الدولة العثمانية حينذاك : التطبيق الصارم للشريعة الإسلامية ، وإنشاء العديد من المساجد الكبرى، والمحافظة على التقاليد الإسلامية، فلم تكن تسمح- مثلا- بانتهاك حرمة شهر رمضان حتى من غير المسلمين، وإلاّ نال العقوبة الصارمة.

وكذلك رأت أن تنظيم الحج والإشراف على" الحرمين الشريفين" واجب مقدس على الدّولة ، كما شجّعت التصوّف بين العثمانيين.....الخ - كما كان من أبرز ألقاب السلطان العثمانى:" خـادم الحرمين الشريفين" " وخليفة المسلمين" (٢).

---

(١) الاتجاه القومى فى الشعر العربى الحديث - د. عمر دقّاق ص ٣٠٣.

(٢) راجع الدولة العثمانية دولة مفترى عليها د. عبد العزيز الشناوى ص ٥٦-٦٦.

لهذا كله صوّر لنا الأدب العربى كثيرا من مظاهر تعاطف العرب مع الدولة العثمانية. إلا أنه مما أخذ عليها: أنها كانت دولة ذات حكم مطلق ظلّت تنهجه حتى النهاية!.

ومما زاد الطين بلّه : تولى الحاكم المستبدّ " أحمد جمال باشا" - الملقّب بالسفاح- أمر الشام، وقد امتدّت نفوذه العسكرية والإدارية، ،صلاحيّاته المطلقة من جنوب طرطوس شمالا حتى اليمن جنوبا. وقد تمّ في عهده مافاض به الكيل من مذابح ومشانق للأحرار، ولكل من تسوّل له نفسه بالاستقلال عن الدولة العثمانية.

من أجل ذلك : وجدنا تضارباً عجيبا فى النزعات الأدبية خلال تلك الحقبة !.

لقد أعدم جمال باشا " السفاح " نحو اثنين وثلاثين شهيدا فى يوم واحد هو السادس من أيار (مايو) من عامى ١٩١٥، ١٩١٦م.

وبدهيّ أنهم يمثّلون كافة طبقات المجتمع واتجاهاته الفكرية. وان لم يكونوا جميعا أدباء.

وقد وقفت على من وجدت له أثرا أدبيا، وبدهيّ أيضا لم يكن العثور علي تلك الآثار سهلا ميسورا، اللهم شذرات متفرقة هنا و هناك ، رأيت فى جمعها: ترسيخاً للروح الوطنية بين الأجيال ، ووفاءً لأرواح أولئك الشهداء ولعل هذا كان من وراء إختيارى لموضوع (الأدباء الشهداء).

وإنه لمن الخسارة أن تضيع هذه الآثار الأدبية أو أن يلتهمهما التراب كما التهم أصحابها وتلك دعوة من الأعماق أوجهّها إلى الأدباء الأحياء في كل مكان[1]

---

(١) فالأدباء والعرب أولى بالوفاء من حكام (فرنسا) التى أهدت النياشين إلى هؤلاء الشهداء ، وتسلّمها ذووهم ، وهى من درجة " كومندوز" لبعضهم ، ومن درجة " أوفيسية " لبعضهم ، (راجع : المقتطف ص ٥١٨ جـ /٥ مجلد ٥٤ فى ١/٥/١٩١٩م).

وإذا كان الجودُ بالنَّفس أقصى غاية الجود على حدِّ قول القائل :

يجودُ بالنَّفس إن ضَنَّ الجوادُ بها ... والجودُ بالنَّفس أقصى غايةِ الجودِ

فمن الطبعيّ أن يهزَّ سقوط الشهداء وجدان الأمة ، وأن يلهب قرائح الشعراء، ومن هنا كان صدى إعدامهم في الشعر واضحًا ، ذلك الشعر الثائر الذى يحض على الانتفاضة ضد الحكم التركى ، وقد بثوا ذلك خلال رثائهم وتفجعهم على الشهداء.

- وتبعًا لارتباط الأدب بواقع الأمة العربية فإن جانبًا من شعر الرثاء حينئذ أخذ يشكل ظاهرة قومية بارزة فى الشعر الحديث.

وإننى لأشكر كل من ساعدنى من أبناء بيروت ودمشق الذين راسلونى أو التقيت بهم.

- على أننى أغفلتَ كثيرًا من الشهداء لعدم تركهم آثارا أدبية أستطيع أن أعرض حياتهم فى ضوئها ، أو لم أستطع العثور عليها - رغم مابذلته من جهد - ولذلك فإن القلم ليشرئب متطلعا إلى عودة - فى بحث قادم - ليشمل إخوانهم الشهداء فى كل الأقطار العربية، راجياً أن أكون قد قدَّمت فائدة جليلة لتاريخ أدبنا العربى والإسلامى.

واللهَ أسأل أن يجعله خالصا لوجهه الكريم،

" وما توفيقى إلا بالله عليه توكلتُ وإليه أُنيب "

المنصورة فى: شعبان ١٤١١هـ - مارس آذار١٩٩١م.

دكتور

محمد حامد شريف

الباب الأول

الأحداث التركية في مطلع القرن العشرين وصداها في الأدب العربي الحديث

الفصل الأول

تضارب النزعات الأدبية بين المدح والذم!!



تمهيد :

تضاربتْ النزعاتَ الأدبية على أثر السياسة أو الأحداث التركية العامة فى مطلع القرن العشرين على النحو التالى:

شهد النصف الثانى من القرن التاسع عشر الميلادى المنصرم أحداثاً فى الحياة الإجتماعية والسياسية كان لها الأثر القوى فى جعل هذه الحقبة نقطة إنطلاق نحو عصر النهضة الذى نعيشه الآن .

وبرغم مابلغته الدولة العثمانية فى أواخر عهدها من فساد إدارى واختلال إقتصادى...... فقد ظلت إلى عهد قريب سيدة الشعوب العربية من الناحية السياسية، وظلت عاصمتها الآستانة مقر سلطنة مترامية الأطراف وخلافة دينية واسعة النفوذ.

والعجيب : أنك لا ترى فى الشرق العربى منذ أيام " إبراهيم باشا" المصرى[١] حتى أواخر القرن التاسع عشر حركة جدية للانفصال عن السلطنة العثمانية!

ورغم أن مصر أسبق البلدان العربية إلى إنشاء وحدة إدارية ذاتية ، وهى أول مكان بعثت فيه الروح الإستقلالية - ومع ذلك - " ظلت تشايع تركيا ولاتدعوا إلى الانفصال عنها"[٢].

كما ظل الأدب العربى فيها عثمانى الروح ، والذى يراجعُ نفثات الأدباء المصريين فى القرن الأخير - يتجلي له ذلك . نجد ذلك عند أبى النصر على ، والشيخ على الليثى، ومحمود سامى البارودى، وعبد الله النديم ، وغيرهم [٣].

---

(١) من عام (١٨٣١- ١٨٤٠م) هى الحقبة التى حكمت فيها مصر سورية على يد إبراهيم باشا (مقدمة ديوان أبى ماضى).

(٢) راجع الشعر والوطنية فى لبنان والبلاد العربية. وليم الخازن ص ٦١ ط- بيروت . وكتاب فى الأدب الحديث د. عمر الدسوقى جـ ٢ ص ١٣٧ ط/٧ دار الفكر العربى.

(٣) راجع فى الأدب الحديث د. عمر الدسوقى جـ١ ص١٥٩-١٦٩ ط٧ بيروت.

فقد ظلت الروح العثمانية سائدة فى البلاد العربية يباركها الأدباء الكبار الذين يلتمسون نعمة السلطان ورضاه. وكانت الرابطة الإسلامية تغلب كل نزعة أخرى، وترى فى السلطنة العثمانية خير وريث للخلافة العربية القديمة.

-١-

مدح وتأييد :

فعندما خرج الوهابيون العرب عام ١٨١٣م علي السلطان وهاجموا العراق ، تعرض لهم فيمن تعرض الشاعر العراقى :" عثمان بن سند البصرى الوائلى " ت حوالى :(١٨٣٠م) وراح يذمّهم ويشبه السلطان بالخلفاء الأربعة !

- وانفعل الأمير " عبد القادر الجزائرى " (١٨٠٧-١٨٨٣) عندما شبت حرب القرم عام ١٨٥٣ بين روسيا والدولة العلية ، وراح يمدح السلطان مستغيثامستنصرا ، وتواترت علي لسان الشعراء كلمة خليفة تطلق علي السلطان ، واتخذ التيار العثمانى وجها وطنيا ، ووقف الشعراء العرب من العثمانيين موقف ولاء ومؤازرة ، وهاجموا الدول الغربية التي ناصبتهم العداء ، وحاربتهم . كما تعبأت الجيوش العربية إلى جانبهم ، ومن الشعراء الذين وقفوا إلي جانب العثمانين يحذرونهم . من الغرب : الشاعر الحجازى :" إبراهيم بن حسن الأسكوبى " (١٨٥٣- ١٩١٤م) ومن بعده مواطنه :" محمد سعيد العامودى " (١٩٠٥م) الذى قال فى قصيدة طويلة:[1].

يا آلَ عثمانَ فالمغرورُ مَنْ غُرا ... بأهلِ أوربةَ أو عَهْـدهم طرا
أتأمنونَ لموتوريـن دَيْدنهم ... ألا يَروا منكم فوق الثَّرى حُرّا

(١) الشعر والوطنية ص ٦١.

- وابتهج الشاعر المصرى عبد الله فكرى (١٨٣٤- ١٨٨٩) عندما انتصر الأتراك على الروس واحتلوا ميناء سباستبول عام (١٣٧٢هـ - ١٨٥٥م) وقال في مطلع قصيدة :

لقد جاء نصر الله وانشرح القلب لأن بفتح القرم هان لنا الصعب[١]

- واشترك الشاعر "البارودى" (١٨٣٨- ١٩٠٤م) مع الجيش التركى فى قمع ثورة اليونان بجزيرة : " كريت " عام (١٨٦٥) وفى محاربة الروس بالبلقان عام (١٨٧٨) ووصف المعارك بشعر حماسى أخاذ، ومنه قوله فى وصف معركة " إقريطش" (كريت) فى اليونان : [٢].

قومٌ أبى الشيطانُ إلا خَسْرهمْ فتسلَّلوا من طاعةِ السلطانِ
وضعوا السلاح إلى الصباح وأقبلوا يتكلَّمون بألسنِ النيرانِ

ولعل السبب فى تأييد الأدباء للدولة العثمانية يرجع إلي :ما كان للخلافة ودعاتها من تأثير فى نفوس المسلمين ، وكان سلطان تركيا الممثل الأكبر لعظمة الشرق والإسلام . وإذا سمعنا الشيخ الليثى شاعر الخديو إسماعيل يقول فى السلطان عبد العزيز:[٣].

دع ذكر كسرى وقصِّر إن أردتَ ثنا عن قيصر الروم حيث النفعُ مفقودُ
واشرح مآثرَ مَن سارت بسيرته ركائبُ الجود تحدوها الصناديدُ
ملك الملوك الذى مِن [٤]يمن دولته ظلُّ العدالة فى الآفاقِ ممدودُ

---

(١) المرجع نفسه ص ٦٢.
(٢) فى الأدب الحديث جـ ١ ص ٢٥٨.
(٣) الاتجاهات الأدبية فى العالم العربى الحديث ص ١٦ د. أنيس المقدسى ط/ ٥ بيروت .
(٤) فى الأصل : من ولعل الصواب : من بكسر الميم (حرف جر) بدلا من كونها اسم موصول.

فهذا أنموذج لما كان يقال فى العرش العثمانى وخلافة الإسلام.

كما سار على هذا المنوال أحمد شوقي ، وحافظ إبراهيم وإسماعيل صبرى ، وأحمد نسيم ، ومصطفى الرافعى وغيرهم .

فمصطفى كامل مثلا يزور الأستانة ويصرح قائلا:

" قد جئتُ هذه العاصمة وعلمت باقتراب موسم عيد الجلوس المأنوس وأنا أفتكر إقامة حفلة خاصة بالمصريين يحتفلون فيها بهذا العيد السعيد " إلى قوله " إذ لا شك أن المصريين هم أصدق الأمم جميعا للحضرة السلطانية وأول المخلصين المقدرين حب جلالة الخليفة لوطننا العزيز وخديوينا المحبوب". إلى قوله : " وإن احتفالاً مثل احتفالنا سيثبت لكل إنسان أن فى المصريين إحساسا صادقا يستطيعون إظهاره للوجود وإعلانه للعالم أجمع دون أن يهابوا عدوا ماكرا أو حسودا غائرا".

وفى حديث له مع الميرالاى " بارنج" شقيق اللورد كرومر يقول " إن مصر بلد تابع للدولة العلية وإن جنسيته لذلك هى المصرية العثمانية وهو يرى أن واجبات المصريين نحو الدولة العثمانية هي أن يكونوا وطنيين مخلصين لها يغارون على سلامتها. (١).

ولا يرى مصطفى كامل فى كتاب " المسألة الشرقية " عام ١٨٩٨ فرقاً بين العثمانين والمسلمين بل إنه يرى فى دوام العثمانيين خير ضمانة لبقاء الغرب مسلميهم ومسيحييهم فالخطر الحقيقى عليهم يأتى من ناحية الغرب.

- وشوقى على مايظهر هو أعظم من تغنى فى شعره بأمجاد ومحامد الخلافة ، ومن أشهر قصائده - فى ذلك - مانظمه فى وقائع الحرب العثمانية اليونانية عام ١٨٩٧م وكان فى التاسعة والعشرين من عمره حين خاطب السلطان التركى بقصيدته (صدى الحرب) والتى تبلغ (٢٥٩) بيتا وفيها يقول : (٢).

---

(١) الاتجاهات الأدبية ص ١٧.

(٢) ديوان أحمد شوقى جـ١ ص ٤٢ ط مصر.

بسيفكَ يعلو الحقُ والحــقُ أغلبُ ... ويَنصر دينَ اللهِ أيّان تَضْرِبُ
وما السيفُ إلا آية الملك في الورى ... ولا الأمــر إلا الذى يتقلّبُ
فأدبْ به القوم الطغـــــاه فإنه ... لنعم المربي للطــغاه المؤدبُ
تنام خطوب الملك إن بات ساهــرا ... وإن هو نام استيقظت تتألبُ

ويتـابع وصـفه لانتـصارات الترك في مـواقع متـعددة من تلك الحرب فيلتفت إلي اليونان متهكما بأحلامهم فيقول : (١)

فياقومُ أين الجيشُ فيما زَعَمـتمُ ... وأينَ الجَوارى (٢) والدّفاع المركّبُ؛
وأين الذى قالتْ لنا الصحْفُ عنكمُ ... وأسند أهلوُها إليكم فاطْنبـــوا
وما قد روى برقٌ من القولِ كـاذبُ ... وآخر من فعل المحبّين أكـــذبُ
أهذا سلاح الفتح والنصر والعـلا؟ ... أهذا مطايا مَن إلي المجد يركب؟
أسأتم وكان السوءُ منكم إليكـم ... إلي خير جار عنده الخير يطلب (٣)

- ويستطرد أحمـد شوقى ثنا ءَ على السلطان ملتمـسا منه العفـو عن اليونان إذا جاؤوه صاغرين ، فهو جار البر ، والذى يلجأ إلي رحمته وفضله ..ثم يمعن في المدح والتقرب منه ، فيقول : (٤).

أمولاى غنّتك السيـوفُ فأطربت ... فهل ليراعِي أن يغنىَّ فيطربُ (٥)
مدحتُك والدنيا لســانٌ وأهلها ... جميعاً لســانٌ يمليان وأكتبُ
وإنى لطيرُ النيــلِ لا طيرَ غيره ... وما النيلُ إلا من رياضِك يُحسبُ

---

(١) الديوان جـ١/٥٦

(٢) الجوارى : المراكب

(٣) يقصد بخير جار : السلطان .

(٤) الديوان جـ١/ ٥٨.

(٥) المراد : أن السيوف قد اطربتك بصوت النصر فهل تسمح لقلمى أن يغنيك ويطربك.

ولم أعدِمِ الظلَّ الخصيبَ وإنما أجاذبك الظلَّ الذى هو أخصبُ(١)

فلا زلتَ كهفَ الدين والهادى الذى إلى الله بالزلفى له نتقـرَّبا

وهكذا ينظم :" شوقى " في هذه الحرب ملحمته التي جاوزت المائتين والخمسين بيتا، وكلها إشادة بالترك وانتصارهم الذى رفع راية الإسلام.

وقد نهج منهج شوقى خلال تلك الحرب: الشاعران : " جميل الزهاوى" و"أمين ناصر الدين " حيث هاجما اليونان تأييدا للسلطنة العثمانية.

الاستبشار بالعهد الجديد:

وبإعلان الدستور في ٢٤ تموز (يوليو) سنة ١٩٠٨ - " سرت فى نفوس العثمانيين عموما وأبناء العربية خصوصا نشوة حبور لم يعهد لها مثيل ، فعقدوا الحفلات الباهرة فى الوطن وفي المهجر ، وانبرى خطباؤهم وشعراؤهم يشيدون بحسنات الإنقلاب وأعمال القائمين به . ولا نبالغ إذا قلنا إنه مامن حدث حرك الأقلام العربية كهذا الحدث العظيم .... خذ سوريا ولبنان مثلا وراجع صحفهما لذلك العهد فتدرك عمق ذلك الإنفجار الأدبى فيهما . ويكفى أن نلمح هنا إلي قصائد / عبد الله البستانى ، ومحى الدين الخياط ، وشكيب ارسلان، وإلياس فياض ، ونقولا فياض ، وفارس الخورى وأمين ناصر الدين ، وعبد الرحمن سلام، ومصطفي الغلايينى وشلبي الملاط ، وبشارة الخورى ، وسواهم من شعراء الوطن. (٢).

---

(١) ولم أفقد الظل الخصيب في مصر برعاية أميرها ، ولكنى أطلب الظل الأخصب برعايتك.

(٢) الاتجاهات الأدبية. د/ أنيس المقدسى ص ٤٤ .

كما راح الشاعر حافظ إبراهيم يمدح السلطان عبد الحميد يوم إعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ ويهنئه بإعلانه وبعيد جلوسه، من ذلك قوله:[١]

أثني الحجيج عليك والحَرَمانِ ... وأجلَّ عيدَ جلوسك الثقلان
أرضيتَ ربك إذ جعلتَ طريقَهُ ... أمنًا وفُزتَ بنعمة الرضوانِ [٢]
وجمعتَ بالدستور حولك أمةً ... شتّى المذاهب جمة الأضغان
فغدوتَ تسكنُ فى القلوب وترتعى ... حبّاتها وتحلُّ في الوجدانِ

ويستمر فى قصيدته التى بلغت سبعين بيتا إلي أن يخاطب الشعب بقوله:

يأيُّهَا الشعبُ الكريم تماسَكوا ... وخذوا أُمورَكم بغير تَواني
مالى أذكركم وتلك ربوعُكم ... مرعى النهي ومنابت الشجعانِ
أدركتمُ الدستورَ غيرَ ملوَّث ... بدم ولامتلطخاً بهوانِ
فتفيَّئوا ظلَّ الهلالِ فإنَّه ... جَمُّ المبرةِ واسعُ الإحسانِ

ونرى فى تيار المدح هنا : قصيدة " لشبلي الملاط" [٣]نشرها عام ١٩١٣م بمصر فى حفلة تكريم خليل مطران، وفيها يذكر حرب البلقان وماطرأ على الدولة العثمانية من طوارئ، ثم يشير إلي ماكان قد أشيع عن شماتة بعض

---

(١) ديوان حافظ إبراهيم جـ١ /٤٤ ط بيروت .

(٢) يشير إلى خدماته للحجيج ومن أهمها : مد السكة الحديدية الحجازية التى تمت برعايته.

(٣) شبلى الملاط (١٨٧٥- ١٩٦١م) شاعر لبنانى ، ولد فى بعبدا (لبنان) وتوفى فيها. أصدر جريدة " الوطن " فى بيروت ١٩٠٨ - لقب " شاعر الأرز " (المنجد فى اللغة والأعلام ص ٦٨٢).

العناصر العثمانية باضطراب الدولة وضعفها فيقول ، دفعًا لتلك الشوائع وتبيانًا لموقفهم من العرش العثماني: [١].

أخطا الألى نَسبوا لبعض عِناصر ... منها شعورَ شَماتة وتَحامِ

فلنحنُ نعلم أن عرشَ محمـــدٍ ... خيرٌ لنا من سائر الأحكـامِ

بل نحنَ نفهمُ أنه برٌّ بنـــا ... من كل محتكمٍ من الآنامِ

والشاهد: في هذه الأبيات وما تقدمها : أن الشعر كان لا يزال يومئذ يرى في العرش العثماني موئلاً للشرقيين وأن الإصلاح لا يعني الانفصال عنه والالتجاء إلى أمم الغرب".

يتضح ذلك مثلا : لما حاول الشريف حسين (١٨٥٢- ١٩٣١) أمير الحجاز رفع راية العصيات في وجه العثمانيين ... قام الزعيم مصطفي كامل وأحمد شوقي وحافظ إبراهيم ، وغيرهم يهاجمون الشريف الثائر ، ويدعون بنصر الخليفة العثماني ! [٢].

وكان أحمد محرم يتعلق بتركيا لسببين " ديني وجنسي ، إستمع إليه يدعو المسلمين جميعا إلي الإلتفاف حول راية الخلافة : [٣].

هُبوا بني الشرق لا نومٌ ولا لعب ... حتى تَردَّ القوى أو تُؤخذَ الأهبُ

ماذا تظنونَ إلاأن يحاطَ بكـــم ... فلا يكون لكم منجى ولا هـَرَبُ

كونوا بها أمة في الدهر واحدة ... لا ينظر الغرب يوما كيف نحْترِبُ

ما للسياسةِ تُؤذينا وتُبعدنـــا ... عما يضمُّ قُوانَا حين تَقْتَــرِبُ

---

(١) الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث ص ١٣٨.

(٢) الشعر والوطنية في لبنان والبلاد العربية ، وليم الخازن ص ٦٢.

(٣) في الأدب الحديث د. عمر الدسوقي جـ٢ / ١٥٠.

غير أن هذه الحماسة ضد الغرب لم تكن عمياء ، وإن سيطرت عليها العاطفة أحياناً كثيرة ، فإن رجالات العرب استطاعوا أن يميزوا الصديق من العدو.

كتب مصطفى كامل عام ١٧٩٤" إن حلمى هو أن أكون أخاً لبيار لوتى[١]، الذى أحب الشرق والمسلمين كما لم يحبهم ويفهمهم أى فرنسى من قبل ". وعلى كل حال لم يكن العداء بين الشرق والغرب من جهة واحدة... فإذا قال الشاعر الإنجليزى (رديارد كيبلنغ) (١٨٦٥-١٩٣٦) "الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا" فقد تكرر مثل هذا القول علي لسان بعض الشعراء كقول الشاعر التونسى : سعيد أبو بكر (١٨٩٩م) فى قصيدة بعنوان : " ليت شعرى" :

علمَ الشرقُ أنَّه اليومَ أضحى	لبني الغرب لقمةَ الأطماع !
ليتَ شعرى أيرجعُ مدحـــو	رًا أم الغربُ بعد هذا النزاعِ ؟

- كما أن موالاة العرب للعثمانيين فى ظل الجامعة العثمانية ، لم تمنعهم من طلب الإصلاح ، فقامت جماعة من المفكرين والشعراء تندد بالظلم ، وتطلب من الأتراك العدل والإنصاف والحرية..... كما فعل الشاعر أحمد نسيم (١٨٧٨ - ١٩٣٨)في عام ١٩٠٥ حيث قام يناشد السلطان عبد الحميد الثانى (١٨٤٢- ١٩١٨م) لكى يتدارك برأيه وحكمته البلاد العثمانية ويصلحها قبل أن تصبح مغنماً سهلا للفاتحين.[٢]

---

(١) ضابط فى البحرية ، وكاتب فرنسى (١٨٥٠- ١٩٢٣م) .

(٢) راجع الشعر والوطنية ص ٦٠- ٦٤.

الإستبشار بخلع الطاغية: " عبد الحميد "(٣)

يلاحظ من دراسة الشعر أن هذا الحبور العام الذى أعقب إعلان الدستور كان في أول الأمر مقرونا بالثناء على السلطان" عبد الحميد" ذلك لأن الذين أحدثوا الإنقلاب لم يمسّوا بادىء ذى بدء عرشه فظل حينا يتمتع بنفوذ عظيم . على أنه لما حدثت الفتنة الرجعية (١٩٠٩م) رأى الدستوريون أن في بقاء السلطان خطرا علي نظامهم فخلعوه فى ٢٧ نيسان من تلك السنة ...وبخلعه سرت هزة شعرية لا تقل عن هزة الدستور ! فتفجرت القلوب بما كانت تكنه لشخصه ، ولعهده ، وأخذ الشعراء فى سوريا والعراق والمهاجر يتبارون فى تعداد مساوئه!(٢).

---

(١) إرتقى السلطان عبد الحميد الثانى العرش سنة ١٨٧٦م فى فترة عصيبة ، فقد خرج من الحرب الروسية مهيض الجناح ، فحل مجلس المبعوثين ، وجعل نفسه السلطان المطلق .... ولقد غلب على طبعه الاستبداد، فكان سىء الظن بمن حوله ....وقد التفت حوله الوشاه والجواسيس المداهنون الذين عرفوا بسريرته وضعفه من هذه النواحى ، فجعلوا يحسنون له أهواءه ويجارونه فى رغباته . (راجع شهداء الحرب العالمية الكبرى . أدهم آل جندى ص ١٠).

إلا أنه مما يحمد له حقا: موقفه من اليهود وقضية فلسطين فقد أغراه " هرتزل " - رئيس الجمعية الصهيونية - بتقديم هدية مالية ضخمة مهما تكن واقراض الخزينة العثمانية مليونين من الليرات مقابل إقامة مأوى لليهود فى فلسطين فرفض بشدة قائلا :" نكون قد وقّعنا بالموت على إخواننا فى الدين " (راجع مذكرات السلطان عبد الحميد د. محمد حرب ص ١١٠-١١).

(٢) راجع الاتجاهات الأدبية د. المقدسى ص ٥٢.

ومن أمثلة ذلك قصيدة لفارس الخوري مطلعها [١]

اللهُ أكبـــرُ فالظُّــلام قــد علمـوا لأي منقلب يفضي الأُلي ظلموا

لقد هوى اليوم صرحُ الظلم وانتفضتْ أركانه وتولّت أهله النِّقَــــــمُ

والقصيدة طويلة ، وكلها من هذا النفس البليغ ، وأشد منها تشفيا قول أحد شعراء المهجر من قصيدة نشرتها جريدة :" مرآه الغرب". [٢].

مضى عبدُ الحميد إلى مكانٍ رمتْ فيه أم قشعم الرّحـالا

مضى وله بفعل الشـــر ذكرٌ محا ذكر الأولى كانوا مثَـالا

مليكٌ قـد تسربلَ بالمخـازي وعمَّ الأرضَ غدرا واحتيـالا

أميرَ المؤمنينَ دعَـــوْه زورًا فكان الذئبَ لم يعرفْ حلالا

عدوَّ الدين والإسلام هــلا علمتَ بأن في الدنيا زوالا!

- يعجب القارىء حقًا وهو يطالع أدب هذه الحقبة التاريخية الغابرة ! لمايراه من مدح للسلطان العثماني يعقبه ذم أو العكس تماما! وربما تضاربت الشعراء بين هذا وذاك ، لا فرق بين شعراء بلدة أو غيرها من البلدان العربية، حتى مع بعض الشهداء الذي وقفوا إلي جانب الدولة العثمانية ومكنوا لجمال باشا في بلاد الشام. ... [٣]

- وربما رجع هذا التضارب الأدبي إلى أسباب أهمها : عدم الإلتزام بسياسة أدبية محددة الأهداف نتيجة لعدم وضوح التيار الاستقلالي حينئذ فالناظر - مثلا - في شعر اللبنانيين ، لا يكاد يرى شاعرا مسيحيا واحدا التزم النزعة العثمانية وجاهد من أجلها بإخلاص كنهج سياسي يرى مستقبل بلاده من خلاله

---

(١) المرجع نفسه ص ٥٢.

(٢) المرجع نفسه ص ٥٣ والآداب العربية في القرن التاسع عشر (شيخو) ص ١٨٥.

(٣) راجع على سبيل المثال موقف الشهيد سعيد عقل ص ٧٦.

وإنما كانت في الغالب قصائد أو أبياتًا تساير الواقع وتلتزم التقية ، خصوصاً أن المسيحيين كانوا في عداد أهل الذمة ، يدفعون الجزية لقاء قعودهم عن الحرب، ويشكلون مواطنين من الفئة الثانية فلا يتمتعون بكل امتيازات المسلمين .

ولكي يظهر لنا وهن الرابطة التي كانت تربط كثيرا من اللبنانيين ببني عثمان ، نمثل بالشاعر إيليا أبي ماضي الذي مدح عبد الحميد بعد إعلان الدستور ١٩٠٨ وخاطبه بقوله :(١)

ويأيها الملك المقيمُ (بيلْدز) أرى كلّ قلب سدةً لك فارتـقِ

- ثم مالبث أن هجاه ، مثل كثير من الشعراء ، بعد الفتنة التي قامت عليه على أثر إرتداده عن الدستور، وقال : (١).

جُرْتَ ياعبد الحميـــد بنا غير أن الجَـــور لم يدم

فإن هذا الشاعر جارى التيار الواقعي في حكمه على السلطان العثمانيّ، ولم يتقيد بمبدأ ينافح عن معتقداته(٢)

والأعجب من ذلك : أن " سليمان البستاني " الذي كان يعتبر نفسه عثمانيا وتوصل إلى أن يكون رئيسا ثانيا " لمجلس المبعوثان " (٣) قدم استقالته عندما رفضت السلطنة أن تتبنى رأيه بعدم التورط في الحرب العالمية الأولى .

وبعد إعلان الدستور وخلع السلطان عبد الحميد، تطلع رجالات العرب إلى مستقبل مشرق ، فمدوا يد الأخوة إلى رجال :" الإتحاد والترقي " الذين قاموا بالانقلاب للعمل متعاونين في بناء كيان السلطنة من جديد : وعلى أسس عادلة لا يهضم فيهاحق عنصر من العناصر. ولكن لم يكد يتسلم الحزب شئون

---

(١) ديوان " إيليا ابى ماضى" /٥٢٨.

(٢) الشعر والوطنية ص ١٤١ والديوان /٦٦٣ .

(٣) البدوى الملثم البستاني والباذة هو ميروس/٤٤ حيث يقول : إن سليمان البستاني إنتخب عام ١٩١٠ رئيسا لمجلس المبعوثان " (الشعر والوطنية/ ١٥٠).

المملكة حتى كشفوا عن نواياهم .....فأخذوا يجاهدون بضرورة " تتريك العرب" فمن كلمات أحد كتاب الأتراك ، وهو عضو بارز في جمعية " الاتحاد والترقـــي " قوله: (١)

إن بلاد العرب، ولاسيما اليمن والعراق يجب تحويلها إلى " مستعمرات تركية" لنشر اللغة التركية التي يجب أن تكون لغة الدين . ومالا مندوحة لنا عن الدفاع عن كياننا أن تحول جميع الأقطار العربية إلي أقطار تركية ، لأن النشىء العربي الحديث صار اليوم يشعر بعصبية جنسية ، وهو يهددنا بنكبة عظيمة".

وزاد الاتحاديون على مساوئهم أن عادوا لغة القرآن الكريم ، وحاولوا تتريك اللسان العربي ، لذلك يبشرهم الشاعر الرافعي ، بانقضاء ملكهم ، حيث انتقد أعمال الاتحاديين ، ووصفهم بقوله: (٢).

أسافلٌ جاوزوا حـــدَّ الجنونِ بما جَنَوه من كلِّ فعل كان مذْمومـــا
عَموا وصمُّوا فلا كانوا ولا رُحموا إذ أضمروا محوَ جنسِ العُرْب تصْميما

-٣-

تبلور العداء :

وفي مطلع القرن العشرين تبلور العداء للأتراك عندما تصدوا لرجال السياسة والفكر في لبنان يعملون فيهم نفياً وشنقا واضطهادا بحيث اضطر الكثيرون منهم إلى هجر بلادهم محافظة على حياتهم .... ولكي يتمكنوا من التنفيسّ عما في صدورهم من مهاجمة الأتراك بعيدين عن مراميهم. ولقد تحدث الشاعر:"إيليا أبو ماضيٌ عن تأثير مظالم الأتراك في هجرة اللبنانيين (٣)

---

(١) الأدب والقومية في سورية . سامي الكيالي ص ١١٥، ١١٦.
(٢) الشعر والوطنية في لبنان والبلاد العربية ص ١٥٢.
(٣) ديوان : " إيليا أبي ماضي" ص ١٠٣ - ١٠٦ بعنوان : أنت.....

ووقف عام ١٩١٠م يصف حال البلاد العربية ومصر على الأخص، وختم وصفه محرضا المصريين علي رفع البلاء عن ربوعهم ، كما في قوله:(١)

كذبوا على مصر وصُدق قولهم   والشر إن يجد الكذوب مُصدقا

وطالما حاول الأتراك ضرب العربى بأخيه العربى ، لتسهل السيادة عليهم ، وقد فطن العرب الوادعون إلى ذلك ، وتردد فى أشعارهم كما نرى فى قصيدة: أبى ماضى " دموع وتنهدات " حيث يلوم بعض العرب لإنجرارهم وراء السياسة التركية المغرضة، فهو يخاطب الترك قائلا:(٢)

متَى كانَ جنكيزٌ لقحطانَ سيِّدا   فَيُمسى بنو هذا لذاكَ مواليا ؟!

والشاعر نفسه يتابع لومه للأتراك الجاحدين الكاذبين ويحمِّل حكمَهم الفاسد تبعةَ ماآل إليه العربُ من ضعف فيقول بعنوان : " بلادي " (٣).

أثرْ تــم بيننا الأحقادَ حتّــى   ليقتلَ بعضُنــا بعضًا خِصامــا

ثم يشير إلى اتحاد المسلمين بعد أن صهرتهم نيران التعصب والإرهاب فإذا هم يدينون بقومية واحدة:

- وشاءَ اللهُ كيدَكم فبتْنـا   كمثلِ الماءِ والخمر التئامــا

وقالوا: نحن للإسلام سُــوَرٌ   وإنَّ بنا الخلافة (والإمامــا)

فهل فى دين أحمدَ أن يَجُوروا   وهل فى دينِ أحمدَ أن نُضامــا ؟

إلى كم يحصرون الحكم فيهم   وكم ذا يبتغون بنا احتكاما !

- ولا ريب أن شعور النقمة عند أبى ماضى نسج من خيوط البواعث الدينية والقومية معا. فقد أدى فقدان التسامح فى سياسة العثمانيين وما سببه من مجازر ومآسى إلي إزدياد نفوذ المسيحيين الذين كانوا يحتملون عبء الضحايا في أغلب الأحيان فراحوا يرقبون يوم الخلاص بلهفة(٤)

---

(١) ديوانه ص ٥٣٧- ٥٣٩.
(٢) الشعر والوطنية ص ١٥٢ وديوان أبى ماضى ص ٣٨٩.
(٣) ديوان أبى ماضى ص ٦٨٣.
(٤) الاتجاه القومى فى الشعر العربى الحديث ص٥٢.

كما ظهرت بوادر التمرد على الحكم العثماني لدى " رزق الله حسون" الحلبي (١٨٢٥-١٨٨٠م) رائد الصحافة ، فهو لم يستطع كتمان فرحته بانكسار الترك في الحرب الروسية العثمانية ١٨٧٨ حيث يقول: [١].

كم حُروبٍ للروس دارتْ على[٢] الترك رَحاها فغادرتْها طَحينا

هكذا هكذا تدورُ على الباغي[٣] الليالي وَيهلك المجْرمُـــونا!

- ولعل مما يعكس لنا هلع النفوس - حينئذ- من سياسة الأتراك ، قصيدة : " رضا الشبيبى " وقد نظمها علي أثر طرد الأتراك من العراق وهي تحمل أسفة بل أسف العثمانيين في العراق لسوء السياسة التركية التي أدت إلى التفرقة بين عنصرى الدولة ، فيقول: [٤]

يامَنْ يَعزُّ علينـــــا أن نؤنِّبهم في حيثُ لا يَنفعُ التأنيبُ والعذلُ

جَفَوْتمونا وقُلتم نحن ساستكم مَتَىً مطيَّتُها الإخفاقُ والفشـــلُ

ثم يشير إلي سوء إدارة حكومة الإتحاديين:

عندَ المغانم تَنْسَونا [٥] ويقْدُمُنا من المغارم ثِقلٌ ليس يُحتملُ !

أين الرهينَ بأمـوالٍ لنا ذهبتْ ومن يَقيدُ بإخـــوانٍ لنا قُتلوا

إمّا شهيد معليٌّ فـوقَ شاهقـةٍ أو موثق بحبال الأســـر مُعتقل

فالشاعر يعيد ذكريات الحرب وماقبلها ويعزو إلى الاتحاديين ما أصاب البلاد من شقاء وما نجم من خلاف أدى إلي إيهان قواها ووقوعها في يد الأعداء.

---

(١) المرجع السابق ص ٢٤ وجريدة المشير عدد ٢١.

(٢، ٣) هكذا في الأصل والصواب في البيت الأول : (كم حروب للروس دارت على التر...) وبالبيت الآخر: (هكذا هكذا تدور على البا....) حتى يتساوا شطرا البيتين ، ولكي يستقيما على البحر الخفيف.

(٤) الاتجاهات الأدبية د. أنيس المقدسي ص ١٤٢.

(٥) هكذا في الأصل بحذف نون الرفع لضرورة الشعر.

وإذا شئنا أن نعرف ما أصاب تلك المنطقة العربية من ظلم وعنت نستطيع أن نقرأ شعر" الزركلي " في وصف المظالم قائلا: [١].

عتا أحفادُ جنكيزَ فَساقُـــوا	سلائل يعرب سوقَ العبيــدِ
هم عقدوا العهود علـــى ولاءٍ	وهم عمدوا إلى نقض العهودِ
فكم قتلوا من الأحياء صبرا [٢]	وكم ساموا المهانة من عميـدِ
وكم حملوا على الأعواد ظلمـا	وكم سقَوا المنيةَ من شهيـدِ

"لقد أصبح يوم ٦ أيار (مايو) يوما قوميا .. يذكره الناس بألم فاجع وحسرة مريرة ، ولكنهم يذكرون به بدء يقظتهم ، فعلى هذه الجماجم قام صرح الثورة، وقامت الحرية ، وظهر الاستقلال.

- ومن الشعراء المتطرفين الذين لم يجدوا حلا ناجعا لدولة الرجل المريض سوى هدم كيانه " سليم سركيس ، صاحب جريدة المشير فيقول: [٣].

نرجو صلاحَ الترك قـدْ	خابت أمانينا الكـــواذبْ
وهي دولة " ظلمت وليس	العدل عن ظلم بذاهبْ [٤]
ليس العجيبةُ فَقْدُهَـــا	بل عيُشها إحدى العجائبْ

- نعم لقد تعبت حناجر الشعراء في البدء من التغنّي بوحدة الأتراك والعرب على صعيد الدين كما فعل شعراء . مصر وأحس الشعراء أن الأتـــراك

---

(١) الشعر الحديث في الإقليم السوري. د. سامي الدهان ص٢٢.

(٢) لعله أراد بالقتل صبرا : الحبس حتى الموت!

(٣) الإتجاه القومي د. عمر دقاق ص ٢٥.

(٤) هكذا البيت في الأصل والصواب:
هي دولة ظلمت وليـ س العدل عن ظلم بذاهب .
لكي يستقيم بشطريه على البحر " مجزوء الكامل" .

انحرفوا عن العروبة وانحرفوا عن الدين نفسه حتي غدا أكبر المنادين بحبهم أشدّ الناقمين عليهم لأنهم اتخذوا الدين سلاحاً فى السياسة لكسب العرب تحت رعايتهم . فلما خرج الكماليون مقهورين فى الحرب اتخذوا العلمانية والميل إلى أوربا دينا ينفعهم في كسب حلفائهم الجدد إلي تقوية دولتهم المتفسحة المتناثرة!

واشتدّ هذا الغدر حتى صاح الشاعر الحمصى " أمين الجندى " ت (١٨٤١) يشكو جور الأتراك:

هذا ولما فاضَ جَوْرُ التـــركِ في	ظلمِ العبادِ وصار أمراً مُشْكلا
وتظاهرتْ أعمالهم بمقاصـــد	ومظالم وحوادث لـــن تُقبلا
سلبوا البلادَ من العبادِ فلا ترَى	فى حكمهم ذَا نعمةٍ متموّلا .

وهذا الشعر ضعيفُ النسج ، خائر العزم ، لكنه شديد المرارة من ظلم الأتراك فى السلب والجور! وأمثال هذا الشعر كان يسير فى الصدور مسير النار فى العرفج فيوقظ النفوس ويثير الهمم، ويحرك إلى الثأر وإلى الاستقلال [١].

---

(١) الشعر الحديث فى الإقليم السورى . د/ سامى الدهان ص ١٨- ٢٠.

الفصل الثانى

نكبة الاحرار على يد " جمال باشا"

١- مؤتمر الشباب في بارس
٢- السفاح : حياته وآثاره
٣- الثورة العربية علي الأتراك
٤- مصرع " السفاح " ..

-١-

مؤتمر الشباب بباريس:[1]

كان لابد لمواجهة هذا التيار التركي الجارف الذى يقوم على العصبية الرعناء من تكتّل جماعى وتوحيد الصف العربي، وعقد مؤتمر عام يضم جميع الهيئات والجمعيات التي تألفت فى أرجاء الوطن العربي للبحث في هذه الشئون التى تمس حاضرهم ومستقبلهم بعد أن بدت نوايا الاتحاديين سافرة واضحة.

ومن باريس : إنطلق صوت يدعو إلي عقد هذا المؤتمر ، دعا إليه خمسة شباب من سورية وهم : عبد الغني العريسى ، وعونى عبد الهادى ومحمد المحمصاني ، وجميل مروم بك ، وتوفيق قائد .. وسرعان ماااتصلوا بغير واحد من أبناء العرب ، وكا شفوهم بالأمر فوجدوا منهم استحسانا وتنشيطا.

وتألفت لجنة من الجالية العربية الموجودة فى باريس لمخابرة زعماء النهضة العربية فى الأقطار .. وتألفت هذه اللجنة من : شكري غانم ، عبد الغني العريسى، ندرة مطران ، عوني عبد الهادى، جميل مردم ، شارل دباس، محمد المحمّصانى ، جميل معلوف . وكان من أهم أعمال تلك اللجنة : مراسلة الجماعات العربية الكبرى في كل جهة ومفاوضتهم في هذا الأمر....

وتبادلت لجنة المؤتمر الرسائل مع اللجنة العليا لحزب اللامركزية في مصر ، وتم الإتفاق علي عقد المؤتمر، وفى ١٨ من حزيران (يونيو) ١٩١٣م إنعقد المؤتمر العربي الأول الذي اشتركت فيه جميع الهيئات الفكرية والنوادى الأدبية والجمعيات السياسية ، وجميعها ذات هدف إصلاحى واحد ونزعة عربية صارخة

---

(١) راجع الأدب والقومية فى سوريا ص ١٢٠- ١٢٦.

. وفي هذا المؤتمر ، فى القاعة الكبرى للجمعية الجغرافية بشارع سان جرمين، تعالت أصوات مفكرى العرب الذين يمثلون عدة جمعيات كان فى طليعتهم رئيس المؤتمر الزهراوى والعريسى وغيرهما. - وقد طالب أعضاء المؤتمر بالحياة الوطنية ، وضرورة الإصلاح على قاعدة اللامركزية ، والمهاجرة من سوريا وإلى سوريا (١).

وضاق الاتحاديون بالمؤتمر ورجالاته الأحرار وقراراتهم الوطنية ، لهذا حرصوا علي الكيد لهم ، واتهموهم بأنهم دعاة للأجانب ، ونووا لهم الشر.!

- وكان " معروف الرصافي " من الشعراء المخلصين للدولة العثمانية الداعين لها، لهذا رأى أن دعوة الشباب الأحرار إلى الانفصال عن الدولة العثمانية جريمة ، وقد ثارت ثورته لما رآهم عقدوا مؤتمرهم فى فرنسا، كما زادت ثورته عندما أرسل " حقى العظم " برقية إلي جريدة " الطان " letemps طالباً من الحكومة الفرنسية التدخل في أمر سوريا .... معتقدا أنها دعوة صريحة من العرب المسلمين إلي دولة أجنبية إستعمارية لكى تتدخل فى أمور دولة مسلمة، لذلك قال لعبد الغني العريسى: (٢).

قل للعريسيِّ والأنباءُ شائعةٌ ... والصُحُفُ تروي لنا عنه الأعَاجيبا
علامَ تعقد في باريس مؤتمراً ... ماكنتَ فيه برأى القوم مندوبا !

ويخاطب " حقي العظم " ويصف عمله بعمل الحَمَل الذى يطلب المعونة من الذئب:

وهل تعمد " حقى العظم " فعلته ... لما نما خبراً للطان مكذوبا
إذ راح يستنجد الإفرنجَ منتصفاً ... كأنه حَمَل يستنجد الذِّيبا!

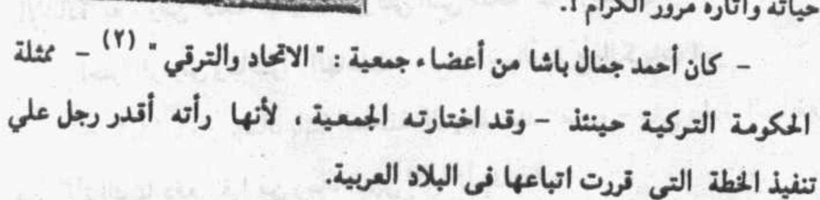
---

(١) راجع شهداء الحرب العالمية الكبرى ص ١٦-١٧.

(٢) راجع الشعر العراقى الحديث والتيارات السياسية والإجتماعية د. يوسف عز الدين ص/٢٢.

- وقد أدلى بعضُ الأحرار بحديث لمحرري جريدة " الطان " و" المفيد[(١)] أوضحوا فيه أسباب عقد هذا المؤتمر وأهم قراراته.....

ومرت الأيام سراعا... ونشبت الحرب العالمية الأولى ١٩١٤م وقد دخلت فيها تركيا الحرب إلي جانب الألمان، وسطع - حينئذ - نجم " السفاح ".



-٢-

احمد جمال باشا:

هو مدبر المذابح فى بلاد الشام، وقد ازدادت العلاقة بين العرب والترك توتراً وسوءاً على يديه!. - ولما كان موضوعنا :" إعدام الأدباء الشهداء" علي يد هذا السفاح أرى أن نمرَّ على حياته وآثاره مرور الكرام!.

- كان أحمد جمال باشا من أعضاء جمعية : " الاتحاد والترقي " [(٢)] - ممثلة الحكومة التركية حينئذ - وقد اختارته الجمعية ، لأنها رأته أقدر رجل علي تنفيذ الخطة التى قررت اتباعها فى البلاد العربية.

عين "جمال باشا" وزيرًا للأشغال العامة فى كانون الأول عام ١٩١٣م ثـــم

---

(١) سنعرض لبعض تلك المقالات بالباب الثانى فى (الآثار الأدبية للشهداء) إن شاء الله.

(٢) راجع التعريف به فى : شهداء الحرب العالمية الكبرى . أدهم جندى /٢٢٢ وجهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن ، صالح مسعود/٤٤ وبيروت ولبنان في عهد آل عثمان . يوسف الحكيم /١٦٠ ، ولبنان فى التاريخ . فليب حتّى /٥٨٨.

وزيرا للبحرية وقائدًا للفيلق الرابع في كانون الأول عام ١٩١٤م، وقد امتدت نفوذه العسكرية والإدارية وصلاحياته المطلقة من جنوب طرطوس حتى اليمن.

- كان جمال باشا خاليا من كل مزايا الرجال ، حيث غلبت عليه العسكرية القاسية ، لكنه تظاهر في البداية بمناصرة العرب، والعطف على قضاياهم الإستقلالية ، لهذا ساعده الأحرار الإستقلاليون في قدومه وتمكن حكمه في البلاد ، ولم يدر بخلدهم ما انطوى عليه من لؤم وبطش حيث كان يراقبهم ، ويطلع على أسرارتنظيماتهم تمهيدا للبطش والتنكيل بهم!.

- سعي جمال باشا- بطرق غير شرعية - لحمل حكام الأستانة علي الاعتراف به سلطانا على تركيا مستعينا بالأرمن!

- وقد استغلّ نفوذه في إصدار جريدة الشرق بدمشق لتكون لسان حاله بالإشادة به ، ومن ذلك قصيدة الزركلي التي مدحه بها ومطلعها:

أحنوا الرءوس وطأطئوا الهاماتِ هذا جمالٌ مفرّجُ الكربات !

- كما استغلَّ جمال باشا العاطفة الدينية عند العرب - علي عادة السابقين من الأتراك بما دفع نفرا من رجال الدين إلى تأييده. !

" ومن يستعرض آثار شعرائنا خلال تلك الفترة يجد أن مانظم في مدح العثمانين عامة وفي مدح أحمد جمال باشا خاصة كثير . ونجد بعض هذا الشعر في الكتاب الذي نشر في بيروت عام ١٩١٦ بعنوان : (البعثة العلمية إلى دار الخلافة الإسلامية). وكان جمال باشا في تلك الفترة قد نظم وفدا من بلاد الشام لزيادة مواقع المعارك التي جرت في منطقة (الدردنيل) بعد انسحاب الحلفاء ، ولزيادة دار الخلافة والاتصال بالسلطان والنظار وأولى الأمر وإبلاغهم تأييد العرب إياهم . وكان ذلك الوفد مؤلفا من بعض رجال الدين والأدباء والصحفيين .وقد أنشد شعراء هذه الرحلة أثناء الحفلات التي كانت تقام لهم هنا وهناك وأثناء

عودتهم كثيرًا من الشعر المؤيد للسياسة القائمة، كقصيدة "على الرعاوى" مثلا فى مدح جمال باشا، ومطلعها [١]:

سَرى وفدُك الغازى ومثلُك يُوفِدُ

وعاد بملءِ البِشْرِ، والعَوْدُ أحْمَدُ!

وكقصيدة بدر الدين النعسانىّ فى الموضوع ذاته، ومطلعها: [٢].

لئن أكثرَ المداحُ فيك القصائدا فما بلغوا فى الألف من ذاك واحدا

- ومن الخير أن نكتفى هنا بالإشارة إلي وجود مثل هذا الشاعر، دون أن نشغل أنفسنا بالإكثار من التمثيل له. فنحن نعلم قيمة هذا الشعر (الحماسى)المأجور الذى يكثرُ مثلُه فى كل زمان ومكان [٣].

جمال باشا فى " عالية" :

- أصبحت " عالية " - عروس المصايف فى لبنان - مدينة الهول والرعب حيث أقام فيها جمال باشا مجلساً عرفيا للنظر في القضايا التى تتعلق بأمن الأتراك.

- وفى " عالية" أيضا: أسس جمال باشا : السجن الحربى العسكرى الذى ضاق بالمعتقلين حينئذ!.

---

(١) راجع البعثة العلمية إلى دار الخلافة الإسلامية ، ص ٢٦٠.

(٢) المرجع نفسه /٢٨٥.

(٣) محاضرات فى شعر الحماسة د. أمجد الطرابلسى ص ٥٥.

- **الحفلة القاتلة:**

وقد أقام الأحرار حفلا - بإيعاز من جمال باشا- في أواخر حزيران ١٩١٥م، تكريما للشيخ عبد العزيز شاويش ولبعض القواد والأعيان ، وألقى فيها الأستاذ/عز الدين التنوخي- من أعضاء المنتدى الأدبي - قصيدة قومية ذكر فيها حضارة العرب القديمة وبكاها بقوله:

حضارتهم ماتت كأني لذكرها ... يُرُّ عرفتُ الدارَ بعد توهّمِ

وأشار إلى أن جمال باشا صديق العرب إن هو شدّ أزرهم وأعانهم: !

جمالٌ صَديقُ العُرْبِ إن شدَّ أزْرَهم ... وأنقذَهم من كل ضيقٍ ومأزمِ

كما أشاد ببلاغة عبد العزيز شاويش - وكان من أنصار الاتحاديين - كما ألقى الشباب الأحرار النشيد الحماسي المشهور:

نحنُ جندُ اللهِ شُبّانَ البلادِ ... نكْرهُ الظلمَ ونأبىُ الاضْطِهادا

- وتُرجمت لجمال باشا هذه الأناشيد القومية فقال قولته الشهيرة :

" لا أبقاني اللّهُ بدمشق إن أبقيتُ هؤلاء الشبان" !

- والجدير بالذكر : أن ما أشار به جمال باشا على الشهيد عبد الكريم الخليل من إقامته الحفل ، إنما كان لكشف شبان العرب ورجالهم والتأكد من نزعاتهم القومية تمهيداً لإبادتهم.

ولم تكن الحكومة التركية عمياء عن الحركات القومية، ولم تكن في الوقت ذاته تظهر القسوة والشدة بداية - كما يستدل من مفاوضتها لزعماء " الحركة الإصلاحية " في باريس برئاسة الشهيد " عبد الحميد الزهراوي "- إلا أنها كظمت مافي نفسها خوفا من تدخل الأجانب إلى أن تحين الفرصة.

فلما نشبت الحرب العامة أسرعت الدولة إلي تفتيش القنصليات الأجنبية، فوقع في يدها بعض الوثائق السرية ، وبها كشفت كثيرا من أسرار الجمعيات

العربية حينئذ، فقبضت على جماعة من الزعماء الأحرار بتهمة : الموالاه للقضية العربية التى يتزعمها إذ ذاك الشريف حسين ، وكذلك بتهمة : الاتصال بدولة أجنبية للعمل على استقلال العرب وانفصالهم عن الدولة العثمانية .

فأحيلت الأوراق إلى الديوان الحربى بعالية فحكم بالإعدام شنقا على نخبة من أفاضل العرب بلغوا نحو اثنين وثلاثين شهيدا [١]

أعدموا فى يوم واحد من عامى ١٩١٥، ١٩١٦م هو السادس من أيار.

كما حكم بالإعدام غيابيا على نحو ستين آخرين تمكنوا من الفرار إلى أوروبا ومصر، فضلا عمن عوقبوا بالنفى أو بالسجن .

- والجدير بالذكر أن المحكوم عليهم بالإعدام كانوا جميعا من المثقفين، وكأنما أراد جمال باشا أن يستأصل دعاة الفكرة العربية وزعماءها دفعة واحدة !.

---

(١) وهم حسب ترتيب إعدامهم : عبد الكرم الخليل - الشقيقان : محمود المحمصانى ومحمد المحمصانى - عبد القادر الخرساء - نور الدين القاضى - سليم أحمد عبد الهادى - محمود نجا عجم - محمد مسلم عابدين - نايف تللو - صالح حيدر- على الأرمنازى - وهؤلاء شهداء القافلة الأولى ببيروت - ١٩١٥/٥/٦م .

شفيق بك المؤيد - عبد الحميد الزهراوى - الأمير عمر الجزائرى - شكرى العسلى - عبد الوهاب الإنكليزى - رفيق رزق سلوم - رشدى الشمعة - و هؤلاء شهداء القافلة الثانية فى دمشق.

باتروباولى - جرجى الحداد - سعيد عقل - عمر حمد - عبد الغنى العريسى - الأمير عارف الشهابى - الشيخ أحمد طبارة- محمد الشنطى اليافى - توفيق البساط - سيف الدين الخطيب - على محمد حاج النشاشيبى - محمود جلال البخارى - سليم الجزائرى - أمين لطفى الحافظ. وهؤلاء شهداء القافلة الثانية فى بيروت -١٩١٦/٥/٦م .

- وكان السفاح يعرف مكانة هؤلاء الأحرار من أمتهم ، لهذا نفى ذويهم وكل من يمت إليهم بصلة إلى بلاد الأناضول قبل تنفيذ الحكم. من أجل هذا كله أطلق العرب علي جمال باشا لقب: السفاح.

- ومن الصعب أن يصف كاتب ماخالج قلوب العباد - حينئذ- من الهلع والنقمة حيث عمّ الحزن والأسى ، وتأججت نفوس العرب نارا تحت سطوة الارهاب ، منتظرين الفرصة للإنتقام.

- ولم يفت الشعراء إبراز دور السفاح ، كما فى قصيدة " أمين مشرق" التي وجهها إلى الأتراك أثناء الحرب، وكأنها ملحمة ، فيها ضربات شديدة للسياسة التركية الهدامة ، من إكتساحهم بلاد العرب وإحتقارهم ، وإثارة الأضغان فيما بينهم إلي أخذ الناس ظلما.... حتى يقول :(١)

إنّ فى أحشائنا ناراً إذا مسّت الماءَ تلظَّى واضطرمْ
وبراكينَا من الحقدِ إذا إنفجرتْ أرْدتكمُ تحتَ الحِممْ
يابنى الأتراكِ إنَّا أمةٌ سطّر السيفُ عليها والقلم
نحنُ قومٌ لم نُطق ذلاً ولمْ نَحْتملْ ظُلماً ولم نُقهرْ ولمْ
كَمْ غَزَونا وامتلَكْنا بالقَنا وغَزونا وامتلكَنا بالكرمْ

" ولنعد إلى حديث شهداء ٦ أيار وصدى استشهادهم في آثار الشعراء:

- لم يكن فى وسع الشعراء المقيمين فى الوطن خلال تلك الأيام العصيبة أن ينتصروا بشعرهم علناً لهؤلاء الشهداء الذين كانوا القافلة الأولى من

---

(١) الشعر والوطنية في لبنان والبلاد العربية ص ١٥٣.

الضحايا تقدمها بلادهم فى سبيل حرية الأمة العربية. فقد كان سيف الطغيان مصلتا علي الأعناق . وكان الإنسان يؤخذ بالشبهة ، بله الإقرار . ! فانطوى هؤلاء الشعراء على أنفسهم وقلوبهم تقطر دما ، ينتظرون اليوم الذى يستطيعون فيه أن ينفسوا عن آلامهم وينشروا مانظموه فى بكاء شهدائهم. ولعل من الشعر الذى نظم في تلك الفترة وطوى ثم نشر فيما بعد، قصيدة (هل تذكرين) لمحمد الشريقى. فالقصيدة - كما يظهر من بعض أبياتها - نظمها صاحبها حينما كان سجينا في قلعة دمشق عام ١٩١٦، ثم نشرتها مجلة (الرابطة الأدبية) الدمشقية عام ١٩٢٢ [١].

وهذه بعض أبياتها:

لله شُبّانُ البلادِ وشيبُــــــــها	باسم البلاد على الجذوع تُعلَقُ
يتقدّمون إلي الردى بتبســــم	لا يرهبونَ الموتَ وهو مُحَــقَقُ
لِيَكلْ لنا الأوغــادُ ماشاءوا أذىً	لا بدَّ أنّ الظلمَ يومًا يُــــحقُ
نقموا علينا أن نحبَّ بلادنَــــا	والحبُّ في شرع الإلهِ مصــدق
وقَضُوا علىَّ بأن أزجَّ بمحبــــسٍ	من دونهِ بابُ المسرَّةِ مُغلَــقُ
زَعَموا بأن السجنَ يُوهِنُ عزمتى	يابئسَ مازعم الظلوم الأحمقُ!

ومن تلك الفترة أيضا هذه الأبيات " لحليم دموس" يصف فيها سجنه بعاليه [٢]:

---

(١) راجع القصدة بتمامها في المجلة المشار إليها: الجزء الخامس من السنة الأولى ، ص٢٨٢.

(٢) ديوان حليم دموس ص ٢٠٦.

أنا في سجني وحيدٌ أحتسي	خمرةَ الأتراحِ لا خمرَ الدِّنانِ
مُهمل في غرفةٍ مظلمةٍ	لو مشى :" السفاحُ"فيها لايراني!
ليس لي ذنب سوى حريةٍ	سبَّبت سجني وقهري وهواني
أيها الظّلام جُوروا واحكموا	وأزرعوا الويلاتِ في كل مكانِ
فغداً ينشقّ جلباب الدّجى	ونرى في مطلع الفجر الأماني

- هذه الأبيات لحليم دموس وتلك الأبيات لمحمد الشريفي تمثّل ماكان يلقاه الفكر العربي آنئذ من اضطهاد في ظلمات السجون . وفي أبيات الشريفي إشارة واضحة إلى شهداء السادس من أيار، ولقائهم الموت وهم يرددون الأهازيج الوطنية ، ويتحدّون جلاديهم (١)

- لهذا فاقت أبيات " الشريفي " بمعانيها أبيات صاحبة " دموس" فشتان مابينهما.!

- ثم توالي رثاء الشهداء ، ،وهجاء السفاح - قاتل الأبرياء - علي غرار ماجاء في شعر " نعمان نصر اللبناني (٢) عام ١٩١٩م:

شهداءَ الظلمِ قُوموا وانظُروا	ناشراتِ الحق تَطوى الجور طيًا
هذهِ الأرضُ سقاها دمكم	فبحقٍ أنبتتْ عدلاً جَنيّــا

إلي أن يقول:

ماجمالُ غيرُ نذلٍ ظالمٍ	وشَقيٌّ تركَ العصرَ شَقيّــا
ماذكرناه ولم نجزلْ له	جُملَ اللعنِ صباحاً وعَشيًا (٣)

---

(١) محاضرات عن شعر الحماسة د. الطرابلس ص ٥٥-٥٧.

(٢) ولد في قلحات قضاء الكورة عام ١٩٠٢م أنشأ مدرسة الصفا، نظم الشعر في الثانية عشرة من عمره - توفي وهو يلقي الدروس على تلاميذه عام ١٩٢٤م.

(٣) محاضرات عن شعر الحماسة ص ٢٨٦ وشقائق النعمان ص ١٧.

وقد اقتنع العربُ بأن السيرَ نحو الاتحاد هو طريق الأمة الطبعى ، وغاية مسعاها السياسى ، والسبب الذى من أجله بذل شهداء القومية العربية دماءهم . فحياة العرب الكريمة مرهونة بعيشهم في إطار دولة حرة مستقلة وقد صور الشيخ " عارف الحر" ذلك فى قصيدته :" ياشهيد " عام ١٩٣٩م وفيها يقول :[١]

يابني العُرب وهذى دعوة	تصلُ الشام بأنحا يثرب
تمزج الدجلة فى النيل كما	تَربط الشرقَ بأقصى المغْرب
هى ذكرى شهداء جاهدوا	والأمانى مثل برقٍ خُلَّب

إلى أن يقول:

بذلوا الأنفس لمّا علموا	أنّ بالبذلِ حياةَ العرب
عاشَ شعبٌ طلبَ استقلالَه	مُستميتاً دونَ ذاكَ المطلب

حقا لقد كان إعدام جمال باشا أحرار الشام إبان الحرب الكبرى نقطة تحول فى مشاعر العرب القومية ، إذ فتح هذا العمل الطائش أعينهم على أن الدين وحده ليس بوسعه أن يؤلف بين عنصرى الأمبراطورية المتداعية.......

وقد أدرك الشعراء مغزى هذا التنكيل ... وأن ذلك يرجع إلي نزعتهم القومية الخالصة، وأن هذا الإنتقام هو ذروة الصراع بين القوميتين الرئيسيتين فى الدولة العثمانية . وهنا " بشير يموت " يعبر عن ذلك في صدد رثائه " لعمر حمد" أحد الشهداء الذين بطش بهم السفاح:

ذَهبوا في حبّ أمتهم	شهداءُ الفضل والشيم
ذَنْبهم في الدهر أنهمُ	عُرْبٌ للتركِ لم تنم

---

(١) الشعر والوطنية ص ٣٤٠ ومجلة العرفان م ٢٩/ ١٩٣٩م ص ٦٨٤.

وَيردُّ الزهاوى القضية إلى جوهرها القومى فى قصيدته " النائحة":

لعمرك ليسَ الأمرُ ذنباً أصابه ... قِصاصٌ، ولكن يَعْربٌ ومغولُ!

كما يعبر عن الفكرة نفسها فيما بعد " محمد العدنانى " ذاكراً أولئك الشهداء:

وماوِزرهم إلا إباءُ نفوسِهم ... وأنَّهم عربٌ فياحبذا الوزرُ!(١)

- هكذا كانت فظائع جمال باشا سببا فى تحول كثر من الشعراء عن شعور الولاء للدولة العثمانية، والتفكير جدياً فى الاستقلال ..... وقد أوضح " خليل مردم بك"هذا الشعور بقصيدة مطولة ، تشيع فيها روح الاغتباط بطرد الترك من بلاد الشام - إثر انتهاء الحرب- منها قوله: (٢).

أُحلّتْ ذُراهم واستُبيحَ حِمـــاهُم ... وسِيموا هَواناً سادةً ومَواليـــا

يُساقون باسم الدّينِ للموتِ عَنوةً ... وهل كان إلا منهمُ الموتَ ناشيا

لوتْ منهم الأسبابُ أسبابَ صَلبهم ... رؤوسًا من العلْياءِ كانت دوانيا!

-٢-

إعلان الثورة العربية الكبري على الاتراك :

كان إعدام هذه القافلة من الشهداء سبباً في تعجيل الشريف حسين ....بإعلان الثورة العربية على الترك ، ودخول العرب الحرب إلي جانب الحلفاء في الأيام الأولي من يونيو(حزيران)١٩١٦م أى بعد شهر واحد من تعليق الشهداء على المشانق، وقبل أن تجف دماؤهم المطلولة ، واستطاع شعراء العرب في الشام - ولاسيما من استطاع منهم الإفلات من قبضة الترك - أن يطلقوا العنان لعواطفهم، فيمجدوا ثورتهم ويغنوا لمواكب المجد أناشيد النصر والفخار(٣).

---

(١) د.عمر وقاق. الإتجاه القومى فى الشعر العربى الحديث ص ٢٠٣.

(٢) المرجع السابق ص ٤٣، وديوان خليل مردم بك ٢٨٧.

(٣) راجع محاضرات عن شعر الحماسة والعروبة فى بلاد الشام د. أمجد الطرابلسى ص٦١.

- ولم تكن إنجلترا بعيدة عن تلك الأحداث والخلافات الجارية بين العرب والترك ، ومن ثم بدأت الخطوة الأولى لتحطيم العرب والترك معا ، والوصول إلي خلق أسفين صهيوني فى قلب العالم العربي ، فأرسلت كتابا إلى الشريف حسين في أغسطس ١٩١٤م موجزة:

(أن بريطانيا تشكر الشريف على خدمة الأماكن المقدسة، وسهره على راحة الحجاج.!) ثم دست عبارة هامة ومثيرة:

(وانها لا تعارض فى إرجاع الخلافة إلى العرب)!

وظلت تلك الرسالة تختمر فى ذهن الشريف ، وتزدها الأحداث أهمية منذ إرسالها حتى قيام الثورة المسلحة. وكان من الحيثيات الداعية للثورة: قضية المعتقلين السياسيين الذين كبلهم جمال باشا والتى أخذت دورها لدى مجامع العرب، فأرسل الشريف إلى أنور باشا وزير الحربية برقية هامة طالب فيها بضمان حكم داخل نظام الدولة العثمانية وهذا نصها:

" إن خروج الدولة العلية منصورة من الحرب الحاضرة يتوقف علي اشتراك جميع العناصر العثمانية فيها، ولاسيما العرب، والجانب الأهم من ميادين القتال فى بلادهم وتأييدهم لها قلبا وقالبا فى نضالها. ويلوح لي أن إرضاء الشعب العربى يتوقف على مداواة قلبه الذى جرحه إتهام عدد كبير من أبنائه بتهم سياسية مختلفة والقبض عليهم، ومحاكمتهم أمام المحاكم العسكرية بالدواء التالي:

١- إعلان العفو العام عن المتهمين السياسيين.

٢- إنالة سوريا ماتطلبه من إستقلال مركزى.

٣- جعل إمارة " مكة" وراثية فى أولادى......".

وكان الرد على شريف مكة عنيفا . جاء فيه:

ولما كان طلب إعلان عفو عن بعض المتهمين ، وتطبيق نظام اللامركزية

بسوريا واستبقاء إمارة " مكة " فى شخصكم السامى وفى أولادكم خارجا عن اختصاصكم ، فالاستمرار فى طلبه ليس من مصلحتكم .....![١].

وكان الشريف يمر ساعتئذ بأزمة نفسية حادة ، وصراع بين الغريزة والروح إنها أزمة الإقدام على قرار خطير يحارب به الدولة التي إرتبط بها العرب أربعة قرون، واختلط أثناءها الدم العربى بالدم التركى، وسالا فى معارك طويلة ضد البلغار والروس واليونان. إلا أنه بعد تلك الردود الجافة من قبل الدولة العلية إجتمع هو وأبناؤه الأربعة : على وعبد الله وفيصل وزيد بالطائف ، وعقدوا مؤتمرا قرروا فيه : إعلان الثـورة بالإتفاق مع الإنجليز على أساس تحرير العرب واستقلالهم، ودارت مراسلات هامة بين الشريف حسين والسير مكماهون مسجلة على صفحات التاريخ.

وفى العاشر من حزيران ١٩١٦م أطلق الشريف حسين الرصاصة الأولى على الثكنة التركية ، وهى الإشارة المتفق عليها فيما بينه وبين رجاله للشروع بالهجوم، وكانت تلك الثورة المسلحة أشد محنة واجهت الترك حينذاك وأسهمت فى دك عرشهم.! تلك الثورة التي تبشر بالخير خاصة وأنها اتسمت بالطابع العربى، والتى عبر عنها الشاعر القروى فى قصيدته:" الهاشمية" وقد نظمها -- كما يقول - حين هبَّ الشرفاء (حسين بن على وأنجاله) لتحريرالعرب من نير الترك، والشاعر يمجد الثائر وأعوانه، ويلوّح بأن الثورة لا تخلو من الطابع الإسلامى فيقول عن الشريف حسين:[٢].

عادَ الرَّشيدُ وعَادَ باهرُعصـــره	سبحانَ من بعثَ الحُسين لنشره
ملكٌ على الإسلام أبدى غَيْرةً	قرَّتْ بها عينُ الرسول بقبـــره

(١) راجع جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن . صالح مسعود ص ٣٦-٤٠، ٤٦.

(٢) ديوانه ط وزارة التربية والتعليم بالقاهرة ص ١٩٩- ٢٠٠ والشعر القومى فى المهجر الجنوبى .ص٢٤٩.

نصرَ المروءةَ ، والمسيحُ وأحمدُ ... يتبادلان التهنئاتِ بنصرهِ

لما رأى الدينَ الحنيفَ مُهدداً ... ورأى المهدَ مُمعناً في كفرهِ

ورأى العروبةَ تستعينُ بربِّها ... من جَور طوران الغريب وغدرهِ

لبّىَ فجرَّدَ سيفَه من غِمدهِ ... بل قلْ فجرَّدَ عزمَه من صبرهِ!

ودعا الأسودَ من القِفار فأقبلوا ... يتسابقون إلى إطاعةِ أمرهِ

- كما عبَّر عن هذا المعنى: أبو الفضل الوليد في قصيدة أسماها " الدولة العربية" وفيها يقول: [١].

اللهُ أكبر عادتْ دولةُ العُرْبِ ... بشرى لهارونَ والمأمون في التُّربِ

دمشقُ حنَّتْ إلى بغدادَ واضطربتْ ... مِصرُ التي هي دارُ العلمِ والأدبِ

ومع أن الشريف حسين كان يعدُّ بطلا في نظر كثير من العرب أول الأمر فإن غالبية المصريين وطائفة من بلاد الشام نظروا إليه بمنظار آخر. يقول الأستاذ مصطفى الشهابي: [٢] " ويخطيء من يظن أن الثورة العربية قامت على أكتاف الحسين بن علي الهاشمي وآله وحدهم، فالحقيقة أن تلك الثورة كانت ثورة الشعوب العربية التابعة للدولة العثمانية، وما من عربي استطاع أن يؤازر الثورة أو أن يلتحق بها إلا أقدم على ذلك عن طيبة خاطر".

والشريف حسين منذ أن ثار على الخلافة التركية وتحالف مع أعدائهم الإنكليز ثم أخذت هالة البطولة تنحسر من حوله بعد أن تكشفت للعرب مطامعه الشخصية . ولئن عزَّ على كثير من العرب الذين تجلت مشاعرهم على ألسنة

---

(١) عبر الدقاق ص ٢٩٢ وديوان الأنفاس الملتهبة / ٨٥.

(٢) محاضرات عن القومية العربية. مصطفي الشهابي ص١١٤ ط معهد الدراسات العربية.

شعرائهم أن يفجعوا بسياسة زعيمهم وآثروا التماس العذر له أن فئة أخرى من الشعراء صدعت بالحق دون أن تأخذها فيه لومة لائم. ومما لم يرق لهم آنذاك إصرار الحسين على استخلاص الخلافة لنفسه والعرب في أوج صراعهم مع الإحتلال، وقد كان لا يترددفي كسب تأييد الإنكليز لبلوغ هذه الغاية [١].

وممن نددوا بمسلك شريف مكة ، الشاعر " الزركلي " الذى خاطبه - فى جرأة - قائلا[٢]:

طالَ انقيادُك للخُصـــومْ	وأنتَ [٣]أدرى ما الخصومْ !
الإنكليزُ ومـــــاأرا	ك بأمرهم غير العلـــيم
مافى جموعـــهم وإنْ	حدبوا عليك سِــوى غريمْ
عجبًا لمن طلب الخــلا	فة والخلافة فى النجــوم !

إلي أن يقول:-

ما عرشُ " مكةَ " بالإمـا	رة فى " ثقيفٍ " أو " تميـم "
عصر البداوة قد تَــوا	رى عهده بين الغيـــوم
لهفى على أهل الجــزيـ	ـرة فى السهول وفي الحزوم
يتخبطون من العمـــا	ية في دجــىً حلكٍ بهيمْ

وبعـــد :

فهذه صورة موجزة عن الأحداث العامة حينئذ، وهى صورة مليئة بالخطوط المتعارضة، وبالظلال الكثيفة السوداء ، التى لاريب : أن جمالا(حاكم الشام) - والذى لقب بالسفاح - يتحمل فيها الوزر الأكبر، والإثم التاريخى الكبير، فهـو

---

(١) د. عمر دقاق ص ٣٣٤.

(٢) ديوان الزركلى ص ٧٦- ٧٩ ط ١/ بيروت .

(٣) هكذا فى الديوان والصواب :(ولأنت) حتى يستقيم البيت على" مجزوء الكامل " المذيل

راسمها وطابعها، وهو الذي عبّد الطريق أمام الإنجليز في التغرير بالشريف حسين وقومه العرب، فكانت أسباب الثورة العربية أكثر دفعا، وأشد تحمسًا لدى العرب[1]

- وقد اتّضح أن إعدام شهداء السادس من أيار كان من العوامل المعجلة لإعلان الثورة، ويكفي أنها قامت بعد أسابيع من إعدام الشهداء.

- والحقيقة: أن العرب لم تتصد للأتراك على الصعيد القومي إلا بعد محاولتهم القضاء على النزعات القومية باستخدام وسائل العنف المختلفة.

- والجدير بالذكر: أنه لا يخلو شاعر عاش تلك الحقبة أو مابعدها دون أن يدلي بقول فيه في هذا الحدث وأن يندد بطغيان جمال باشا من هجاء له أو رثاء للشهداء أو تحريض على الثورة ضد حكمه ......، من أجل ذلك كان هناك رصيد ضخم من الأشعار العربية أفادت المكتبة العربية" ورب ضارة نافعة" ويبقي ماأثارته الأحداث من تضارب في النزعات الأدبية خلال تلك الحقبة شاهدا على أهميتها.

-٤-

مصرع السفاح جمال باشا:

إن أمة لم يخرج بين صفوفها فدائي بطل يثأر من السفاح جمال لجدير بها ألا تندب شهداؤها بل عليها أن تندب ما اعتورها في ذلك العهد من وهن وتخاذل، إذ لولا الفدائيون الأرمن، الذين لاحقوا زعماء الاتحاديين، وفتكوا بهم، لما شفى غليل القلوب من الثأر والانتقام.

- قضى جمال باشا في سورية من كانون الأول سنة ١٩١٤ إلي شهر كانون الأول سنة ١٩١٧، وقد انسحب من البلاد بنهاية الحرب يحمل مانهبه من ملايين الليرات الذهبية، وعلى أثر انتهاء الحرب العالمية ذهب جمال باشا إلى كابول بدعوة

---

(١) راجع جهاد شعب فلسطين ص٤٤.

من ملك الأفغان لتنظيم الجيش الأفغانى وقد أوفده الملك إلي فرنسا لشراء السلاح والعتاد اللازم للجيش.

وفي بلدة "تفليس" سنة ١٩٢١م (١) إغتاله الأرمن على يد الفدائى البطل "أسطفان زاغيكيان" وكان السفاح قد فتك بوجهاء الأرمن الذين كانوا يعيشون آمنين مع إخوانهم العرب باللاذقية (بيروت) حيث وُشى بهم فصدر أمر عسكرى من جمال باشا بنقلهم إلي حماه قسرًا من منازلهم ثم أطلق عليهم الجنود النار فأعدموهم جميًعا متذرعين بحجة محاولتهم الفرار- وهى حجة كاذبة لم يقتنع بها أحد.

وهكذا ثأر الأرمن لأنفسهم من الطاغية جمال، دون أن تتحقق أمانيه بإعلان نفسه ملكاً علي البلاد العربية !. (٢)

---

(١) فى (المنجد فى اللغة والأعلام) عام ١٩٢٢م.

(٢) بيروت ولبنان فى عهد آل عثمان ص ١٦٤ وشهداء الحرب العالمية الكبرى ص ٢٢٣، ٢٣٥.

الباب الثانى

الأدباء الشهداء

(حياتهم وآثارهم)

الفصل الأول

من شهداء دمشق

١- الشيخ عبد الحميد الزهراوى
٢- شكرى بك العسلى
٣- رفيق رزق سلوم

تمهيد :

بدهيٌّ ليس كلُّ الشهداء أدباء ، وليس كلُّ الأدباء أمكن العثورُ على آثارهم الأدبية بل كما قيل لي: " دفن السفاح مع الشهداء آثارهم "! اللهم شذرات متفرقة هنا وهناك.

- وقد أمكن الوقوف على ثمانيةِ شهداء ، وهاهم أولاء حسب ترتيب إعدامهم:

الشهيد عبد الحميد الزهراوي

(١٢٨٨- ١٣٣٤هـ) (١٨٧١- ١٩١٦م)(١)

أصله ونشأته: ولد شهيد الوطنية والعروبة الفقيد المرحوم عبد الحميد ابن محمد شاكر بن السيد ابراهيم الزهراوي بمدينة حمص سنة(١٢٨٨) هجرية (١٨٧١) ميلادية [٢] من أسرة عريقة فى قدمها ووجاهتها ، وهى تنحدر من أصلاب سيدنا الحسين رضى الله عنه .

درس علومه على علماء عصره وأجهد نفسه على التحصيل ومطالعة الكتب فى كل فن حتى بلغ فى ثقافته شأواً عظيما .

---

(١) راجع شهداء الحرب العالمية الكبرى أدهم آل جندى ص ٩٧-٩٩ والأعلام للزركلى جـ٤ ص٥٧.

(٢) فى الأعلام اختلاف فى تاريخ مولده هكذا (١٢٧٢هـ- ١٨٥٥م).

- فى ميدان الصحافة :

وفي سنة (١٨٩٠) ميلادية، سافر إلى الآستانة بقصد السياحة ، فأقام فيها برهة وجيزة، ثم سافر منها إلي مصر وهناك اجتمع بكثير من الفضلاء والأدباء، وجرت بينه وبينهم مطارحات شعرية إرتجالية، فكان موضع الإعجاب والتقدير، وبعدها رجع إلى حمص فأصدر جريدة سماها (المنبر)فكان ينتقد فيها أعمال الحكومة وجورها وعسفها ، والحكومة تهتم لمنعها ومصادرة أعدادها.

وفى سنة (١٨٩٥)م سافر ثانية إلى الآستانة بقصد التجارة. ولما كان المجتمع العربى والوضع السياسى بحاجة إليه، فقد ترك التجارة وعكف علي مطالعة العلوم والفنون فى دور المكتبة العمومية، وكان يحرر في جريدة (المعلومات) العربية المقالات الأدبية والإصلاحية فكان يَراعُه كالمهند الصارم شديد الوطأة فى ذلك العهد، فوضعه " السلطان عبد الحميد" تحت المراقبة عين قاضيا لاحد الألوية فلم يقبل، وكان القصد من تعيينه إبعاده عن جو العاصمة للحد من دعاياته وأفكاره المؤثرة . وبعد أن أوقف تحت المراقبة أربعة أشهر أرسل إلى دمشق(بإقامة جبرية) براتب شهرى قدره خمسمائه قرش ذهبى .

كما كان - رحمة الله - من مؤسسي حزب الحرية والائتلاف فى المعارض لحزب " الإتحاد والترقى ".

محنته :

لما نشبت الحرب العالمية، وأعلن جمال باشا " الإدارة العرفية" وظهرت نيته فى الانتقام من رجالات العرب ونوابغهم - لقى الشهيد " عبد الحميد" نفس المصير من حيث القبض عليه، ثم الفتك به مصلوبا (دون محاكمة ولاسؤال)!!.

خلاصة قرار الإتهام والحكم بإعدامه:

" كان مؤسسًا للمنتدى الأدبى ، [١] ومروّجًا لبرنامجه السرى ، وانوجد فى رئاسة "جمعية اللامركزيين " ومذكراتها السرية، [٢] واشترك في موتمر باريس [٣] رئيسا له بصفته مندوبا عن الجمعية المذكورة ، وتولى إدارة الأملاك التى أوقفها" عزت العابد" للسعي فى تحقيق أمر الاستقلال العربى وعقب المؤتمر ذهب إلي مصر وتولي رئاسة اللامركزيين ، وبعد أن عين عضوا فى الأعيان لم يفك ارتباطه باللامركزيه ، بل إنه لم يقبل عضوية الأعيان إلا بعد صدور قرار جمعية اللامركزية فى ذلك، وكان في مخابرات مع منسوبى اللامركزية في سورية إلى الأيام الأخيرة".

وفى ليلة السبت ٤ رجب سنة (١٣٣٤) هجرية و ٦ أيار سنة ١٩١٦ ميلادية صلب هذا النابغة العظيم بدمشق الشام مع جملة من وجهاء البلاد السورية بلا محاكمة ولا سؤال. ودفن فى مقبرة باب الصغير بدمشق.

وكان لسان حاله يقول: [٤].

ياجَزَعُ نُحْ وابكِ واندُبْ جثةٌ خُلقتْ ... من يوم (قالوا بلى) للضَّنك والمحن

وَحيِّ أهلاً وجيراناً وآونــــةً ... حَيِّ الرفاقَ وحَيِّ ســائرَ الوطن

---

(١) أسس المنتدى الأدبى سنة ١٩٠٩م ليكون مركزا للشباب العربى فى العاصمة التركية لإقامة المحاضرات فيه، وتمثيل الروايات العربية، ورصد ريعها له(شهداء الحرب العالمية ص١٣.).

(٢) تأسست فى مصر عام ١٩١٢م وكانت تضم حزبا سياسيا له برنامجه القومى العربى، والغاية منه: إظهار الإدارة اللامركزية فى السلطنة العثمانية والمطالبة بحكومة تؤسس على قواعد اللامركزية فى جميع ولايات الدولة العثمانية.

(٣) هو أبرز ناحية فى حياة اللامركزية .

(٤) شهداء الحرب العالمية /٩٩.

- حبًا بصالحهم أضحيتُ فَدَيتُهمُ   ليقْطِفوا ثَمراً من راحتى جني

من آثاره الأدبية :

١- مؤلفاته :

كتب الشهيد الزهراوى خلال إقامته بدمشق رسالة في :" الإمامة " ورسالة في:" الفقة والتصوف " نقد فيهما بعض المسائل ، وبحث فى الاجتهاد فثار عليه العامة بإغراء بعض المحرضين من العلماء.

ولما جمعهم الوالى " ناظم باشا" فى مجلسه لمباحثته ومناظرته فى موضوع رسالتيه انتصر عليهم بقوة حجته الدامغة، ولما عجزوا عن إدراك غايتهم عمدوا إلي التلفيق، فكانت الإيحاءات السياسية المسندة إليه كافية لإبعاده عن دمشق، فأرسل مخفورا إلى استانبول ثم إلى وطنه حمص (بإقامة إجبارية).

- كما أنتجت قريحته الوقّادة عدة مؤلفات منها : كتاب :" نظام الحب والبغض وكتاب :" السيدة خديجة أم المؤمنين"- مترجم مطبوع - ورسالة في : " النحو" ورسالة في:" المنطق" ورسالة فى " علوم البلاغة والمعانى والبيان والبديع " وكتاب فى:"الفقه".

وللشهيد مخطوطات كثيرة بقيت مسودة بخطه اغتالتها يد الأتراك عندما جيء به من الآستانة إلى الديوان العرفي (بعاليه).(١).

٢- مقالاته :

وفى سنة ١٩٠٢م ضاق ذرعا بإقامته الإجبارية ففر هاربا من حمص إلي مصر واشترك في إدارة تحرير جريدة (المؤيد) المصرية ونشر فيها مقالات مفيدة مشهورة.

---

(١) شهداء الحرب العالمية الكبرى ص /٩٨.

ولما حصل الانقلاب العثماني وأعلن الدستور إنتخب نائبا عن حمص فى مجلس المبعوثين - النواب- وخلال الدورة الأولي لمجلس المبعوثين أصدر الشهيد فى الأستانة " جريدة الحضارة " كما أسس - رحمة الله - المنتدى الأدبى سنة ١٩٠٩م ليكون مركزا للشباب العربى بتركيا لإقامة المحاضرات وتمثيل الروايات العربية.

- وكان قد انتخب الشهيد الزهراوى رئيسا للمؤتمر الذي عقده الشباب الأحرار بباريس لمطالبة الحكومة التركية بالإصلاحات اللازمة لبلاد العرب.

- وقد أدلى الزهراوى بحديث لمحرر جريدة :" الطان " عن أسباب عقد المؤتمر بقوله: [(١)]" إن العرب يؤلفون عنصرا مهما بعدده إن لم تقل عنه إنه أهم العناصر العثمانية كلها، ولهذا العنصر مزية على العناصر الأخرى بوحدة لغته وعاداته وميوله.. وإن هذه الصفات أحدثت له حقوقا كانت مهملة حتى الساعة، ولذلك جئنا لنطلب، بصفتنا عثمانيين ، أن نشترك بالإدارة العامة وأن نعرض على الحكومة بصفتنا عربا ، مطالب خاصة بقوميتنا".

ثم قال:" إن حوادث بيروت الأخيرة أى اضطهاد الجمعية الإصلاحية وسجن فريق من أعضائها - برهنت لنا على قدر الحرية التى يمكن أن يتمتع بها مؤتمر يعقد فى سوريا ، وقد رأينا من جهة أخرى أن نسمع مطالبنا ، ونفهم رأينا لأوروبا التى تزداد مصالحها أهمية فى البلاد العثمانية يوما بعد يوم. وفضلنا باريس علي غيرها من عواصم أوروبا لأن الجالية العربية فيها أكثر عدداً منها فى سائر العواصم".

- وقد اهتمت الحكومة الاتحادية لوجوده بباريس، فأوفدت إليه وفدا لإقناعه بالعودة وإجابة مطالبة، فعاد إلي الأستانة وعين عضوا في مجلس الأعيان ليشرف على إنجاز وعدهم !

---

(١) الأدب والقومية فى سوريا ص ١٢٢.

إلا أن تعيينه عضوًا بمجلس الأعيان أثار جماعة من شباب العرب ! وعلى أثر ما لقى الشهيد من عنت ونقد لقبوله عضوية مجلس الأعيان، بعث إلي صديقه الشيخ:" رشيد رضا " صاحب مجلة المنار الإسلامية والركن البارز في حزب اللامركزية - رسالة سرية في ١٦ كانون الثاني ١٩١٤م....قال فيها: (١).

" كنت قد فصّلتُ لكم إذ جئتُ باريس، كيف وجدت أمر مؤسسى فكرة المؤتمر فوضى ، وكيف تعبنا في ستر الأمر وإيجاد المؤتمر ، وبعد إنقضاء المؤتمر تفرّق الجمع الذى لفق تلفيقاً ثم بعد قليل نفذ صبر البيروتين، فذهبوا إلي بلادهم عن طريق إستانبول، وبقيت ياعزيزى وحدى أمثّل الفكرة، وبقي/ خليل زينيه وأيوب ثابت، وهما لم يرشفا من مشرب الجامعة العربية ولا قطره واحدة، حتى ولا من الجامعة السورية ... لو عجلت تلك الأيام ورجعت على الفور إلى مصر، لبقيت والمسألة مقطوعة بتراء ، فيكثر استهزاء الأفراد والجماعة والأقوام ...إلى آخر الرسالة التى تعد نصاً تاريخياً وأدبياً هاما- لهذه المناسبة:-

فكرة الجامعة الإسلامية:

- وقد هاجم الشهيد فكرة " الجامعة الإسلامية" - التى هى فى مقابل الوحدة المسيحية - وسفّه أحلام الداعين لهذا الوهم الذى لايقوم على أساس من الواقع وأن ذلك الخاطر الساذج هو من مظاهر السياسة الأوروبية في الشرق فقد علمنا التاريخ وطبائع البشر أنه لاشىء يجمع بين الناس إلا المنافع.....!

ومما يصور هذه المهاجمة لفكرة الجامعة الاسلامية ذلك المقال للشهيدالزهراوى عن السنوسية والجامعة الإسلامية جاء فيه: (٢).

" ما الجامعة الإسلامية إلا اتفاق فى كلمة واحدة، وهي أن القرآن كتاب الله جاء به محمد رسول الله . ولكن المطلع علي تاريخ المتفقين هذا الإتفاق يعلم أنه لم يدفع عنهم الاختلاف الذى لا اتفاق معه بعد . فمنذ اختلف المسلمــــون ثُلِثتْ

---

(١) راجع الرسالة كاملة فى : شهداء الحرب العالمية ص ٢٥- ٢٨.

(٢) الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر د. محمد محمد حسين جـ١ / ١٠٣- ١٠٤.

جامعتهم ، ولم يتفقوا اتفاقا سياسيا بعد عهد عمر، ولا اتفاقا دينيا بعد عهد على. فما هى جامعة قوم مختلفين منذ ثلاثة عشر قرنا اختلافا سياسيا واختلافا دينيا ، يقتل بعضهم بعضا ، ويستعين على بعض بأهل الملل المخالفة من الأساس؟ ما هي جامعة قوم يسر ملوكهم المختلفون بذهاب ممالك ملوك آخرين منهم ؟... ماهى جامعة قوم حدثنا التاريخ من حديثهم أن أجنبيا شرقيا " هولاكو " إكتسح بلادهم وهم فى عزهم ، فلم تتضام أيديهم على مقاتلته، وكانت لاتزال قوية على قتال بعضها بعضا ؟.....وحدثنا التاريخ من حديثهم أن أجنبيا غريباً من " الصليبيين " هاجم بلادهم ، فلم يجتمعوا كلهم على طرده، حتى حركت الهمة طائفة منهم قويت وحدها على صده؟".

٣-فتاواه الإسلامية :

وفي هذه الفترة طرحت جريدة المؤيد المصرية فى عهد السلطان عبد الحميد سؤالا علي العالم الإسلامى مفاده (هل يصلح السلطان عبد الحميد أن يكون خليفة المسلمين - ولماذا) ؟....

فأتتها الردود من مختلف الأقطار الإسلامية ،، وكان أبرز الردود وأقواها وأفضلها رد الشهيد المرحوم عبد الحميد الزهراوى إذ وضع (٢٢) بندًا يثبت فيها أن السلطان عبد الحميد لايصلح أن يكون خليفة ويجب خلعه، وقد وردت نسخة من الجريدة فى البريد السياسى إلى الشهيد الأجلّ، فقص المقالة واحتفظ بها فى جيبه وكانت بتوقيع (ع.ز) .

- وصدف أن أصدر الزهراوى آنئذ رسالة فى الطلاق ، وقد أحدثت ضجة كبرى، وقامت قيامة العلماء ، فانهالوا ببرقياتهم على الباب العالي مستنكرين هذه الرسالة زاعمين بأن الزهراوى قد أضاع الدين ، فتلقى الوالي أمرًا بالتحقيق عن هذه الشكوى، وكان بين الوالي ناظم باشا والشهيد الزهراوى خصومه شديدة، وكان

الزهراوى يوصم الوالي بأنه عبد لأ سياد والعبد له حكم ، والحر له حكم في الشرع، وكانت هذه العبارة تؤلم الوالي كثيرا ، وبقيت الخصومة بينهما لدرجة أن أحدَهما إذا ذكر إسمه أمام الآخر يرتعش وينتفض لذكراه .

ولما ورد الأمر بالتحقيق عن رسالة الطلاق ، كان الزهراوى يقضى السهرة فى بيت (آل اكريبوز) فى حى قولى بسوقساروجه ، فأتى المفوض وأبلغه بلزوم حضوره لمقابلة الوالي، وفى الطريق تذكر الزهراوى المقال الموجود فى جيبه، وخشي أن يفتش ويعثر عليه فى جيوبه ، وهناك الطامة الكبرى، فاستأذن الزهراى المفوض بالدخول إلي مراحيض جامع الورد لقضاء حاجته، وبينما كان الزهراوى يمزق المقال ويهم بإلقائه فى المرحاض كانت يد المفوض تنقض على يد الزهراوى ، فهاجمه واغتصب من يده أوراقا ممزقة وسار حتى دخل علي الوالي مضطربا.

- أما المفوض فقد أعطى المقال الممزق إلي كاتب الوالي الذى جمعه بسرعة وقدمه للوالي، وهنا بدت علائم الاضطراب والقلق جلية فى محيّا الزهراوى، فنظر الوالى إلي الزهراوى وقال له، ماهذا يازهراوى، سأبعث بك وبهذا المقال إلي استانبول بدون تعليق، فماذا ترى ؟.

وهنا تجلت مكارم الأخلاق والنبل والمروءة فى الوالي الخصم الشريف فالتفت إلي الزهراوى قائلا يا أستاذ، إن فى الأتراك أحرار وليسوا كلهم بعبيد - وذلك ردا على ماكان الزهراوي وصم الوالي به ، فى أنه" عبد لأسياد".

وبعد ذلك أمر الوالى بإدخال العلماء المجتمعين لمناظرة الزهراوى، وسألهم عما يأخذونه عليه في رسالته التى أصدرها فى أحكام الطلاق، فقالوا إننا لم نقرأ هذه الرسالة بأمعان فأجابهم علام إذن خربتم الدنيا بشكواكم وزعمتم بأن الدين قد ضُيّع، وأن الزهراوى قد أساء إلى الشريعة ، وتطلبون مجازاته بأشد العقاب، ثم

هددهم أن لايعودوا لمثل هذه الشكايات والمهازل تحت طائلة العقوبات الشديدة، وأبرق إلي استانبول بالنتيجة. (١)

٤- أشعاره :

وربما جهل الناس أنه - رحمه الله - كان شاعرا مبدعا قويا فى أسلوبه. فمن ألطف شعره قصيدته العصماء التى نظمها ومنها قوله(٢).

لاتكذبنـــا(٣) بالصَّبـِــر	لا تخْدَعِينَـــا يافِكَـــرْ
إن الحقائقَ تحتَ طيِّ النَّشْـ	ـــرِ فــوقَ المُنتَظَـــرْ
لكنْ بِرؤْيَتِها دعاوىٰ النّـ	ـــاس تُعيـى مَـنْ حصرْ
وسوى سراب(٤) لم يَـــروا	والآل كم عَـزَّ النَّظَـــرْ
أنّىٰ التصوّر ياحِجَـــا	للسرِّ فى هـذى الصّـــور
الكونُ مبنيٌّ على الـــ	حركاتِ كلٌّ فــى قَـــدرْ

ومنها قوله :

دَعْ عنك دعوىٰ واستمـعْ	قولاً مفيـــدًا مختصـــرْ
الناسُ عُثْرٌ في الغـــرو	ر ولاجئونَ إلـى الغَـــررْ
دعوى بها يسلُون مـــا	يَلْقَونَ مِـــن تَعَـبٍ وضُرْ
فَهُوْ رِهانُ الكدْحِ مـــا	داموا وتلك هـى السِيَـــرْ

---

(١) شهداء الحرب العالمية الكبرى . أدهم آل جندى ص ٩٩.

(٢) أعلام الأدب والفن . أدهم آل جندى جـ١ /١٢.

(٣) هكذا فى الأصل ولعل الصواب : لاتكذبينا. (مراعاة للمعنى).

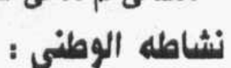
(٤) هكذا فى الأصل ولعل الصواب : وسرى سراب. (مراعاة للمعنى - أيضا).

الشهيد / شكرى بك العسلى :

(١٢٨٥- ١٣٣٤هـ) (١٨٦٨- ١٩١٦م)(١)

أصله ونشأته :

هو شكرى بن على ابن محمد بن عبد الكريم بن طالب العسلى : شهيد من زعماء النهضة العربية الحديثة . ولد في دمشق وتعلم فى مدارسها ثم فى الآستانة وتخرج سنة ١٩٠٢ في المكتب الشاهانى فى الآستانة، وعين قائم مقام فى قضاء قاش (من أعمال قونية) فى الأناضول ١٩٠٦م ثم نقل إلي قضاء المرقب ١٩٠٨ وفى السنة ذاتها نقل إلي قضاء صهيون وفى كانون الثانى سنة ١٩١٤م انتخب نائباً عن دمشق فى مجلس النواب العثمانى ثم تعاطى المحاماة.



نشاطه الوطنى :

- ومما اشتهر عنه أنه درس القضية الصهيونية وأطلع على خفاياها، فلما أراد الاتحاديون بيع ملايين الدونمات من أراضى فلسطين للصهيونيين بواسطة السمسار اليهودى " جاويد بك " وزير المالية التركى - رفع الشهيد عقيرته

---

(١) الأعلام للزركلى ج٣ / ٢٥٠ وشهداء الحرب العالمية الكبرى ص ١٠١ وفى شهداء الحرب تاريخ مولده (١٨٧٨م).

وعارض هذا المشروع الخطير ، وخطب منددًا بأضرار الصهيونية، ووقف نواب العرب يشدون أزره فأسقط ذلك المشروع ، فهو أول من برهن في مجلس النواب العثماني على استفحال أمر الصهيونية ، كما أبرز " طوابع " كانوا يستخدمونها في بريدهم!

محنته :

وشاء القدر أن يضرب الاتحاديون أحرار العرب بقيادة السفاح جمال باشا ، تنفيذا لخطة مرسومة يقصد منها الفتك بزعماء العرب، وبدهي أن يحنق الأتراك على نواب العرب لمواقفهم المناهضة للأتراك ..... وكانت النتيجة أن قبض على الشهيد وسيق به إلى الديوان العرفي، فالسجن الحربي في عاليه.

خلاصة قرار إتهامه والحكم بإعدامه :-

" كان من أعضاء اللامركزية ، ووقع على ورقة تتعلق بلجنة اللامركزية في الشام، وصرح بحب الافتراق علنا في خطابه الذى ألقاه في مصر أمام تمثال إبراهيم باشا ، وأدخل بعض إناس بالذات في جمعية اللامركزيين ".

وفي فجر يوم السبت ٦ إيار سنة ١٩١٦م أعدم شنقًا في ساحة المرجة بدمشق مع قافلة الشهداء الثانية . ولما حلت الفاجعة بإعدامه كان ولده خالد في السنة الأولى من عمره ، فنفي مع الأسرة إلى مدينة (بيله جك) في الأناضول.

من آثاره الأدبية :-[1]

١- أصدر الشهيدُ جريدة " القبس" الدمشقية اليومية مدةً ثم توقفت .

٢- وله رسالة : " القضاة والنواب" مطبوعة.

٣- وله رسالة : " الخراج في الإسلام " مطبوعة .

٤- وله : " المأمون العباسي " قصة مخطوطة.

---

(١) الأعلام جـ ٣/ ٢٥٠.

الشهيد رفيق رزق سلوم :-

(١٣٠٨- ١٣٣٤هـ) (١٨٩١- ١٩١٦) (١)

نشاته ودراسته :- ولد رفيق بن موسى بن رزق سلوم فى مدينة حمص من أبوين إرثوذ كسيين فى شهر آذار سنة ١٨٩١ ميلادية .

وفي الخامسة من عمره دخل المدرسة الروسية الإبتدائية في حمص، ولما أنهاها دخل المدرسة الإكليركية فى دير البلمند فدرس فيها أربع سنوات ونال شهادتها مبرزا على جميع أقرانه، وعاد إلي حمص وأقام فى المطرانية الأرثوذكسية حيث أخذ بعض الحساد يضايقونه ، وكانت نفسه الحرة تتوق إلي عالم الجهاد فخلع الثوب الرهبانى وسافر إلي بيروت حيث دخل الكلية الأميريكية وهناك ألف روايته (أمراض العصر الجديد) التى كان لها وقع عظيم فى الطبقة المتنورة النازعة إلى الحرية، وبعد سنة عاد إلي حمص فعرفه أستاذه باللغة التركية المرحوم خالد الحكيم بالشهيد المغفور له عبد الحميد الزهراوى الذى أشار عليه بدراسة الحقوق فى الآستانة.

محنته :

لما خاضت تركيا الحرب العالمية الأولى ، إنتظم الشهيد فى جيشها ضابطا، وكان من أعضاء اللامركزية ، وفى ٢٧ أيلول سنة ١٩١٥م قام الوشاة عليه

---

(١) شهداء الحرب العالمية الكبرى ص ١٠٣ والأعلام للزركلى جـ ٥٧/٣.

بالسعايات الكاذبة ، فقبض عليه وهو فى بيت عمه المرحوم" أنيس سلوم " بدمشق ، وسيق إلى عالية حيث قاسى الأهوال الشديدة ، بحجة أنه كاتم أسرار عبد الكريم الخليل والكاتب الخاص لعبد الحميد الزهراوى ، وبتهمة أنه كان يدبج المقالات الوطنية ، ويبعث بها إلى الصحف والمجلات ، بهدف الإثارة وطلب الاستقلال.

فى السجن الحربى : -

يقول الأستاذ فايز الخورى - وقد كان يرافقه بالسجن :-[١].

ظل الباب يفتح كل ربع ساعة ، وربع الساعة يمر ونحن [٢]واقفون على نار، بل قلْ على أحر من النار إلي أن انتهى أمر المحكوم عليهم بالإعدام ونودى" رفيق رزق سلوم" فكان آخر القافلة من الرفاق الشهداء وهو أعزهم عليَّ وأحبهم إلي قلبى، مسكين رفيق لم يشأ إلا أن يودّعنا واحدًا واحدا فلبس ثيابه وأخذ يعانق كلا منا ثلاثا ورباعا وهو يقول :

- إذكروا يا إخوان ....ترحموا على شبابنا يارفاق البؤس !

- ولما اقترب منى عانقني طويلا ولم يتمالك من أن يذرف دمعةً حارةً فسالت دموعى أيضا وضممته بشدة إلى صدرى أقبله ، فقال لي :

- أذكرنى كلما وقعت عينك على الساعة ..... وإنى لأعترف الآن بأنه يستحيل على القلم أن يصف بعض الشعور الذى يجيش في الصدر، ولاسيما صدر الشاب فى هذه الساعة.

---

(١) هذه المذكرات عن السجن الحربى للأستاذ " فايز الخورى " سفير سوريا فى لوندرة وسكرتير المنتدى الأدبى، قبض عليه فى حلب، وأدخل السجن مع بعض شهداء السادس من أيار، ،وهو شقيق السياسى المعروف : فارس الخورى . ،هذه المذكرات فى كتاب : أدباء السجون للأستاذ عبد العزيز الحلقى ص ٣٣٢ومابعدها.

(٢) أدباء السجون . عبدالعزيز الحلقى ص٣٥٨- ٣٥٩.

ولما مضى رفيق ، رحمة الله عليه وعلي جميع الرفاق ، وقف بنا ذلك الجندى اللعين الوجه والقلب وقال :

يمكنكم أن تناموا الآن !

وهاتوا لتلك العيون ، وتلك القلوب ، ساعة راحة في تلك الليلة ! فارتمينا على المقاعد ...... نبكى الرفاق - ونترحم عليهم.

كتاب رفيق رزق سلوم (١)

تلقينا من الفاضل السيد/ شاكر سلوم شقيق رزق سلوم صورة الكتاب الذى كان أرسله لوالدته وإخوته قبل إعدامه ،وهو كتاب تاريخي يصور حياته في فترة السجن والتحقيق.

" سلام وتحية وبعد: فهذه قصتى إليكم أحببت أن أذكر لكم تاريخ سجنى باختصار، وأوصيكم ببعض أمور لابد منها ، لأننى متيقن من زمن غير بعيد، أن وقت الموت قد قرب، وأنه لابد أن تشيع بعض إشاعات لاصحة لها ، لذلك أحببت أن أذكر لكم كل شيء كما وقع تماما.

- ألقت الحكومة القبضَ عليّ فى ١٤ أيلول قبل الظهر بساعة ، وأوقفتنى بسجن الضبّاط وبقيت هنالك خمسة أيام لا أعرف سبب سجني ، ويوم الجمعة صباحا أخذونى إلى عاليه للاستنطاق فسألونى عن تاريخ حياتى فى الآستانة، وتاريخ حياتى فى دمشق وعن علاقتى مع المرحوم عبد الكريم الخليل، لأنهم ادعوا بأننى كاتم أسراره ، وأننى كاتب عبد الحميد الزهراوى الخاص، وأن لى قصائد وأناشيد وطنية أحض فيها الناشئة العربية على طلب الاستقلال ، هذه هى التهمة الموجهة إليّ، وقد دفعت هذه التهم بالحجة القاطعة، وعرفت الذين وشـوا بى من بيروت

---

(١) شهداء الحرب العالمية ص/١٠٦.

ومن طرابلس الشام، ثم زاد الطين بِلّة، أحدُ رفاقي المسجونين معي ، وهو "رشدي" من غزه ، فكان يتظاهر أمامنا بالصداقة ، ويذهب إلى الديوان العرفي فيفترى عليّ بعض أمور لكي يظهر إخلاصه للحكومة ويخلص من الإعدام، لأنه اعترف عن نفسه صراحة ولم يبق له وسيلة ينقذ بها حياته إلا التجسس.

ثم بعد ذلك جاء أخي العزيز شاكر إليّ عاليه" ، وأرسلني ديوان الحرب إلي القدس لأنهم لم يجدوا عليَّ دليلاً يثبت دعواهم، وقالوا إن الذى أمر بتوقيفي جمال باشا، وأن مسألتي به رأسا ، فحبسوني بالقدس خمسة أيام عند قومندان المركز ، ثم استدعاني الباشا وألقى عليّ نفس الأسئلة التي ألقيت على في الديوان، وتهددني بالضرب وأنواع العذاب، فأجبته نفس الأسئلة التي أجبتها في الديوان، فغضب كثيرا ، ثم استدعاني إليه ثانية وحاول أن يقنعني لأقص عليه شيئا عما قام في ذهنه من الخيالات الوهمية ، فأكدت له أنني بعيد عن السياسة بعد السماء عن الأرض، وحينئذ أمرهم بأن يعذبوني، فأخذني الضابط" نور الدين" ومعه بايرام وجندي آخر إلى غرفة خاصة، وربطوا يدى ورجلي بالحبال، وبدأوا يضربونني ضربا أليما ، وأغمى على من شدة الضرب ثم أفقت فعادوا إلى ضربى ثانية، فأغمى على ثانية، ثم أفقت فعادوا إلى ضربى حتى تكسرتْ في إيديهم عدة عصى ، وأغمى ثالثة وأنا أقول لهم لا أعرف شيئا ، ثم أعطاني الضابط نور الدين قلماً وورقة، وكلّفني أن أعترف، وأعطاني فرصة مقدار ساعة وقال لي: إذا لم تعترف أحضر آلة لقلع الأظافر ، فأقلع أظافرك وأطيل عذابك ، حتى تموت وأطرحك في الوادي للوحوش، فرأيت أن إصراري بهذه الصورة يجعلهم يتوهمون أنني عالم ببعض الأمور وأصر على إنكارها ، فوعدته أنني عزمت على الاعتراف ، ورجوت أن يمهلني إلى الصباح لأن رشدي ضاع من شدة الألم، فأخذت وكتبت له بالورقة بأن المرحوم عبد الكريم الخليل كان كلفني من ست سنوات الدخول في جمعيته ، فرفضت طلبه، وإنني لا أعلم شيئا غير ذلك ، وذكرت له في الورقة تاريخ الإصلاحات، وأني كنت

من حزب عبد الحميد الزهراوى صديق الحكومة الذى رضى بالإصلاح بالرغم من معارضة الكثيرين.

الإعتراف بالجبر والإكراه :

وبعد أن قرأ الورقة ضربها في وجهى وقال هذا لايكفي، فقلت له إن لى علاقة بجمعية أخرى ولكنها ليست سياسية، ومقصدها تشويق الطلاب ليذهبوا إلى أوروبا ويتعلموا فيها، وليس فى ذلك مايخالف قانون الحكومة أو إدارتها، ثم ذكرت له أننى إستعفيت من هذه الجمعية أيضا، وقدمت إستقالتى إلى صديقى سيف الدين الخطيب ، وهذا أرسل آستعفائى إلى "توفيق الناطور" فى بيروت ، وكان سيف الدين حاضرا فاعترف أمام الباشا أننى استعفيت وأن الجميعة المذكورة لاتشتغل بالسياسة، وبعد هذا الحادث بيومين رجعت إلي عاليه وبقينا نحو خمسة وثلاثين يوما ما سألونا عن شىء.

وحضر" جمال باشا" فأمر أن يستنطقونا من جديد، فشرعوا يتهددوننا بالضرب، لأنهم رغبوا أن نوافقهم على بعض الإقرارات فرفضنا بتاتا، وهكذا استنطقونا وقضينا أثناء الاستنطاق من العذاب مايشيب له رأس الطفل، وكانت الحكومة فى أثناء ذلك توسع دائرة التحقيقات بواسطة جواسيسها وهم (.....) وغيرهم من الجواسيس، وقضينا هذه المدة ننتظر الإعدام يوما فيوما . أما عن حمص فلم تسألنى الحكومة شيئا لأنى قلت لهم إنى خرجت من حمص صغيرا، ولامعرفة لى بأحد منها أبدا، وقد صار لي من اليوم ستة أشهر وثمانية أيام ونحن ننتظر الإعدام يوما فيوما ، لأن الحكومة لا تطبق قوانينها، بل لها سياسة خاصة في هذه الحالة ، وإلا فانه لايوجد جرم فى الحقيقة أبدا، ولكن هى السياسة قاتلها الله". !

وصيتة قبل فترة الإعدام :

" هذا هو تاريخ حالتي عن حياتي في السجن، وكنت أتلقى كل هذه الأمور بصدر رحب، وكنت أضحك من هذه الأوهام وأنظر الموت كما ينظر العطشان إلى الماء , لأني مؤمن بالله وبالآخرة ، ومعتقد أن الآخرة أحسن من الدنيا وإذا كان في الموت فراق الأحباب، ففي الآخرة أجتمع بوالدي وأختي وأخي وكثيرين من أقاربي، ولايؤلمني إلا أمر واحد، وهو أنكم تعبتم كثيرا لأجلي، ولم تحصدوا شيئا من تعبكم، ولكن استشهادي هو أعظم وأشرف نتيجة تحصدونها، فتصوروا أني مسافر إلي أميركا وأني ناجح في أعمالي،وهل نجاح أعظم من هذا النجاح ؟ أنتم الآن لاتدركون معنى هذا النجاح ولكن المستقبل سيعرف حقيقتي، وحينئذ ترفعون رؤوسكم افتخارا.!

أما من جهة المعيشة فلا أخاف عليكم ، لأنكم جميعا قادرون علي تحصيل معاشكم، ولايوجد عندكم أولاد صغار وعجز، فإياكم والحزن، لأني أكره الحزن والحزاني، وثقوا بأن روحي ترفرف دائما فوقكم فأرى كل حركة من حركاتكم ، فأراكم ولاترونني، فإذا حزنتم أهرب من عندكم ، وإياكم أن تغيروا ثيابكم أو عادة من عاداتكم.

لقد تركت لكم أثراً من بعدي.: أذكر منه"كتاب الاقتصاد" وإذا وجدتم فرصة فاطبعوا كتاب" حقوق الدول" الذي نشرته في"المهذب" ، ثم اجمعوا "المقالات" التي كتبتها في"المقتطف" في رسالات خصوصية ، وإني أحمد الله لأنني عشتُ شريفًا وأموتُ شريفا ، وأما الجواسيس الذين تكلموا عنّي فأني أسامحهم ، وأكتبوا على قبري هذه الأبيات :" وإن الذي بيني وبين بني أبي ".. [1]إلخ.

ثم إنني لا أنسى الجميل والالتقاء[2] الذي لقيته في بيت عمي بالشام ، وأشكر جميع الأصدقاء الذين ساعدوني في سجني سواء مادة أو معنى ، سلام

---

(١) الأبيات ص ٦٩، ٧٠ .

(٢) في الأصل :الإلتقات .

لجميع الأقارب وعليكم أن تعتنوا بتربية أولاد أخي الثلاثة على المبادىء القومية، وعلموهم أن يعيشوا ويموتوا لأجل الوطن .

أما الدين الذى على، فهو خمسمائة ليرة ذهبية لأخى شاكر ، جزاه الله عنى خيرا ، ولاحاجة أن أوصيك يا أخى فى العائلة وأن لا يكون موتى سببا ليأسك، بل كن رجلا كبيرا كما عرفتك ، وما الحياة إلامنام أو خيال ينقضى ، فلنجتمع فى أحضان ساره وإبراهيم وحيث ندرك أن الدنيا لم تكن سوى منام رأيناه وإنقضى وليكن الله معك".

فى ٢٢ أذار ١٩١٦ رفيق رزق سلوم

تلك هى وصية الشهيد المؤمن الواثق بوعد ربه وبما أعده فى الآخره للشهداء.

خلاصة قرار الإتهام والحكم بإعدامه :

" كان يكتب الأشعار لتهييج الذين يسعون للاستقلال العربى ، وتشجيعهم كما أعترف هو بذلك ، ،وكان من الأعضاء المنسوبين للامركزية . وفى ليلة السبت ٦ أيار سنة ١٩١٦م أعدم شنقاً فى ساحة المرجة بدمشق مع قافلة الشهداء الثانية.

من آثاره الأدبية :

" نشر الشهيد مقالات بديعة فى جريدة المقتطف " والمهذب" والمقتبس" والمفيد وحمص ومجلة " لسان العرب" التى أصدرها النادى الأدبى فى الآستانة وكان يحرر فى جريدة الحضارة التى أصدرها العلامة الشهيد عبد الحميد الزهراوى، ومن مؤلفاته في هذه الآونة :(حياة البلاد فى علم الإقتصاد) وقد طبع، وكتاب (حقوق الدول) الذى يقع في نحو ٨٠٠ صفحة لم يطبع ومحفوظ عند أهل الفقيد.

ميله إلى الفن والموسيقى :

- كان للشهيد ولع شديد بالفن الموسيقى ، فأتقنَ العزف على القانون ،والعود والكمان والبيان وكان يحث إخوانه على تعلم الفن لروعته، وكانت أناشيده الحماسية الملحنة تلهب النفوس.

فى النادى الأدبى :

- كان من أشد المجدّين في إنشاء النادى العربى في الآستانة، ويهدف إلي ائتلاف العرب وصيانة حقوقهم واستقلال بلادهم ، وقد مثل هذا النادى الأدوار المهمة فى القضية العربية وأيقظ الأمة من سباتها. وكان الشهيد يجيد اللغات الروسية واليونانية والتركية والعربية، وله فى هاتين اللغتين الكتابات المفيدة والخطب الرنانة.!

بعض مواقفه الأدبية :

ولما صدر الحكم بإعدامه بعث برسالة مؤثرة إلى والدته وأخويه وأخواته وفيها يصف ماذاقه من تعذيب خلال مدة توقيفه فى السجن واستجوابه . وقد آثرنا نشرها ليطلع الملأ على ماورد فيها وقد نوه عن أسماء الأشخاص الذين وشوا به وسامحهم ونعتهم بأن الطبيعة أوجدتهم ضعفاء ، وأوصى أن يكتب على قبره الأبيات التالية [1].

وإنّ الذى بَيْني وبَيْن بَنى أبى ... وبينَ بَني عَمّي لَمُخْتَلِفٌ جِدّا
فإن أكلوا لحمى وَفَرْتُ لحومَهم ... وأن هَدَموا مَجْدى بنيتُ لهم مَجْدا
وأن ضَيّعوا عَيْنى حَفِظتُ عيونَهم ... وإن هُمْ هَوَوْا عَنّى هويتُ لهُمْ رَشدا
وإن زجَروا طيرًا بنحْس تمرّ بى ... زَجرتُ لَهُمْ طيراً تمرُّ بهم سَعْدا

- أوصى الشهيد " رفيق سلوم " بكتابة هذه الأبيات لتشابه حالته بحالة قائلها؛ فكلاهما قوبل صنيعة بالجحود والنكران ، إلا أنهما قابلا ذلك بالعفو والصفح والترفع عما يشين النفس من الرزائل.

---

(١) أعلام الأدب والفن . أدهم آل جندى جـ١ / ١٦-١٧.

- وقائل هذه الأبيات : هو الشاعر :" المُقنّع الكِنْدى " من شعراء الدولة الأموية، وكان كريمًا لايردُ سائلا.

وقد لاحظتُ اختلافا في رواية بعض تلك الأبيات المذكورة عما هي في ديوان الحماسة، ولذا آثرت ذكرها ": يقول المقنع: [1].

وإنَّ الذى بَيْني وبينَ بنى أبــي ... وبينَ بَنى عَمّي لمختلفٌ جِـــدّا

فإن يَأكلوا لحمي وَفرتُ لحومَهـــم ... وإن يَهدِموا مجدى بنيتُ لهم مَجْدا

وإن ضَيّعوا غَيبى حَفظتُ غيوبَهم ... وإن هُمْ هَووا غَيىَ هويتُ لَهمْ رُشدا

وإن زجَروا طيراً بنحْس تمرّ بـــى ... زجرتُ لهم طيراً تمرّ بهم سَعْـــدا

ولا أحملُ الحِقدَ القديمَ عليهـــم ... وليس رئيسُ القوم مَنْ يحملُ الحِقدا

لَهم جلُّ مالى إن تَتَابعَ لي غنىً ... وإنْ قلّ مالى لم أكلفْهمُ رفْـــدا

وإنىّ لعبدُ الضّيفِ مادامَ نــــازلاً ... وماشيمةٌ لي غَيْرَها تُشْبهُ العَبدَا

كان الشهيد - رحمة الله - شاعراً متينَ الأسلوب، ومن نظمه قصيدة مطولة أقتطف منهـا بعض الأبيـات، وقـد غلبت فيـهـا روح الحرية الفكرية يقول: [2].

هو الحقُّ مثلَ الشّمسِ فى الكونِ يَظْهرُ ... وليسَ يَضيرُ الشّمسَ أرمدُ يُنكرُ

سلامٌ على الحقّ المبينِ وآلــــهِ ... وكلّ امرىءٍ قد قام للحقّ ينصرُ

سلامٌ على " كونفوشيوس" وصحبـهِ ... وبُوذَا وموسى ثم عيسى المطهّرُ

سلامٌ على الهادى الأمينِ محمـــدٍ ... وكلِ رسولٍ جاءَ بالحقّ يَجْهَـــرُ

---

(١) راجع القصيدة كاملة فى : ديوان الحماسة جـ١ / ٦٠٣- ٦٠٤ ط جامعة الإمام محمد ابن سعود عام ١٤٠١هـ - ١٩٨١م تحقيق د. عبد الله عسيلان.

(٢) أعلام الأدب والفن جـ١ / ١٧.

ومنها :-

لئن كنتُ مِن أتباع عيسى فإنّني أحبُّ جميعَ المرسلينَ وأشْكُر

ولاسيّما ذاكَ القُرَيشيّ مَنْ أتى بهدي به أهلُ البسيطة أبصروا

ومنها :-

لك اليوم منى شاعر لا يهمُّه تعصُّبُ أقوام لفضلك أنكروا

رفعتَ لروح الله عيسى مكانةً وقد جاءَ عيسى قبل ذاك يبشّرُ

- ولما بلغ حكم الإعدام قال هذه الأبيات وهى آخر ماتظمه رحمه الله :

لا العُرْبُ أهلي ولا سوريةُ داري إنْ لَمْ تهبّوا لنيل الحقِّ والثار

أن غمتم عن دَمى لا كنتمُ أبداً وكان خَصْمكمُ فى المحشر البارى

أنا الذى دمُه فى الأرض منتشرٌ كأنّمَا هو نَهرٌ فى الفَلا جارِ

قُتِلتُ ظلماً وغدرًا بلْ وتضحيةً عنكم بأيدى وحوش كلّها ضارِ

فالتركَ إسمهمُ فيه قد اجتمعتْ كلُّ الرذائل من ذلٍ ومن عارِ

كَمْ أهرقوا من دم ظلما وكم هَتَكوا فى الأرض عِفّةَ زوجاتٍ وأبكارا

فاليوم مِن مَضْجعى أبدى لكم أسفى كذا أخطُّ لكم بالدّم إنذارى

كُونوا على التُرك أبطالاً ضَراغمةً صبُّوا الصواعقَ من جَمرٍ ومن نار

لا تتركوا رجلاً منهمُ يدبُّ على رجلٍ وعِفّوا عن اللاتى بأخدار

واسْتَجلبوا لى كأسًا من دِمائهمُ لأنني أبتغي شُربَ الدَّم الجَاري

صُبُّوا الدّماء على قبرى بلا أسفٍ كلّاولا جَزَعٍ هُطْلاً كمدرار

- قضي الشهيد حياته عزبا ويتقاضى إخوته راتب المواساه المخصص للشهداء .

رحمه الله وأسكنه فسيح جنته.

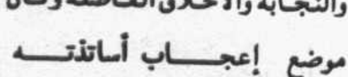
الفصل الثانى

من شهداء بيروت

١- سعيد عقل .
٢- عمر حمد
٣- عبد الغني العريسى
٤- الأمير عارف الشهابى
٥- الشيخ أحمد طبارة

الشهيد / سعيد عقل (١٨٨٨- ١٩١٦)[1]

اصله ونشأته :



هو سعيد بن فاضل بشارة عـقل، ولد في الدامـور (قـضـاء الشـوف -لبنان) سنة ١٨٨٨م وتلقى دراسته فى مدرسة غزير، ثم انتـسب إلي مـدرسـة الحكمـة المشهورة التى تخرج فيها أعلام الرجال، قـضى فيـها خمس سنوات تجلت فيها مواهبه الأدبية، وتفوق على أقـرانه فى مـراحل الدراسـة العـاليـة، فكان آية فى الذكـاء والنجـابة والأخـلاق الفـاضلة وكـان موضع إعجـــاب أساتذتـــه وتقديرهم، فتفرسوا به خيرا وهو فى فجر شبابه ، بأن مستقبله وأطواره وجولته تدل على أنه سيكون من نوابغ الرجال.

إغترابه :

سافر فى سنة ١٩٠٧ مع شقيقه وكان فى الثامنة عشرة من عـمره إلي المكسيك، وفى بلاد الغربة تفتحت مواهبه، وكانت كأكمام الورود العبقة فجادت قريحته بالنظم والنثر ، وأصدر جريدة " صدى المكسيك " واستمر إخراجها مدة نصف عام، وبعد إعلان الدستور العثمانى سنة ١٩٠٨م عـاد إلى بيـروت عـام ١٩٠٩م بعد أن وهنت صحته وضاق صدره من هواء تلك البلاد ومناخها الذى لم يوافق مزاجه الصحى .

---

(١) راجع شهداء الحرب العالمية الكبرى. أدهم آل جندى ص١١٣ والشعر والوطنية ص٥٠٥.

فى ميدان الصحافة :

أخذ - وهو فى المكسيك - يراسل صحف الهدى ومرآة الغرب في مدينة نيويورك، ثم تولى التحرير فى جريدتى " المطامير والنصير " وفى عام ١٩١١ أصدر جريدته المشهورة " البيرق" ودبج يراعه فيها مقالات وطنية رائعة، ولكن السلطات التركية كانت له بالمرصاد فأوقفتهما. وفى عام ١٩١٤ أصدر مع شقيقه يوسف جريدة " الأحوال " ثم تولى هو رئاسة تحريرها ثم توقفت. فحرر فى جريدة " لسان الحال" وجريدة " الاتحاد العثمانى " وجريدة " الثبات والإصلاح" وهذه الأخيرة كانت لسان حال الجمعية الإصلاحية ومؤتمر باريس لصاحبها- زميله فى الجهاد - الشهيد الشيخ " أحمد حسن طباره ". ثم عاد إلي التحرير فى جريدة" الأحوال" ، فتوقفت عن الصدور عند نشوب الحرب العالمية الأولى.

كما انضم سعيد عقل إلي الجمعيات السرية الاستقلالية وهو فى الثامنة عشرة من عمره وانتظم فى جمعية الاتحاد والترقى ، فجمعية الإصلاح ، فحزب اللامركزية.

وقد ذاعَ صيته كشاعر وأديب متفنن، وصحفي بارع ، فكانت الصحف تتسابق لتلقف منظوماته ومقالاته الأدبية.!

محنته :

كان لولب الحركة السياسية، وقد عمل لتحرير لبنان والبلاد العربية من النير التركى ، وقد تحقق أن الشهيد لم يقم بأية دعاية لدولة أجنبية - كما ادعى عليه- بل كان ينادى باللامركزية والاستقلال ، وهذا مايزيدنا إعجابا بوطنيته وتقديره. وكان الأمير شكيب أرسلان فى ركاب جمال السفاح أينما سار وحلّ، يمالق ، فأوشى بالشهيد عقل كما أوشى بغيره من الأحرار!. وفى اليوم العاشر من شهر شباط سنة

١٩١٦ قبض عليه في بيروت وسيق إلى الديوان العرفي الحربي في عاليه، وزُجَّ به في السجن رهن التحقيق والمحاكمة.

في السجن الحربي : (١)

دقت الساعة التاسعة وفتح الباب والتفت الشهيد ليرى الطارق : ألا لعنة الله على الوجه الكريه، نذير الموت ! حارس كريه المنظر من عمالقة الأتراك وأجلافهم، وقف بالباب ونادى بصوت لا أثر للشفقة في نبراته:

- سعيد عقل، إلبس ثيابك واخرج !

يالهولها دقيقة!... لقد وضع كل منا يده علي قلبه يجس موضع الحياة فيه.

وقام الرفيق الشهيد - رحمات الله عليه- لا يقول كلمة ، ولايلقى سؤالا، ولبس ثيابه وخرج دون أن يلتفت إلينا أو نجسر على أن نلتفت إليه... مضى وأغلق الباب، ربع ساعة مر علينا ، يعجز قلمي الآن عن وصف موقفنا فيه.

ربع ساعة هو أطول من عام بل عمر كامل، كلنا واجم، كلنا أصفر الوجه يلتفت بعضا إلى بعض حذرا.!

وفي تلك اللحظات الرهيبة من حياة الشهيد قبل المحاكمة ، كان يعلل النفس إما بالعفو أو بالنفي، ولكن خاب الأمل، وشاء القدر أن يكون شهيداً خالدا وهو في فجر شبابه ونبوغه.

التحقيق والمحاكمة :

وقد أبدى الشهيد أثناء المحاكمة جرأةً نادرة وشجاعة باهرة سجلها " عزمي بك " في مذكراته ، كما سجلها التاريخ وهذا نصها:

---

(١) فايز الخوري (أدباء السجون ص ٣٥٤).

الشهيد سعيد عقل فى مذكرات عزمى بك (١)

ورد فى الصحيفة ٢٠٤ من مذكرات عزمى بك رئيس دائرة الاستخبارات والجاسوسية التركية عن الشهيد سعيد عقل مانصه حرفيا:

" سعيد عقل شاب كثير الحماس لقضيته اللبنانية ، مندفع فى سبيل تحقيقها غيرُ حَافل بالمصاعب التى تعترضه، حتي أننى عندما اجتمعت به فى الديوان الحربي العرفي فى عاليه لم يتردد فى المجاهرة أمامى برأيه فى قضية بلاده قائلا:

الشهيد : إننى لم أكن خائنا، ولست مذنبا لأقف تجاه محكمة تعتبرني خائنا، فأنا أدافع عن حقوق بلادى كما أعتقد .

عزمى بك : ولكن هل خدمة بلادك هى أن تنزع هذه البقعة من الدولة العثمانية وتضعها تحت نفوذ الدولة الفرنسية.

الشهيد : كلا فأنا لم أفكر ، ولن أفكر قط فى سلخ هذه البلاد عن السلطنة العثمانية ووضعها تحت النفوذ الفرنسى، وإنما أردت أن تنال حقوقها المعترف بها دوليا فقط، أما فرنسا فقد أظهرتْ تجاهنا شيئا من العطف ، فحفظنا لها الجميل.

عزمى بك : إذاً أنت تعترف بأنك كنت خائنا للدولة العثمانية.

الشهيد : إذا كان دفاعى عن بلادى يعتبر خيانة بنظركم فأنا كذلك وأفتخر بهذه الخيانة .

عزمى بك : إن الدولة لا تنكر قط على أحد حقه فى مثل هذه الأمور شرط أن لا تتعدى هذه الوطنية إلي الخيانة فأنت تدعى الوطنية والإخلاص ولكن كيف توفق بين ادعائك هذا والمرتب الذى كنت تتقاضاه من السفارة الفرنسية.

---

(١) أدهم آل جندى ص ١١٤.

الشهيد : من قال ذلك ؟

عزمى بك : إن الوثائق الموجودة لدينا أنك كنت تتقاضى راتبًا شهريا قدره(٨٠٠) فرنك.

الشهيد : إذا كانت لديكم مثل هذه الوثائق فأنا على استعداد لتحمل مسؤوليتها ، ولكننى أقول لكم منذ الآن إنكم لا تملكون مثل هذه الوثائق ، لأننى لم أتناول من أحد بارة الفرد ، وتابع عزمى بك قوله عن الشهيد مانصه حرفيا:

" أوردت هذه المحاورة التى دارت بيني وبين سعيد عقل لأنني أردت أن أجعل هذا الشاب مثالًا لغيره ، فهو كان صريحا فى أقواله جد الصراحة ، وهذه الصراحة هي التى قادته إلى المشنقة، إنه لم ينكر قط أنه كان من أعضاء جمعية النهضة اللبنانية ومن العاملين على تأييد مبادىء هذه الجمعية بكل قواه ، وقد استشهد علي موقفه هذا بعشرات المقالات التى حررها فى الصحف ، إلا أنه أنكر أن يكون عاملا على تأييد النفوذ الأجنبى، حتى إنه أنكر معرفته بالوثيقة التى رفعها بعض زعماء المسيحيين وفي مقدمتهم أرقش وزينه وطراد وثابت، بالشكوى من الدولة والمسلمين، أنه رفض أن يكون جاسوسًا على غيره، وقد أنكر معرفته بعلاقات أصحاب الصحف بالقنصلية الفرنسية قائلا: " إنه يجهل مثل هذه الأمور ولايريد التدخل فيها.

- ولما كنت فى بدء عهدى صحفيًا فقد أُعجبت بهذا الشاب وأ ردت إنقاذه، إلا أننى لم أنجح، لأن جمال باشا مقتنعا بأنه يشتغل لحساب فرنسا ويتقاضى منها راتبا شهريا مستندا بذلك على إفادتى عبد الغنى العريسى ورفيق رزق سلوم وتأييد الشيخ أحمد طباره، وقد كانت هذه الشهادات كافية لإرساله إلى المشنقة.

وهكذا يتضح من محاورة عزيز بك والشهيد سعيد عقل بشأن الراتب الذى كان يتقاضاه من القنصلية الفرنسية ، أن هذه التهمة لا تستند إلى وثائق معيَّنة، وهذا مايثبت أن التهم الموجهة إلي شفيق المؤيد ورفاقه بشأن اتصالاتهم مع الدولة

الفرنسية كانت مثل هذه التهمة التى وسَّعها جمال باشا وأظهرها للملأ بأنها اتصالات وخيانات ومؤامرات على الدولة العثمانية.

وإذا صح ماأدلى به الشهداء العريسى وسلوم وطباره ، عن الشهيد سعيد عقل، فقد كان ذلك تحت عامل الإرهاق والتعذيب وهي تهمة لاتبرر إعدام هذا الشهيد الشاب الذى أثبت بوطنيته وجرأته أنه فخر العروبة والخلود.

خلاصة قرار الإتهام والحكم بإعدامه : -

" سعى فى تشكيل مملكة عربية مستقلة ، وذلك بفعاله، وحركاته ونشرياته في جريدة " الاتحاد العثماني " التي دخلها بواسطة رزق الله".

وفي فجر يوم السبت ٦ من أيار ١٩١٦ تقدم إلي منصة الإعدام، وهو رابط الجأش ثابت الجنان، وهكذا أعدم شنقا في ساحة البرج فى بيروت مع قافلة الشهداء الثانية. ودفن مع إخوانه الشهداء فى مقبرة الرمل.

من آثاره الأدبية : -

١- **مقالاته** [(١)]: له عدة مقالات فى الصحف اللبنانية التى كانت تصدر فى الوطن والمهجر منها: جريدة الصدى التى أصدرها فى المكسيك وجريدة البيرق، وجريدة الأحوال.

٢- **مؤلفاته** [(٢)]:

١- تمثيلية شعرية بعنوان مصرع الشقيقين، وقد مثلت فى برج البراجنة، ولاقت رواجًا واستحسانا.

---

(١) الشعر والوطنية ص ٥٠٥ عن كتاب الفداء لفاضل سعيد عقل.

(٢) المرجع السابق ص ٥٠٥.

٢- تمثيلية شعرية ثانية بعنوان : فيرا.

٣- « « ثالثة « : مجنون ليلى .

٣- شعره :

للشهيد سعيد عقل مجموعة شعرية مخطوطة فى عهدة ولده : " فاضل سعيد عقل " مرقمة من ١-٣٧.

بعض مواقفه الأدبية :

كان الشاعر سعيد عقل من الذين تعلقوا بوطنهم، فأحب لبنان ، ووصف جمالها ومن ذلك قوله : (١)

جُبْتُ البلادَ مُفتّشاً عن بقعةٍ ... أَعْتاضها عن حُسْنِكَ الفتّانِ

فرأيتُ بَعدَ البحْثِ أن الأرضَ لمْ ... تَظْفرْ بلبنانٍ نظيركَ ثــانِ .

- وتدفعهُ الأريحية فيرى أن الإعجاب بالوطن ليس نزعة أو نزوة عارضة بل هو فرض يفرضه حب الوطن والدفاع عنه بالنفس والنفيس، نرى ذلك مثلا فى قصيدته التى ألقاها فى مدرسة" مارسيف " الأنطونية فى بعبدا عام ١٩١٢ بمناسبة تمثيل رواية فرنسية في حفلة عيد شفيع المدرسة، ومنها قوله. (٢)

أهناكَ يُفْدُون البلادَ بنفسهمْ ... وهُنا نُضحّيها بكـلّ هَوانِ ؟

مَنْ لى بقومٍ مثلهِ؟ فبمثلِهِ ... نُحيى دفَــين المجدِ فى لبنانِ

- وكثيرًا ماتحدّث عن لبنان على أنه جزء من سورية ، فقال عام ١٩٠٧في قصيدة " اللبنانى المهاجر إلى العالم الجديد" ملمحًا لمصر بقوله :

ملمحًا لمصر بقوله (٣)

فلا تعذلوني إنْ بكيتُ تَشوّقا ... لقطرٍ غريبٍ ليسَ لى فيهِ مَأْربُ

---

(١) الشعر والوطنية ص ٤٢٣ وكتاب الفداء ص ٧٩.

(٢) أوراق بعهدة ولده فاضل سعيد عقل ص ٤، ٣ والشعر والوطنية ص ٤٢٥.

(٣) أوراق بعهدة ولده فاضل سعيد عقل ص ٤، ٣ والشعور والوطنية ص ٤٤١.

ولم يكُ سوريا التى أنا عارف" بأن بكائى أرضَها هوأوجب

- وفى نفس القصيدة : " اللبنانى المهاجر " يتحدث عن وحشة الغربة وصعوبتها على النفس غير أن مايلاقيه المغترب إنما يرخص في سبيل العزة وتحقيق الآمال !" - وكما يقال - ولابد دون الشهد من إبر النحل " فيقول : [١].

نعم إنَّ كأسَ البُعد مرٌ مــذاقـهُ ولكنَّ كأسَ العز واللــــه طيبُ

وَصَعبٌ على الإنسانِ هجرٌ بلادهِ ولكنّ ذل النفس أعصى وأصعب

وعيشىَ فى لبنان عــذبٌ وإنما حصولي على الآمالِ أشهى وأعذب

- والمواطن الصالح هو الذى يسعى للإصلاح الداخلي مااستطاع إلي ذلك سبيلا، وهو أيضا : يسعى للعلم والمعرفة ، ينشرهما فى محيطه ، فلا يضيع وقته بالقعود والكلام الفارغ، ولا يشغله بالنقد المغرض....إلخ.

وهذه المعانى إنما نستوحيها من شعر الشهيد سعيد عقل فى قصيدته : "الكهربائية فى بيروت " حوالى عام ١٩٠٧ وفيها يقول: [٢].

أتىٰ يوْمكم ياأغنيــاءُ فاظهروا نداكمْ بذا المشروع وأصْغَوا إلى شِعرى

ويا أهلَ لُبنانٍ كفاكم تقاعـــدًا كفاكمْ بذلّ العمر فى سُبل الشَّـــرِ

كفاكمْ تبخيرا [٣] ودعوى كــفاكمُ مداهنةٌ والطّعن بالناس فى السّـــرِ

ولا تَشْغلوا أفكاركم بسوى الذى يقومُ بكم من وَهْدة الضّعفِ والفقــرِ

---

(١) أوراق بعهدة ولده فاضل سعيد عقل ص١-٧ والشعر والوطنية ص ٤٤٦.

(٢) . . . . . . ص ١٤-١٥ والشعر والوطنية ص ٤٣١.

(٣) هكذا فى الأصل وبه كسر فى (تبخيرا) ولعل الصواب. (تبختراً) لكى يستقيم البيت على البحر الطويل.

- وكان الشاعر الشهيد سعيد عقل أحد الشعراء الذين تناولوا الكثير من أسباب السخط علي واقع الوطن الردىء فعرض لبعض الأسباب، وعدد بعض المظاهر كظلم الأغنياء ، وفسادهم ، وتخريبهم ، وعدم مساعدتهم للفقراء ، فقال بعنوان" أغنياؤنا " من قصيدة " اللبنانى المهاجر" (١)

لحى اللهُ مالاً فى جيوبِ كبارِنا دَعَاهمُ إلى استعبادِنا فَتَلبّـــوا
تغرّون حكامَ البلاد بمالكـــم ليسْتصغِروا أفرادَنا ويخرّبـــوا !
وكلّ امرىءٍ منكم يُخرّب زُمـرةً لغاياته حتّى يَعمّ التحَــزّبُ
رويدًا ذَوي الأموالِ لم يبق عاصياً عليكم سوى أن تُسْرِجونا وتركبوا!

إلي أن يقول :

ولستُ بناسٍ من ذوي المالِ مَنْ لهم مآثرُ للقوم الأماجــدِ تُنْسَبُ

- وفى قصيدته " عذراء الشعر في وصف المرسح" حوالى ١٩٠٧ عرض لبعض الأضرار التي تنشأ عن الجهل والتعصب والتخلف عن موكب المعرفة بقوله (٢).

أهلَ لبنانَ قد تفاقمتِ الأضْـ رارُ قُوموا لِنُوقِفَ الأضْرارا
فالإمَ المسيرُ خلفَ البرايـا فى زمانٍ يشابه المِضْمارا!

- ولقد وقف الشاعر مع الدولة العثمانية ضد أعدائها قبل ظلم جمال السفاح، فشارك في التصدي للعدوان الإيطالى عندما هاجم أسطولها الدولة العلية من ناحية مضيق الدردنيل عام ١٩١١، فوصف عظمة الجيش العثماني، ومحصنات هذا المضيق ومناعته، وجاهر بوحدة الصف بين المسلمين والمسيحيين لحمايته ، فقال: (٣).

---

(١) أوراق بعهدة ولده فاضل ص ٤-٥ وكتاب الفداء لفاضل سعيد ص ٦٢-٦٣ والشعر والوطنية ص ٤٥٨.

(٢) الشعر والوطنية ص ٤٥٨.

(٣) جريدة البيرق ص ١١ عدد ٥ سنة ١٩١٢ والشعر والوطنية ص ١٣٨.

هو البيرقُ المنصورُ تحمي بنودَه　　　كنائسُ قومي قومَه وجوامِعَه

- ولما زاد تفتح الشرقيين على القضايا الوطنية وزادت ضراوة الاستثمار الغربي غبَّ الأزمة الإقتصادية العالمية ، راح الشعراء يبيّنون حبائل الغرب، وتآمرهم على الشرق ، فوصف الشاعر : سعيد عقيل عملَ الغربيين فى قصيدته: "إلى بوانكاره " بقوله: [١].

خنقُوا الآهَ فى فم الشرقِ فانْها　　　رَ وفى صَدْره احْتِضار الجبابرْ

والملا أســره فلا أنهم الغر　　　ب أميراً والشرقَ عبدا صاغرْ

★ ★ ★

الشهيد / الشاعر عمر حمد(١٨٩٢- ١٩١٦م).



أصله ونشاته [٢]:

هو ابن مصطفي حمد، مصرى الأصل ، هاجر جده حمد إلى لبنان في عهد الأمير/ بشير الشهابى ، واستوطن بيروت - ولد الشهيد سنة ١٣١١هـ- ١٨٩٢م) فى مدينة بيروت، ختم القرآن الكريم للمرة الرابعة

---

(١) جريدة زحلة الفتاة عدد كانون الأول ١٩٣٤ والشعر والوطنية ص ١٧٣.

(٢) راجع مقدمه ديوان عمر حمد بقلم عمر فاخورى ص ٥-٨ط بيروت ١٩٢٩م. والأعلام للزركلى جـ ٥ / ٢٢٧-٢٨٨.

وهو فى الثامنة من عمره وتوفى والده قبل أن يجاوز التاسعة من عمره، فاضطر إلى ترك الدراسة واشتغل بالتجارة نحو أربع سنوات لتأمين إعاشته ، فنشأ عصاميا.

نشاطه : -

إكتشف القائمون على الكلية الإسلامية - آنذاك - النجابة والذكاء فى الشهيد، فأدخلوه الكلية، فتلقى دراسته فيها على اختلاف أنواعها فبرع وفاق ، وفي سنة ١٩١٢ أتم دروسه فى الكلية الإسلامية ونال شهادة البكالوريا، وفي نادى تلك الكلية ألقى الشهيد معظم قصائده الشعرية.

- ولم يترك الشهيد الصادق الوفىّ الكلية التى أنجبته، وكان لها الفضل فى إظهار نبوغه ، فقد اختارته أستاذا للعربية وتاريخ الإسلام فى القسم الاستعدادى ، وكان فى الوقت نفسه يتفرغ للتحرير فى بعض الصحف المحلية.

محنته :

إشترك فى طلب اللامركزية، ونشر قصائد، ونظم أناشيد، يستثير بها النفوس، ولما نشبت الحرب العالمية الأولى طلبته الحكومة - وكان قد عين خلال الحرب ضابطا احتياطيا في دمشق - ففر بعد ثلاثة أشهر، على أثر ملاحقة جمال باشا لأحرار العرب والقضاء على كل نزعة استقلالية فى البلاد العربية قضاء مبرما، ولما أحس بنوايا السفاح جمال باشا أزمع على النزوح إلى البادية ، فاتفق مع أحد الموظفين من أسرة (آل قاسم) البيروتية وكان يعمل فى الديوان العرفى فى عاليه أن يخبره متى ظهر اسمه فى قائمة الأحرار المطلوبين ليتوارى عن الأنظار، وقد أطلعه هذا الموظف النبيل الشهم على السر. فهرب الشهيد بالقطار من بيروت إلي دمشق ،ونزل فى فندق دار الفرج بدمشق، وسألت الشرطة أهله عنه فأجابوا وهم

لا يعرفون ماوراء ذلك - بأنه سافر إلي دمشق، فلاحقته شرطة دمشق، ولما أتت قوة الشرطة إلى فندق دار الفرج، صدف أن رآهم من بعيد، وهم يخرجون منه، فترك أشياءه وتوارى في بيت السيدة (فاطمة دوغان)وهى بيروتية الأصل، وظل عندها ثلاثة عشر يوما.

- وخلال هذه المدة اتصل بالشهيد " عبد الغنى العريسى " وكان صاحب مطبعة بدمشق، واتفق وإياه والأمير عارف الشهابى، وتوفيق البساط على الفرار إلى البادية . وبعد حوالى ثمانية أشهر قُبض عليهم فى " مداين صالح " وهم في طريقهم إلي " أم القرى " مهد الثورة العربية.

فى السجن الحربى بعاليه :

إننى لم أر أشجع من هذا الفتى[1] وهو أصغرنا سنا كان أجرأ المتهمين فى السجن وفى الإستنطاق ، وأمام المحكمة الظالمة، وتحت المشنقة، كان شعلة ملتهبة بالحمية والشجاعة ، ومن ذلك : أن اللعين " حسن بك " كان يستنطقه مرة فقال له:أنت كاذب؟ فثار الدم فى رأس ذلك الشاب الجرىء - رحمه الله - وكاد يهجم على رئيس الهيئة التحقيقية لولا الجندي الذي كان واقفا وراءه بالسلاح ولكنه اكتفى بأن أجاب حسن بك : - نحن لا نكذب.

ولا نحترم الكذاب.. فحملق حسن بك ونهره غاضبا : أسكت ياكلب ! - فلم يتمالك " عمر " من السكون ، فأجابه : بل أنت كلب ! وهاج الوحش ، فتدرج كالفيل عن كرسيه العريض، وهجم على السجين المكبل وصفعه ثلاثا، وأعاده إلى التوقيف.

- وبعد أربعة أشهر من التعذيب والشقاء ، فتح الباب فجأة ونادى مناد:- عمر حمد : إلبس ثيابك .

---

(١) أدباء السجون ص ٣٤٦.

- وخرج عمر حمد من بيننا وهو ينشد بأعلى صوته:-

نحنُ أبناءُ الأُلَـــــى   شَادُوا مجداً وعُـــلا

نَسْلُ قحطانَ الأبـــيّ   جَدَّ كلّ العَـــرَب

وكان صوته يرنّ في آذننا ، وهو سائر بخطواته القوية تحت أروقة السجن إلي المكان المعد له في تلك الليلة [١].

وكان الشهداء يرددون هذين البيتين من سيارتهم المقفلة وهم في الطريق إلي ساحة الإعدام ؛ وأمام أعواد الموت بصوت جماعي حتي في دار الشرطة[٢] والمرجح أنهما يشكلان المطلع أو اللازمة من أنشودة حماسية قدر لها أن تصحب المجاهدين حتى لحظاتهم الأخيرة ، وقد ذكر مؤرخ الثورة العربية " أمين سعيد" أن الشاعر عمر حمد كتب علي الطاولة قبل خروجه من دائرة البوليس ثلاثة أبيات من الشعر جعل يرددها وهو صاعد إلى المشنقة ومايؤسف له أن المؤرخ لم يذكر لنا تلك الأبيات [٣].

التحقيق والمحاكمة :-

وهذا موقف آخر وهو على المنصة يخاطب " رضا باشا" ومدير البوليس ، وكان خطابه لهما بالفرنسية ... بما تعريبه : إنى أكلمكما باللغة الفرنسية لأنكما لاتفهمان العربية ؛ فبلغا حكومتكما الظالمة : أن هذا العمل الذى تعمله الآن سوف يكون سبباً في خرابها ، وتقويض أساساتها؛ ثم تركهما والتفت يخاطب الحاضرين باللغة العربية:

---

(١) راجع أدباء السجون ص ٣٤٦، ٣٥٨.

(٢) شهداء الحرب العالمية ص ١٠٨.

(٣) عمر دقاق . ص ٤١٧ والثورة العربية الكبرى . أمين سعيد ص ٨٨.

- إني أموت غير خائف ولا وجل، فداء الأمة العربية، فليسقط الأتراك الخونة وليحيى العرب.

- وفي فجر ٦ من أيار ١٩١٦ أعدم شنقا في بيروت مع شهداء القافلة الثانية ، ولم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره :

وكان مما قاله وهو يعتلي المشنقة :

خطوا على متن قبري يابني وطني بيتاً تردده عني فم الحقب

هذا ضريح أصيل في عروبته قضى شهيداً لتحيا أمة العرب

- خلاصة قرار الإتهام والحكم بإعدامه : "ثبت بالوثائق أنه ضمن أعضاء اللامركزية، وكان أنشد في إحدى مراسم التمثيل قصائد تنفر بين العرب والترك" .

من آثاره الأدبية:

درس اللغة العربية علي أعلامها ، وامتلك ناصية القوافي مبكرا ، فأخذ ينظم القصائد الوطنية ، وكان مما جمع بعد استشهاده ديوان مؤلف من (٩٦) ست وتسعين صفحة واثنتين وثلاثين قصيدة عدا قصائد الرثاء التي رثى بها الشهيد وألحقت بديوانه.

- والديوان مطبوع ، وموضوعاته جديرة بالبحث والدراسة ، وهي تنم عن شخصية أشبه بالنحلة، تأتي بالشهد المصفى ثم لاتلبث أن تموت. !

بعض مواقفه الأدبية:

أتم الشهيد دراسته في الكلية الإسلامية ، فألقى بناديها قصيدته الرائعة ، وعنوانها:" الشهامة والوفاء " نقتطف منها قوله: [١].

---

(١) ديوان الشهيد عمر حمد ص ٦٨- ٨٢ ط طبارة بيروت عام ١٩٢٩م. وقد طبعت هذه القصيدة سنة ١٣٣٤هـ على نفقة " بشير نقاش" و " والسيد أمين ميسر" وكانا تلميذين في الكلية الإسلامية.

خلِّ ياصاحِ ذكرَ ذاتِ العقودِ واهجرُ اللَّهوَ بين ناي وعودِ
ودع الكأسَ وابنةَ العنقودِ للمعنىَّ المتيمِ المعمودِ
(بياضُ الطُّلا وورد الخدود)

أوسعتْ عن حماى لُبنَى خُطاها ثم راحتْ تبكى وتشكو مناها
بين سرب الحسان كنتُ أراها يتهادىٰ من مقلتيها نداها
(وهى تشكو إلى الحسان صدودى)

وأتانى الحسان لُبنَى ودعْدُ وسعادُ وزينبُ ثم هندُ
لمْنَنى ثم قُلْن لى ليس بُدٌّ مِنْ قوافيك يافتىٰ الشِّعر فاشْدُ
(وتغنَّ النشيدَ بعدَ النَّشيد)

قد نصبْنَا لك الشِّباكَ مِراراً ورجعْنا وما شَفينَا الأُوارا
ماعهِدْنا بشاعرٍ يتوارىٰ عن هوىٰ الغيدِ قطُّ قلتُ افتخارا
(لستُ للحبِّ بالفتىٰ المعمودِ)

- ثم يكشف الشاعر عما تكنه الأبيات من عرض قومى ، ومايمتلىء به صدره من قصد نبيل وحب سام لوطنه فيقول :

ياذواتَ الجمال لمْتُنَّ مُرّا وقْعهُ كان فى فؤادىَ جمرا
مَن عذيرى ولستُ أحتاجُ عُذْرا غيرَ أنِّى بحبِ قوميَ مُغْرى
(أتغنَّى به بكلِّ قصيد)

قِبل الآنساتُ عُذرى وقُمْنَا ثم صافَحْنَنى بِبُشْرى ويُمنى
قُلْنَ لى يافتَي القَريضِ تغنَّ وابن آىَ مجدِ قومك إنَّا
(عاشقاتٌ لذكر مجدِ الجدود)

. والقصيدة طويلة وهي تفيض بالحماسة والوطنية ، وقد بدأها الشاعر - على عادة الشعراء القدامي - بالحديث عن الخمر والمحبوبة إلى أن أبان عن محبوبه الحقيقي " إنا عاشقات لذكر مجد الجدود ". !

- وقد جاءت القصيدة على نظام المخمّسات ، فأتى بأربعة أشطار متفقة القافية وختم بشطر خامس على نظام القفل في الموشحة، وهذا الشطر الخامس تتكرر قافيته عقب كل أربعة أشطر .

إلا أن الشاعر هنا أتى بالأشطر كلها من عنده لا كما هو معروف في نظام المخمسات وهي " أن يقدم الشاعر على البيت من شعره غيره ثلاثة أشطر، على قافية الشطر الأول، فتصير خمسة أشطر "[١]. وهذا يدل على غزارة مادة شاعرنا.

وكان الشهيد عمر حمد واحداً من الشعراء الذين تعلقوا بالدستور كما تعلق به غيره من العرب آملين في الإصلاح فاحتفلوا بذكراه، كما يبدو مثلا عند الشاعر الأخطل الصغير في قصيدتيه : (عيد الأمة) عام ١٩٠٩م و (فتاة الدستور) عام ١٩١٠م.

ولم يمنع تعلق الشهيد بالدستور من أن ينصح السلطان عبد الحميد بالاعتماد على العرب... إلا أنه بعد أن خاب أمله في الإصلاح على يد جماعة " تركيا الفتاة " راح يدعو العرب - في جرأة كلفته حياته فيما بعد - إلى

---

(١) ميزان الذهب في صناعة شعر العرب . السيد أحمد الهاشمي ص ١٤٢.

النهوض والثورة في سبيل الإصلاح ، فقال قصيدته " البرق الخلب" ومنها قوله: [١].

أبينُوا لنا هل عاد للقوم رشدهم	وهل زَال عن وجه الولاة التحجُّبُ ؟
وهل عرفوا الحق الصراح وتابعوا	خطاه وهل باد الهوى والتعصبُ ؟
أم القومُ مازال الغرورُ يقودهم	ومازال سيفُ الظلم يفرى ويضرب
فإن ينْصِفونا يصلح الودّ بيننا	وإن يهضمونا فالأسنّةُ مركبُ

- كما يناشد العرب النهوض والثورة في قصيدته " وجهلتم أنكم نسل "الأمين" وقد قالها معارضا لأحد شعراء الشام ، ، ومنها قوله [٢].

يابني يَعْربَ يا أهلَ العلا	يا أباةَ الضّيم والظلم المشين
مالكم أصبحتمْ طَوعَ الردى	تحملون الذل والذل مهين
أنسيتمُ أنكم مِن يَعْربَ	وَجهلتمُ أنكم نسلُ الأمين ؟
فانْهضوا مِن مرقد الذلّ ولا	تَرْهبوا في الحق لوم اللائمين
واطلبوا الإصلاح من معْدنهِ	وعلى اللهِ نجاحُ المصلحين

- وقد ركّز عمر حمد في دعوته إلي اليقظة الشاملة القائمة على العلم، والهادفة إلى تحرير الأوطان في كثير من قصائده ، من ذلك إشادته بالطائر التركي " فتحى بك " الذى طار في سماء البلاد العربية، فيخاطبه .

بقوله : [٣].

ياطيرُ هجتَ الطائرينا	وفتنتَ لبّ العالمين
لله دَرّك ساحرا	أبطلتَ كيدَ الساحرينا !

---

(١) الديوان ص ٢٨.

(٢) الديوان ص ٦٤.

(٣) الديوان ص ١٧- ١٨.

إلى أن يعلن عن تأثره بموقف العرب! فهم نائمون لا يجارون العلم برغم حضارتهم السالفة، لهذا هو يتلهف علي العرب، ويرثى لحالهم فيقول :[١]

ياعُرب قامَ القائمـــو	نَ ومابرحتم نائمينــا !
يأيها العُرْب انتبـا	هًا حسبكم تتغافلــونا
أشبهتمُ شعراءكـم	في كل وادٍ هائمينــا !
لَهفى على أبناءِ مَـنْ	كانوا هداةَ العارفينــا
لَهفى على شعب لِـه	خضَع الأكاسرُ صاغرينا
لَهفى على أبناءِ مَـنْ	سَاقوا الملوكَ مصفّدينا
إنى لأبكيهمَ واســـ	تبكى لحالهم العيونــا
حتى أراهم فى الجزيـــ	ـرة سادةً متملكينــا

ففى الأبيات : روح المرارة التى كانت تملأ نفسَ الشهيد تجاه ماكان عليه قومه العرب من ضعفٍ، وتقاعس، وغفلة ...!

- وقد كثرت قبل أفول العهد العثماني القصائد التى تتحدث عن تقدم الغرب وتأخر الشرق، ودعوته إلى مجاراته، نجد ذلك فى قصيدته " الشرق والشرقيون " وفيها يقول :[٢].

يابنى الشّرق هلْ مجيبٌ ندائى	يُثلجُ القلبُ بعد حَر الوقــودِ
نَهضَ الغربُ للعلاء وغمتــم	وفخرتمُ بأسرّةٍ وجُـــدودِ
فسلامٌ ياشرقُ يومَ تجُـــاري	صِنوكَ الغربَ بالعُلا والصّمودِ

- ولما ابتدأ العلميي يؤتى ثماره فى الشرق ، واعتزّ الشرقيون عامة بنحو ذلك، عبر الشهيد عمر عن ذلك ، ملمحًا إلي وقوع الطيارين التركيين (فتحى وصادق) فى فلسطين ودفنهما بالشام ، فقال :[٣]

---

(١) الديوان ص ١٨.

(٢) الديوان ص ٥٦.

(٣) ديوانه ص ٦٧.

نَزيلَى " صلاحَ الدّين " حَيّاكُما الحيا ... وهلّ على قَبْرِيكما الوابلُ الغمرُ
قِفا حدِّثا شيخَ السلاطين فى الثَّرى ... وقُولا له مازال يذْكُرك الدّهــرُ

إلى أن يقول :

هُمَا من بَنى الشّرق الذى بَهَرَ الورىٰ ... هدىً وبنُوه هُم غطارفةٌ غُــرُّ
سنُرجِع للشرقِ الكريمِ شَبابَــــه ... وتَخْفِقُ أعلامٌ لنا في الورىٰ حُمرُ

– لقد التزم الشاعر الشاب عمر حمد بالنضال الوطنى فى حياته وفي شعره من أجل تحرير بلاده من البطش والاستبداد ، ولهذا كان دائما يستنفر قومه للجهاد ، ومما قاله فى ذلك قصيدته : " الطلل البالى " وفيها يقول : (١).

بني العُرْب كم أدعُو ولم ألقَ بينكم ... صدىً لدعائى أو مجيبا لتسآلى
أنادى بنى قومى إلى المجدِ والعُلا ... وأدعوهمُ دَهْرى صباحى وآصالى
مضى ذلك العهد المعزّزُ وانْقضــى ... وليس نَرى فى عهدنا غيــرَ إذلالِ

إلى أن يقول :

خُذوا بيدِ الْأوطانِ ياخيرَ فتيةٍ ... بِكُم تَرْتجَى الأوطانُ إحرازَ آمـــالِ
خذوا بيدِ الأوطان ياخير فتيةٍ ... وردُّوا لها ماكانَ من مجدها الخالى
فإن تُهملوا حقَّ البلادِ عليكمُ ... وتلْهوا عن الأوطان فى جمع أموال
فلستمُ لها تيكَ الجدودِ بأنسالِ ... ولستمُ لها تيكَ الأسود بأشبـــالِ !

– ومن غــرر قــصـائده : تلك التى ألقـاها فى الحـفـل الذى أقـامـتـه الكليـة الإسلامية العثمانية عام ١٩١٣م بمناسبة مولد الرسول الأعظم (ص) وهى بعنوان : " شكوى إلى النبىّ المضرى " ومطلعها : (٢).

---

(١) ديوانه ص ٢٦- ٢٧.

(٢) ديوانه ص ٩-١٢.

دَعْ ذكر " روما " فلاصحبٌ ولا آلُ … فيها لنا وبها لا ينعم البـالُ
وأشدُد إلى الشام رحل العزم مجتهدا … فما لمثل ربوع الشام ترحـالُ
لا خيرَ فى بلدٍ عزَّ الصديقُ بـه … وربْعهُ من رياضِ المجدِ ممحـالُ
عَشِقتُ قومي وأوطانى وكلُّ فتـى … فى الناس يعشِق والعشاقُ أشكـالُ
ياعيسُ سيرى إلى (دارالوليد) ففى … دار الوليد لنا ياعيسُ آمـالُ

ومنها :

هناكَ قامَ (بنو مروان)وارتفعتْ … لَهمْ بنودٌ بها هام السُّهى طَالُـوا
رَبعٌ إذا ذُكرتْ أيام نضرتـه … (حنيتُ رأسى وحنيُ الرأس إجلال)

ومنها:

فالعُربُ أهلى وحسْبى ذاك من نسبٍ … أميل نحو حِماهم حيثما مالُـوا
ياركبُ حَىَّ الحمى عنيّ وقُلْ لـهمْ … هُبوا إلى المجد إن النوم قتـالُ
يأيها الركبُ سر نحو " العتيق" إلى … ربع الهوى حيث أهلُ العزّ نـزّال
حيثُ (ابنُ آمنةَ) أنوارهُ سطعـتْ … (محمدٌ) مَنْ له مَنٌ وافضـال
وقُلْ له يا ابن (عبد الله)عزّ على … بنيك عِزّ وللإذلال قد آلـوا
نامتْ عزائمهمْ ، فُلّتْ كتائبُـهم … بادتْ معَالمهم، والربعُ أطـلال

ومنها :

تبْكى(الجزيرةُ)من خطبٍ ألم بهـا … ودمعُ (زمزَم) بالأرْزاءِ سيّـالُ

إلى أن ختمها بقوله :-

يا أيها العُرْبُ لاعزٌ ولا حَسَـبُ … إن ظلَّ ينشد مَجدَ العُرْب قـوّالُ
يا أيّها العُرْب لا مُلك ولا عِـلمُ … إن لم يَقُم بينَكم ياعُرب فَعـّالُ
لا تُصْلحُ العُرْبَ أقوالٌ منمّقـة … وما لمضنى بغير الوصل إبـلال

حقًا: لقد تجلى فى كل بيت من أبيات تلك القصيدة أسمى معانى الوطنية ، والوفاء لصاحب الرسالة العصماء (ص) كما كان فيها إيقاظ للروح العربية وردٌ على تزمت

القوميين الأتراك ، ذلك التزمت التركى الذى كان وبالاً على السلطنة العثمانية ، وسبباً لإثارة القوميات الأخرى المنطوية تحت لوائها ، ولاسيما العرب.

- ولهذا يوم سقط الاتحاديون عن كراسى الوزارة عام ١٩١٣ ، أثلج انهزامهم صدورَ العرب ، ولم يرثوا لهم على حال ! بل قال عمر حمد قصيدة بعنوان : " سقوط الظالمين " (١) .

ثَلِجَ القلبُ وقد كان ضِـرَاما	وزَهَا الكونُ وقـد كـان ظَلاما !
وعُيون العُرْب قرَّتْ بعدمـا	ذَرفتْ دمعًا مـن الحـزن سِجاما
وهَوَى الظُّلام عَن كُرسِيِّهـمْ	بَعْد ماعـزّوا فخـارًا ومقامـا
فسلُوهم وهُم فى خطبهـمْ (٢)	جُرتمُ ظلمًا أبا قومُ علـى م ؟
فئةُ الظلم هَوتْ فى ظُلَـم	واحْتَسَت فى دُورها الموتَ الزُّؤاما
فئةٌ قد حمَّلَتْ أوطانَنَـا	سُبَّةَ العارِ وأهوالاً جساما
مَنعُوا العرب من الحقِّ وكم	أوسْعَوا بغدادَ ظُلماً والشَّآما
لغةُ القرآنِ ودُّوا محْوهـا	ويلُ قوم أغْضَبوا البيتَ الْحَرَامَا
هذه نيَّاتهم بانتْ فـلاَ	تنْخَدع ياشعبُ واحذر أن تناما
أخبِر الظُّلاَم أنَّ أمـةً	(تَعْشق المجدَ وتأبى أن تُضامَا)

وكان عمر حمد من الذين رأوا أن فساد المجتمع العربى إنما يرجع إلى الشعوب العربية نفسها ، فهى التى تقصر فى أداء الواجب نحو الوطن ، وهى التى لا تقدّر أحرارها ، وهى التى تقدّم الأجنبى العابث على الوطنى ، وهى التى تقلّد الغرب فى كل سيىء من العادات والتقاليد ...فيقول فى قصيدته " ذكرى " : (٣)

---

(١) الديوان ص / ٦٥.

(٢) هكذا فى الديوان ولعل صحته :(خطبهم جر...) لكى يستقيم البيت على البحر الخفيف.

(٣) الديوان ص ٤٧ .

- أرى بيننا نشئا أطاشت حلومهم	أضاليل أهل الغرب فاستدركوا الأمرا
لقد وهموا ألا تمدن للفتـــى	إذا هو للغربى لم يتبع الأثـــرا
جفوا شرقهم مذ جانبوا فضل أهله	وقد سلكوا فى سيرهم مسلكا وعرا

- وللشاعر أناشيده الوطنية التى نظمها فى المناسبات القومية، والتى اشتهرت وسارت بها الركبان ، وأصبحت رمزا خالدا ومنها قوله[1].

شبوا على الخصم اللدود	نار الوغى ذات الوقـــود
يأيها العرب الكـــرام	إلى متى أنتم نيـــام ؟
قوموا إلى الموت الـزؤام	وامشوا له مشى الأسـود
كنتم ملوكا فى الــورى	تخشاكم أسد الشـــرى
بالبيت فى أم القـــرى	هل تذكروا تلك العهـــود
لا عاش من خاف الطعان	أو هاب أحداث الزمـــان
أى امرئ يرضى الهوان	أولى به سكنى اللحـــود

أما نشيده الشهير (هيا بنا) فقد ذكره جمال باشا فى كتابه (الإيضاحات السياسية) وكان من أهم العوامل لإعدامه، وقد آثرنا نشره :[2]

هيا بنا هيا بنـــــا	ابن السعود	يعزنا
يا ابن الرشيد أنت العميد	ابن الوليـد	يعزنا
هيا بنا هيا بنـــــا	ابن السعود	يعزنا
يا ابن السعود هيا بنـــا	ابن الجدود	يعزنا
هيا بنا هيا بنـــــا	ابن السعود	يعزنا
فتى العراق هو الوثـــاق	أنت المـراد	يعزنا
هيا بنا هيا بنـــــا	ابن الرشيد	يعزنا

---

(١) شهداء الحرب العالمية الكبرى ص ١١٦.

(٢) المرجع السابق ص ١١٧.

ومن الوفاء لهذا الشهيد أن نردد معه ماكان يودع به نفسه قبل رحيلها فيقول بعنوان " شكوى الزمان" (١).

سيذكُرني قومي إذا ضَمَّني الثَّرى ... ويقرعُ سمعَ الكائناتِ عويلُ

ويذكرني قومي إذا عزَّ فـارسٌ ... له فيصل يوم النِّزاعِ صقيلُ

ويذكرني قومي لدى كلِ منبـر ... عليه أساطينُ البيانِ تجُـولُ

إلى أن يقــول :

لقد كنتُ بدراً مُشرقاً بهَر الورى ... ولا بدَّ من بعدِ الشّروقِ أفولُ !

* * *

الشهيد / عبد الغنى العريسى

(١٨٩٠- ١٩١٦)(٢).

مولده ونشأته :

ولد الشهيد عبد الغني بن محمد العريسى في بيروت فى ٢٠ من شوال سنة ١٣٠٨هـ - ١٨٩٠م، تلقى دراسته فى مدرسة المقاصد الخيرية في بيروت، وتخرج فيها، ثم انتسب إلى المدرسة العثمانية لصاحبها العلامة الأزهرى، ونال شهادة ١٩٠٦ واختاره مديرها للتدريس فيها، واختص بتدريس الإنشاء والطبيعيات مدة سنتين إلى سنة ١٩٠٩م.

(١) ديوانه ص ٦١-٦٢.

(٢) الأعلام للزركلي جـ/٤ص/ ١٦٠. وشهداء الحرب العالمية الكبرى ص١١٨ وفيه وتارخ مولده (١٨٩١م).

نشاطه :

أ- دراسته العالية :

لم يكتف بما ارتشفه من العلم في مدارس بيروت، بل دفعه طموحه للسفر إلى باريس وانتظم فى مدرسة الصحافة (المدرسة الحرة للعلوم السياسية)وأقام فيها مدة سنتين حيث نال شهادتها العليا ومهر فى علم السياسة الدولية واشترك فى المؤتمر العربي الأول فكان من ألمع الأدمغة العربية في المؤتمرين يوم ذاك كما وصفه النقاد والمؤرخون. ثم عاد إلى بيروت بعد وفاة " فؤاد حنتش"[١]. فاشترك مع الأمير عارف الشهابي وانتقلا إلى دمشق فى بدء الحرب العامة، فأصدرا فيها" الجريدة" مدة يسيرة.

- وقد تجلت مواهبه - خلال هذه الحقبة - بما نشره من مقالات علمية وتاريخية وأدبية، وكان للمؤتمر العربي الذى عقد فى باريس درة لامعة وألف للمؤتمر حزبا ، كان هو أمين سر لجنتى التحضير والإدارة فيه.

ب- فى ميدان الصحافة :

لما ظهرت الجمعيات العربية إلى حيز الوجود فى عهده، وازداد نشاط العاملين فى القضايا الوطنية ، رأى الواجب عليه يقضى بإصدار جريدة تعبر عن الأمانى القومية العربية، فأصدر جريدة " المفيد " اليومية البيروتية، وقد كانت أسبق الصحف فى سوريا إلى بث الفكرة العربية، وبعد السنة الأولي من إصدارها أدخل شريكا معه السيد" فؤاد حنتش " واستمرّ فى إخراجها بضع سنين كانت لسان العرب. كما كانت مقالاتها تنقضّ على الأتراك كالصواعق، فأوقفتها الحكومة التركية عدة مرات، وظل الشهيد يعانى ويكابد لتأمين إصدارها، رغم تعرضه

---

(١) فى الأعلام :للزركلى حنتس بالسين المهملة ولعله الصواب.

لاضطهاد السلطات التركية، فماونى كغيره من حمله الأقلام المرتزقين! وقد دعته جرأته إلى نقد الحكومة والمطالبة بالإصلاحات فى الوقت الذى لم يجرؤ غيره من أصحاب الصحف علي الخوض في مثل هذه النواحي الخطيرة، وفي سنة ١٩١٤م نقل جريدته إلى دمشق .

محنته :

لما أعلنت الحرب العالمية الأولي وتولى جمال باشا قيادة الجيش الرابع كان أول عمل بدأ به مراقبة شباب العرب والعزم علي إبادتهم . ولما نقل الشهيد عبد الغنى جريدة " المفيد" البيروتية إلي دمشق بالإشتراك مع الأمير الشهابى وجد الأستاذ محمد كرد على فى ذلك مايضر بمصلحة جريدته " المقتبس " فى دمشق ، ويحدّ من مكانته ، فكان من جملة المتطوعين بالدس والوشاية عليه إلى السفاح جمال!.

ولما شعر الشهيد بنوايا جمال باشا، فرَّ إلى البادية ، واختفى مع إخوانه الشهداء (الأمير عارف الشهابى وعمر حمد، وتوفيق البساط) وقد بذل جمال باشا وجواسيسه نشاطا مكثفاً لمعرفة مقر اختفائهم ....إلى أن تم القبض عليهم في مدائن صالح.

وبعد القبض عليه سيق إلى الديوان العرفى بعاليه وظل فى السجن ثلاثة أشهر قيد التحقيق، وجاء فى مذكرات جمال باشا: " أن تصريحاته قد أوقعت بكثير من الشخصيات، والذى تحققناه أن ما أدلى به من تصريحات كان لا يتعدى المعلومات عن الأفراد الموجودين خارج البلاد العربية ولا تطالهم أيدى الأتراك وذلك للتخلص من أهوال الضغط والتعذيب والإرهاق فى السجن " وبالطبع فإن أقوال جمال باشا فىّ حقه كانت دساً واختلاقا للحطّ من كرامة هذا الشهيد الكريم.(١)

---

(١) أدهم آل جندى ص ١١٨.

في السجن الحربي :

كنا يومًا أربعة فدار الحديث عن المتهمين ومصيرهم [١] فقال عبد الغني :

- أنا لا أحسبني أعامل بأكثر من النفي ، ولي الثقة التامة بأنه سيحكم عليّ به ثم يشملني العفو، فأوضع تحت المراقبة فقط، ولما قلت له:- وإذا حكموا عليك بأشد مما تتوهم ؟ أجابني فورا : - كأنه أمين من مصيره - غير ممكن!....رحمة الله عليك ياعبد الغني! توهمت الوفاء في وعود الأتراك المزوّقة ، ورأيت على ثغورهم ابتسامة الرضى فاعتقدتها ابتسامة صدق وإخلاص، فعبد الغني أمل بالنجاة بناء على وعود كبير الجواسيس " كمال بك " اللعين، وما عرف أن التركي يبتسم عند القتل! ويكثر الوعود إذا نوى الخيانة والغدر!.

- عاد بواب السجن مناديا : عبد الغني العريسي ، إلبس ثيابك !

ونظرنا كلنا دفعة واحدة إلى عبد الغني فإذا هو عالي الجبهة يبتسم ! رأيته في تلك الساعة أشجع منه في كل المواقف - لبس ثيابه وهو يكلمنا ويلعن الأتراك، ووعدهم ونحن نذرف الدمع على هؤلاء الرفاق ، لولا خوفنا على أنفسنا وانتظار كل منا اسمه بدوره .

خلاصة نص قرار الإتهام والحكم بالإعدام :

" حكم عليه بالإعدام غيابيا ، وأخيرا ألقى عليه القبض ، كان ضمن الذين دخلوا في اللامركزية وفي تشكيلاتها السرية وكان مأمورًا لترتيب أمر القيام في سوريا ، وكان في العوامل لتهيئة الأفكار المضرة قبل المؤتمر وبعده ، وكان يسعي بكل قواه لضمان استقلال العرب وثبت أيضاً بأنه حرض العربان على القيام".

---

(١) فايزالخوري (أدباء السجون ص ٣٤٨، ٣٥٦).

وفى صباح ٦ من أيار سنة ١٩١٦ أعدم شنقا فى بيروت مع قافلة الشهداء الثانية وهو فى نحو الثلاثين من عمره. وكان فى كل مواقفه المشرفة وهو فى "محنته الكبرى" من مفاخر العرب، فى رباطة جأشه وحضور ذهنه وعدم مبالاته بالموت، وهو فى كل ذلك قد نهج للأجيال المقبلة طريقهم في التضحية والفداء .

كلمات خالدة : [١]

مازالت كلماته المدوية التى أطلقها وهو واقف تحت المشنقة تصرخ فى أوجه الأتراك الظالمين إلى الأبد :- " بلغوا جمال باشا أن الملتقى لقريب وأن أبناء الرجال الذين يقتلون اليوم سيقطعون فى المستقبل بسيوفهم أبنائك الأتراك...إن الدولة لا تبنى على غير الجماجم، وإن مجد الأمم لا يبنى إلا على جماجم الأبطال ، فلتكن جماجمنا حجر الزاوية فى بناء مجد الأمة العربية وأساسا لاستقلال بلادنا".

من آثاره الأدبية : .

١- مؤلفاته :

أ - كتاب " البنين " مطبوع [٢] وهو ترجمة عن الفرنسية لبول دومير وغوستاف لوبون .

وقد قدم عبد الغني لكتابه البنين بمقدمة قصيرة أشار فيها إلى سبب ترجمة الكتاب قائلا [٣].

"إلتفت يمنة " فألفيت فتاتنا العربية ، طيبة العرق ، صافية النوء ، طاهرة القلب، وضاحة الجبين . أطلَّت على بيتها وأشرفت على جماعتها ، فطار قلبى عليها إشفاقا ، من أن تفيض فيها فوضى الأخلاق ، وتقسم أمشاجها منازع السياسة .وإذ سمعت صرخة " بول دومير" يبصر فتاته ، فاستعنت بحكمته ، ونقلت نأمة صرخته ،

---

(١) أدباء السجون ص ٣٧٥ وشهداء الحرب العالمية ص ١١٩.

(٢) صدر هذا الكتاب سنة ١٣٢٩هـ - ١٩١١م.

(٣) مختارات المفيد. عبد الغنى العريسى- تقديم ناجى علوش ص ٣٤. - ط بيروت.

إلى هذه النابتة العربية الناهضة علّها تتجافى عن مفاخر هذه البيئة، فتعمل على حياتها الطيبة حياة الرجولة واستقلال الفكر واعتماد الذات وكبر النفس، فلا تغمض على قذى ، ولا تنام على أذى.

والكتاب مهدى " إلى رفيق بك العظم ، أحد زعماء سورية".

وتلى المقدمة التى كتبها عبد الغنى ، مقدمة كتبها رفيق العظم نفسه.

تعريف بالكتاب :

ولم نحاول مقارنة الكتاب مع أصله الفرنسى ، لأن هذا ليس من اهتمامنا ،ومع ذلك فلابد من بضعة كلمات عن الكتاب والترجمة:

فالكتاب يتناول مواضيع تربوية عامة ، مثل الواجب ، الإقدام ، السعى والعمل ، العدل والإخاء ، الحرية ، والتسامح ، المحبة والوداد ، الزواج ، الواجبات الوطنية ، المساواة فى الحقوق، حب الوطن ،قوة الوطن . وهذه المواضيع كانت موضع اهتمام عبد الغنى ولقد كتب فى بعضها كالإرادة.

أما عن الترجمة ، فقد توخى أن تكون واضحة وقوية . وقد وضع فى آخر الكتاب معجما صغيراً لـ " بيان مايتعــذر على التلاميذ فهمه من الألفاظ الواردة فى الكتاب"

ويلاحظ على الترجمة أن عبد الغنى ترجم الشعر شعرًا، كما أنه أقحم تدخلات حول العرب والتاريخ العربي، ولو أنه وضعها بين قوسين . فهو يقول، بعد أن ترجم حديث المؤلف حول الكتب النفيسة :" لو وقفت موقف المؤلف إزاء قومى لقلت: " عليكم بالقرآن الكريم والحديث الشريف ونهج البلاغة، ومقدمة ابن خلدون والعقد الفريد والأغانى والبيان والتبين وأشهر مشاهير الإسلام وأم القرى والتربية الاستقلالية ، وسر تقدم الإنجليز وروح الإجتماع وحضارة العرب والتربية لسبنسر وأصول النواميس والشرائع لبنتام وروح النواميس والشرائع لمونتسكيو وتاريخ التمدن

الإسلامى . وحرى بالفتى الكريم أن يتلمس كل ماكتبه ابن رشد وابن حزم وابن تيمية والغزالى وابن المقفع وعبد الحميد الكاتب".

وحين يشير العريسى إلى كتاب معاصرين عظام يقول:" ولو خيرّت لذكرت من رجال هذا العصر، جمال الدين الأفغانى ، ومحمد عبده ، أحمد لطفى السيد، ومحمد رشيد رضا، رفيق العظم، عبد الحميد الزهراوى ، شبلى الشميل ، جرجى زيدان ، عبد الرحمن الكواكبى ، يعقوب صروف".

إنه يدخل مثل هذه النصوص، وإن كان يضعها بين معترضات . وقد اقتبسناها، لأن لها دلالاتها . فهو ، حتى وهو يترجم ، لا ينسى أمته وثقافته . وهو ، فى النظرة شمولى نسبيًا يقدم هذه المجموعة المتنوعة من الكتب والكتّاب، التى تدل على اتساع ثقافته ، واتساع أفقه.

ب - كما ترجم الشهيد العريسى للشاعر الشهير حسن حسنى الطويرانى (١٨٤٦- ١٨٩٧م) ديوانه المسمى بـ " ثمرة الحياة " وهو يقع فى مجلدين [١]

٢- خطبة :

يعدّ الشهيد العريسى من الخطباء المفوهين : فإن له خطباً وطنية تدل على ملكته وغزارة مادتة الأدبية، من ذاك خطبه فى مؤتمر باريس الذى شارك فى تأسيسه، ومما جاء فى خطبته قوله : [٢].

---

(١) راجع شهداء الحرب العالمية ص ١١٨ والأعلام ج ٤ / ١٦٠ وفى الأعلام: " المختار من ثمرات الحياة " مطبوع.

(٣) الأدب والقومية فى سوريا ص ١٢٣-١٢٥.

" إن العرب تجمعهم وحدة لغة، ووحدة عنصر، ووحدة تاريخ ، ووحدة عادات،ووحدة مطمح سياسي.... فحق العرب، بعد هذا البيان أن يكون لهم - على رأى علماء السياسة دون استثناء - حق جماعة، حق شعب، حق أمة.....

تتساءلون ماهية هذا الحق لجماعة الأمة العربية فأقول:

أول حق لجماعة الشعوب - حق الجنسية : فنحن عرب قبل كل صبغة سياسية حافظنا على خصائصنا وميزاتنا وذاتنا منذ قرون عديدة، رغما عما كان ينتابنا من حكومة الآستانة من أنواع الإدارات كالامتصاص السياسى أو التسخير الإستعمارى أو الذوبان العنصرى.

وكل ماتذرعت به الآستانة من الوسائل لم يؤد إلى غير نتيجة واحدة هى الحرص على مكانة حق الجماعة ، وإحياء هذا الحس الشريف النبيل- حس الجنسية فاقتفاء للماضى، نقرر مناهضة كل مايؤول إلى إضعاف هذه القومية، والتذرع بكل مافيه حياة لخصائص العرب، وميزات العرب.

فنحن كتلة حية قائمة بذاتها وخاصتها ، لا تدع أية قوة تمس بنا هذا الركن الركين......

ثم قال :" تعودت حكومة الآستانة أن تعامل الجنسيات العثمانية معاملة " الغالب للمغلوب" على قاعدة :" حق الفتح" فنحن نصرح على رؤوس الأشهاد: بأنه إذا كان فى استطاعة الحكومة أن تدعى " " حق الفتح " فى بلاد البلقان مثلا فلا تستطيع أن تدعيه حقا، ولا حقيقة فى البلاد العربية، فهى قد ثبتت قدمها فى بلادنا بمساعدة من سلفنا كما يعرف ذلك كل متعمق فى التاريخ ولهذا ننكر كل الإنكار " حق الفتح" لأننا نحن قاعدة هذه الدولة، من قبل ومن بعد، لا أسرى مسخرون......

آلينا على أنفسنا أن نحافظ في هذه المملكة على مكانتنا، على جنسيتنا على مساواتنا، فلا أرض بعد اليوم تستعمر، ولا أمة تسخر، إنما نحن الرعاة لا الرعية. !

إعتادت الحكومة أن لا تستنفذ قوانا إلا لمعالجة ضعفها، ولا تستجبى أموالنا إلا لسد عوزها، وبعبارة جامعة : لا تستجمع رؤوسنا إلا لتعلو بها فنصرح فى هذا اليوم بملء الأفواه: إننا خلقنا قبل كل شيء لأنفسنا، ومادمنا بحاجة لأنفسنا لا يجب أن نضحيها إلا لأنفسنا ، وأن طريقة " استعمار الاستئثار " خليقة بالقرن التاسع عشر ولكن القرن العشرين يتطلب وجود هيأة بشرية شريفة أكثر بصيرة واعترافا بحقوق الأمم.... !

وقصارى القول: إننا نعتبر حكومات الآستانة غير مستوفية الشروط والأركان من وجهة العدل مادام حقنا غير محفوظ! لأن الحكومات فى نظر" إعلان حقوق الإنسان، لا تكون مشروعة إلا إذا احترمت حق الأفراد، فمن باب أولى حق الجماعات وحق الشعوب.

نطلب هذا الحق كشركاء فى هذه الدولة : شركاء فى القوة الإجرائية شركاء فى القوة التشريعية، شركاء فى الإدارات العامة ، أما فى داخلية بلادنا فنحن شركاء أنفسنا فى أموال المعارف، أموال النافعة، أموال الأوقاف، حرية الاجتماع، حرية الصحافة وذلك لا يكون إلا بتوسع صلاحيات المجالس العمومية.

أما طريقة الوصول إلى هذه الحقوق فستُتخذ لها كل الوسائل الشرعية فإننا نتخذ طريقة تفشل معها أثرة رجال الحكومة، فليفكروا قليلا. !

فإن النبى محمدا عليه الصلاة والسلام لم يخضع العرب بضغط ولا قوة، إنما استطاع استمالتهم بمعقول القرآن وتحقيق مبدأ العدل والمساواة والإخاء...."

- هكذا جاءت خطبة الشهيد العريسى شاملة لحقوق العرب منددة بموقف الأتراك المتجاهل لكل الأعراف الإنسانية والتاريخية - حينئذ - .

٣- مقالاته بجريدة المفيد :

- من الواضح لدى مراجعة "المفيد" أنها ليست جريدة شخص بل مدرسة ضمت عددا كبيرا من الكتاب والشعراء، ورغم ذلك فقد احتلت مقالات العريسى مكانا بارزا على صفحات جريدة المفيد واقترن اسمه بها.

ويمكن تقسيم مقالاته قسمين : الأول مقالات كتبها العريسى باسمه الصريح ووقع عليها . وقد بلغ عددها نحو (٤٦) ستة وأربعين مقالا و الآخر: مقالات غير موقع عليها. بيد أنه من خلال القرائن وتتبع الأسلوب يعتقد أنها للعريسى رغم اختلاف الأسلوب باختلاف المواضيع مابين سياسية وأدبية وثقافية وقد بلغ عددها نحو (٦٣) ثلاثة وستين مقالا. وقد جُمعت هذه المقالات بقسميها فى كتاب" مختارات المفيد"[١].

وهذا أنموذج من مقالاته التى وقع عليها باسمه تحت عنوان

باسم العرب نحيا وباسم العرب نموت. يقول:[٢]

أرق مافى الفرد عواطفه، فإذا تجمعت عواطف القوم كانت رقتها أبلغ من رقة عواطف الأفراد، لذلك إذا أخرج الناقمون مجموع العواطف القومية، تسارع إحساسها إلى اليقظة، فظهر بمظهر أقوى ووضوح أعظم ، مستحكم الحلقات متضافر القوى ، لاسيما العواطف العربية العثمانية، لأن القلب العربى ككرة المطاط، كلما ضغطت عليها، ارتدت عليك صداما.

---

(١) مختارات المفيد - عبد الغنى العريسى - تقديم ناجى علوش.

(٢) أنظر المقال كاملا بالمراجع السابق ص ٩٢. ولسان العرب العدد/٢٣/١٠٨٣/١ أيلول سنة ١٩١٢.

نعم إننا عرب عثمانيون بالرغم عن أنفسنا، لأن الجنسية وديعة قد انتقلت الينا دون أن نشاطر آبا ءنا هذا الرأى فيها. فهى ضمانة يتناقلها الأبناء عن الأجداد للأحفاد. ويا ويـــل خلف يخونون هذه الوديعة، يصبح مثلا لمذلة الدهر ونقيصة الأبدية.

فحكمة السياسة قائمة على مراعاة العواطف القومية بين جميع العناصر، وارضاء نزعاتها وإستمالة قلوبها، بما تأتيه من جميل الأثر. فالخبيرون يقولون بأن ثورة اليونان سنة ١٨٢٢ وثورة رومانيا سنة ١٨٥٤، وثورة الصرب والبلغار والبوسنة والجبل الأسود سنة ١٨٧٦، وثورة الكريديين سنة ١٨٩٨، وثورة الألبان سنة ١٩٠١ وسنة ١٩١١، وسنة ١٩١٢، وكذلك ثورات اليمن لم تكن إلا نتيجة مساس النزعات القومية والتسلط بالقوة والقهر.

فجدير بمن تنزع بهم أنفسهم من الاتحاديين إلى تتريك العناصر، والضغط على العواطف القومية، أن يتنكبوا هذه السياسة الخرقاء، ويفسحوا للشعوب أن تسترسل فى تعزيز جنسيتها، لأن ذلك أدعى إلى استحكام الجامعة العثمانية، وأصلح لاستمساك أعضائها، لأنه لا وطنية دون جنسية.

نعم لا وطنية دون جنسية لأن من يتنزل عن ذاته ويبيع معنى حياته، ويتجرد عن جماعته، ويتبرأ من أمته لا فائدة منه لغيره، ومن بخس نفسه بخس سواه. وحقيق بغلاة اللويان أن يسيروا سيرة الرجل الكبير "مدحت باشا"، فإنه كان العامل الكبير لإحياء العواطف العربية، مابين الشام والعراق منذ سنة ١٨٧٠، يقين أن الجامعة العثمانية لا يشتد أزرها إلا باشتداد جنسيات العناصر العثمانية. والقاعدة الاجتماعية تقول: كلما كانت الأسر قوية متضامنة، كانت الأمة فى ذروة من المنعة، ومنتهى من العزة.

هذه خطة" مدحت باشا" فى سياسة الشعوب، وهذه خطة" كامل باشا" وحزب الحرية والائتلاف ، وخطة كل الدول الأوربية ، فما من دولة أوربية إلا وهى قائمة على الجنسية ، تحافظ على خصائص كل قبيل ، ومراعاة عواطفه وإعطاء مطالبه إلا ماندر، وذلك فى سبيل الاستعمار.

فنحن العرب أمة حية لا نقبل الإستعمار بوجه من الوجوه، فلنا فى هذه المملكة المباركة ما لغيرنا، بل وزيادة ،لأن نفوسنا أكثر عددا ، وأراضينا أكثر اتساعا، فنحن مضطرون بحكم أنفة الطبع ، وإباء النفس أن نشاطر الناهضين بإدارة هذه الأمة ، فنعمل على حفظ كياننا العنصرى من الإندراس، وجامعتنا العثمانية من الإضمحلال .

فالأمة العربية العثمانية لا تقدم رؤوسها للجز ليستعلى عليها غيرها، فإن الرؤوس لا تتراكم إلا لاعتلاء أبنائها.

الأمة العربية لا تقطع سواعدها لتتصل سواعد غيرها، بل تحكم الصلة فيما بين أفرادها، حتى يتصل بها سواها . فمهما حاول المتشدقون الاتحاديون أن يطمسوا على هذه النزعة الطيبة الصالحة، ويجعلوا العرب عبدة خدمة يساقون كالبعير فلا يستطيعون . فأولى بالغلاة الاتحاديين أن يستيقظوا من أحلامهم، فينظروا نظرة العقلاء في سياسة الدول الحاضرة مع شعوبها، فيعلموا أن الضغط على العواطف القومية، وفكرة تحويل الشعوب ، وصبغها بصبغة واحدة ، من قواعد سياسة القرون الوسطي . أما محور سياسة الدول الحاضرة، فهو مراعاة العواطف، وإرضاء الخصائص، وتوسيع الصلاحية لكل قبيل.

ـ وهذا أنموذج آخر من مقالاته التى لم يوقع عليها باسمه ولكن القرائن تؤكد نسبته إليه.... وقد جعل عنوان مقالاته:قول عمر لأحد عماله :(١)

(١) المرجع نفسه ص ١٧٧.

كثر شاكوك وقل شاكروك ... فإما اعتدلت وإما اعتزلت !

كلمة قالها عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه، لأحد عماله، فأولى "لحلمى باشا" وأولى أن ينفذها اليوم لجميع الولاة ، حتى تستفزهم الرجولة ، فيظهرون أشدّ الناس بأسا ، وأمضاهم عزما ، وأنفذهم رأيا ، وأصلحهم حكما.

وإلا مادامـوا على تهاونهم فى تطبيق القانون، ما دامت سيطرة الحكومة تتضافر وقوة العمال تتضاءل ، وثمة شر مستطير، وأمر عسير.

شاع على ألسنة العوام أن الحكم الاستبدادى خير من هذا الحكم، ومصدر هذه الإشاعة يرجع إلى مايشاهدون من ضعف الولاة، بحيث اختلت الأمور . ويغض بعض الناس الدستور، وكاد يفور التنور!.

فنحن بحاجة لولاة ينهضون بهذا الشرق ، ويحببون للناس هذا الحكم، بما يبرزونه من جليل أعمالهم،وجرأة إقدامهم ورسوخ حزمهم، وإلا سخرت الناس بهؤلاء الولاة ، ولم يرعوا لهذا الدستور الكريم جانبا .!

- فيا أيها الوالى الكريم:

إن الحكومة جزء صغير من الأمة ، والأمة جزء كبير . فإذا لم تجمع فى نفسك قوة عظمى من الشدة والحزم، ظهر عليك الجزء الكبير، وبطل رأيك والتدبير.

فتدرع بالمضاء واستمسك بالعزيمة ، وقم بواجبك ، واعلم أن المرء حديث بعده.

يتقرب الناس إليك فيلقون فى أذنيك مايزينون به أعمالك ، فاقطع هؤلاء عنك ، وتجاف عنهم ، فإن الحر لا ترضى عنه إلا نفسه . نعم إنك لتخسر فى ذلك تقبيل أيديك ، ولكن الشهم يغنيه فى الحياة الدنيا رضاء وجدانه والعمل بموجب نظامه.

الوجدان يتقاضى منك أن تبذل الجهد، والكد فى نهضة هذه الأمة، وأولها راحة الأهلين.

يقول المتفيقهون أن الأمن مستتب، والراحة مستحكمة، والطمأنينة متمكنة. كيف ذلك وقد قتل فى الأسبوع الماضى الحاج إسماعيل الزين ، وفى هذا الأسبوع أمين عبده ، ودوى الرصاص لا يزال يتواصل ويتسلسل.

ضمنى ومن يخدمون الولاة ويعبدونهم مجلس ، فأنحنوا كل الإنحاء على استرسال المفيد بحرية القول، حتى قال أحدهم: مابالك أترضي بأن ينزل الوالى بنفسه ليمنع القاتل من القتل؟ ...إن نفى القتل وتوطيد الراحة من خصائص الدرك ومن خصائص الوالي أيضا فهو الرأس منبعث الحركة.

وقد نصَ عليه القانون فقال: من أهم واجبات الوالي المحافظة على الطمأنينة بين الناس.

هذا وإنا لا نرغب فى أن ينزل الولاة عن مناصبهم، كما كان يفعل عمر بن الخطاب ، توثيقا للراحة ، وتعهدا بمصالح الأمة .

بل نكتفى منهم بأن يظهروا مظهر المسيطر، حتى يعلم الناس أن على كرسى الولاية رجلا مقداما، نشيطا هماما، فيتهيبوا بأسه، ويحاذروا بطشه ، ولا يخرقوا للنظام حرمة ولا يهتكوا للحكومة ذمة.

- والقارىء يلمح وجه شبه بين المقالين تؤكد النسبة إلى كاتب واحد، يثق بنفسه، ويعتز بوطنيته ويتمتع بجرأة نادرة وقد اتسم بجزالة أسلوبه، وصدق عاطفته وحرارتها والاستعانة بالسخرية الهادفة، وغالبا مايختم حديثه بالنصيحة الخالصة... إلى آخر مايلمحه القارىء من خصائص تميز أسلوب "العريس".

وصية الشهيد

وكان آخر ماكتبه العريسي وصيّة تاريخية أدبية قبيل وفاته جاء فيها [(١)]

" يابني يعرب وياسلالة قحطان، ويانسل الأكارم الأماجد، وياخلف الأشاوس الصيد الذين دوّخوا العالم بعزمهم، وملكوا الدنيا بعدلهم، ياذوي الهمم الشماء والنفوس العصماء ، والمآثر الغراء ، يا أباة الضيم ، وياحماة الذمار وحافظي العهود ، يا أيها الإخوان المنتشرون في جميع أنحاء العالم المعمور وأقطاره سلام.

" أوجه خطابي هذا إليكم وأنا على شفير هاوية الموت، وبين براثن الوحش التركي الذي خرّب بلادكم ودمّر بيوتكم، ويتم أطفالكم، ورمل نساءكم، وأذل إخوانكم، وأمتهن حرمتكم، وحبس ملاك الحياة وقوامها عن أطفالكم المعولين وأولادكم الصارخين ليقدمها طعاماً لأطماعة، أوجه إليكم اليكم خطابي هذا من بادية الشام من بين مضارب إخوانكم الأعراب الأسود الذين عليهم المعول الأكبر في إنقاذ البلاد ، ودك عرش الظلم والبغي والجور وكل فاحشة ومنكر.

" وقد لا يصلكم كلامي هذا قبل وصول منعاي ، لأن الظالمين قد أصدروا أحكامهم الجائرة على وعلى عشرات غيري من خيرة أبناء سورية، وبعد ما أفلت من أيديهم وأصبحت حرا حيث تتجلى الحرية بأسمى مظاهرها بين خيام الأسود ، ومضارب الظباء ، أرى الواجب عليّ يدعوني إلى نواحي الشام، وإني مبكر غدا بعد أن أعهد إلى أخي في الجهاد ...النجدي في إبلاغكم خطابي بالطريقة التي يراها ، فإن تيسر لي الخلاص والفلات مرة ثانية أتممت الواجب، وإلا فحسبي أنني خدمت أمتي وبلادي حتى آخر نقطة من دمي، ولست بالفدائي الأول الذي يموت

---

(١) راجع شهداء الحرب العالمية الكبرى ص ١١٩- ١٢٠. ومختارات المفيد ص ١٦٢- ١٦٤. وقد جمعت بين المرجعين لوجود نقص واختلاف في بعض العبارات.

اليوم فى سبيل القومية العربية، فالرفاق كثر ، والغاية النبيلة التى نقوم بها وندعو إليها تقتضى ضحايا كثيرة، لأن أركان الحرية والإستقلال لا تثبت إلا على الدماء الذكية، ولا تصان بغير النفوس الأبية ، فلا تيأسوا إذا بلغكم غدا أن مئات من نخبة رجال الأمة العربية قتلوا، فالغد يتلوه غد أيضا، وبعد غد فرج إن شاء الله".

" ستستمعون - وربما سمعتم - بما ترتعد له الفرائص، وتقشعر له الأبدان من الفظائع التى يمثلها الإتحاديون فى الأمة العربية النجيبة، لأنهم قد قرروا إفناء الشعب السورى برمته حتى الأطفال، وهم منذ أشهر عاملون على احتكار الأقوات تحت سلطتهم العسكرية، وقد قرروا أيضا محق العراقيين الأباة ، ولكنهم فى العراق أقصر يدا مما هم فى سورية. ....

وربما خلت سورية من ثلثى سكانها الحاليين، لأن من ينجو من المشنقة يميتونه تجويعا وهزالا.

" لقد حاولوا قتل لغتنا وجربوا أن يميتوا عاطفتنا القومية وبذلوا الجهود فى تتريكنا فلم يفلحوا ، كل هذا ونحن صابرون صبر الكرام، أما وقد باشروا إبادتنا وإجلاء من يبقى من المزارعين والعمال عن البلاد السورية إلى حيث يفقد جوهر عنصره الشريف فلا صبر على هذا ولاطاقة.

"إن قائد الفليق الرابع جمال باشاالجاسوس الأكبر قد عرقل بحيله مساعينا، وأخر قيامنا بعد خيبته بغزوة مصر، واسترجاع القطر الشقيق إلي العبودية تظاهر بالميل الى العرب، وأسرّ إلى عشرات من كبار الشعب السورى، أنه يريد الإستقلال بسورية، وقد ألمع مرات فى الولائم الخاصة التى كانت تقام له إلي استقلال سورية، وحث المنفذين على النهوض والقيام وشق عصا الطاعة على الحكومة، فوثق كثيرون

منا به ولكن البعض الآخر منا لم يأمن غدره ، ولا تغافل عن تنبيه إخوانه إلى الحذر من الوقوع فى حبائل مكره، وقد تمكن بهذه الأساليب الخداعة، والأكاذيب السياسية من اكتشاف بعض دخائل السوريين، فأعمل فيهم السيف، وأمعن فيهم قتلا، ولكن سيفه ومشنقة دواوينه العسكرية، وأحكامه الجائرة ومنكراته الفظيعة هذه كلها كانت أكبر مساعد لنا على دعوتنا، وأعظم منشط لنا فى جهادنا، وهى وإن تكن أخرت أوان القيام به، إلا أنها وطدته وثبتته، ودعتنا إلى التحفظ والتعقل والروية والتفكير.

" ونحن الآن نطلب من براثن الموت، أن خطتنا منظمة كما يجب وستجود سورية بالمبشرين بدين الاستقلال والفرج معقود على أسنة الأسل، ومكتوب على شفار بيض الظبى. الفرج يأتى من البادية، والجذوة الميمونة المتقدة الآن فى الحجاز هى فاتحة البركات للبلاد العربية جمعاء .

" لا تلبث نجدُ أن تثورَ، والأسَد العراقى أن يَثِبَ عندما تصل إليه الإمداد، والشبل السورى الضعيف المحبوس فى قفصه الحديدى ستهبه النخوة القومية، وتسكبه الغيرة الجنسية قوة وعزمًا، فيكسر قضبان سجنه الفولاذى، ويحطم بقوائمه رأس مقيده، وقد لا ينقضى الخريف، وتهب عواصف الشتاء إلا وتثور زوابعنا، وتنقض صواعقنا على هامات الظلام.

" فيا إخوانى الأعزاء المهاجرين فى الأصقاع البعيدة عن مظالم الاتحاديين وجورهم، أطلب إليكم باسم القومية الشريفة التى ننتمى إليها، أن لا تتقاعسوا، ولا تتقاعدوا، ولاتتصاموا عن نداء الوطنية والحرية والاستقلال العذب الذى يدعوكم إلى الإتفاق إلى الاتحاد، إلى التعاضد، إلى الوئام، إلى الإنضمام والالتفاف لما فيه خيركم خير بلادكم، ونجاة ذويكم وحريمكم وأعراضكم من الدمار والفناء والموت والانتهاك والدنس.

- " إعلموا أن إخوانكم هنا يقدمون أرواحهم ، ويضحون نفوسهم فى سبيل القومية، فلا تضنوا أنتم بالاتحاد والاتفاق، ألتمس منكم أن لا تفترقوا فرقا وطوائف، فاليوم لا مسيحى ، ولا مسلم ، بل الجميع عرب، ومن العرب وللعرب، لا لبنانى ولا بيروتى ولا شامى ولا حلبى ولاحمصى ولا حموى، فحظ البيروتى، هو حظ لبنان، وحظ الشام وحلب وفلسطين والعراق والحجاز واليمن.

" إنى لعلى ثقة مما أقول فلا تشكوا، وحدوا جمعياتكم ، وحدوا أفكاركم وحدوا آراءكم ، وفقوا بين مشاريكم وأذواقكم ومساعيكم.

أدعوكم أيها الأخوان المحبوبون أينما كنتم، وحيثما اجتمع منكم عشرة أن تبادروا إلى تأليف جمعيات باسم سورية، تتعارفون بها وتتفاهمون، وتكرسون مما رزقكم الله من خيراته وبركاته ونعمه وأمواله لأجل سورية الجديدة، لأجل سورية المستقلة".

★ ★ ★

لقد بعث الشهيد بهذه الوصية الأدبية من البادية، وهو يعلم مصيره، وأن أجله قد دنا، رالوصية تعدّ - بمغزاها ومعناها - دستورا قوميا للأجيال الصاعدة، لقد بنى الشهيد مجدا أساسه الأخلاق ، وهيكله العلم، وتاجه الفضيلة، وكان من الطبقة الأولى من رجال الأمة ثقافة واندفاعا فى سبيل الإصلاح، وليس من السهل دراسة شخصية هذا الشهيد، وأطواره وعقيدته الوطنية، بعد أن اتهمه جمال باشا، وجعل من اعترافاته التى انتزعت منه بالشدة والإرهاق وسيلة للفتك بكثير من شباب العرب، فالمواضيع متشعبة وقد اكتنفها الشكوك فى تلك الفترة المرعبة.

الشهيد / الأمير عارف الشهابى :

(١٣٠٦-١٣٣٤هـ)(١٨٨٩-١٩١٦)[١]

أصله ونشأته :



هو عارف بن محمد سعيد ابن جهجاء بن حسين بن محمد ابن حسن بن قاسم بن منصور، من أسرة أمراء بنى شهاب الذين ينتهى نسبهم إلى بنى مخزوم من قريش ، والذين اشتركت عشيرتهم فى الفتوحات الإسلامية،تحت لواء أبى عبيدة بن الجراح- رضى الله عنه- ثم حكمت أسرة الشهيد حوران، فوادى التيم، فلبنان .

- ولد عارف الشهابى فى (حاصبيا) (من أعمال دمشق) مقر الأمراء الشهابيين في وادى التيم سنة ١٨٨٩م وتلقى دراسته فى دمشق ثم فى الآستانة، وحمل شهادتى الحقوق والملكية.

---

(١) راجع شهداء الحرب العالمية الكبرى ص١٢١. والأعلام للزركلى جـ٤/ ص ٩-١٠.

نشاطه الوطني :

تألفت في دمشق أول حلقة وطنية وذلك سنة ١٩٠٣م من محب الدين الخطيب والشهيد الشهابي، والدكتور صالح قنباز، والدكتور صلاح الدين القاسمي وعثمان مردم بك وغيرهم، وكانوا تلاميذ يترددون على حلقة الشيخ طاهر الجزائري ، وكانت أغراض هؤلاء الشبان الظاهرة مدار سة اللغة العربية وآدابها وتاريخ العرب والإسلام.

أما هدفهم الخفي، فقد كان بعثَ العروبة من رقادها بتلقين شباب العرب الوسائل المؤدية إلي هذا البعث.

محنته :

- في أوائل سنة ١٩١٤شارك الشهيد صديقه عبد الغني العريسي في إصدار جريدة" المفيد" البيروتية، ثم تولى تحريرها وأصبح شريكا فيها، ،وكان للأمير الشهيد فيها مقالات وطنية رنانة بتوقيع " عبد الله بن قيس" كان لها وقع الصواعق على رؤوس المستبدين ، فتعرض لنقمة الوالي عارف المارديني واضطهاده.

- ولما نشبت الحرب العامة (١٩١٤) عاد إلى دمشق ونقل جريدة " المفيد" إليها، إلا أنه لم يلبث أن أحس بشر الحكومة ، وتعقبها للأحرار ، وكان الشهيد - كما أشرنا - من أعضاء جمعية" العربية الفتاة " السرية، لهذا فر مع رفاقه : عبد الغني العريسي، وعمر حمد ، وتوفيق البساط إلى الجوف في البادية، ثم قبض عليهم في محطة " مدائن صالح " وسيقوا إلي الديوان العرفي العسكري في عاليه ثم زج بهم إلى السجن.

في السجن الحربي :

وفي السجن الحربي بعاليه أظهر الأمير الشهيد جرأة شهابية موروثة، وقد أنجب ابنة له وهو في سجنه ، فأوصى بتسميتها (ثأر) ولم تعش بعد استشهاده طويلا، ولزوجته رسائل بليغة بعثت بها إليه وهو في سجنه....

خلاصة قرار الإتهام والحكم بإعدامه:

" كان من أعضاء اللامركزية وأهميتها مصرحة في المخابرات التي تبودلت بين المركزية وفرع بيروت ، وهو أيضا فر إلى البادية ورغب العربان في القيام."

وفي صباح ٦ أيار سنة أعدم شنقا في بيروت مع قافلة الشهداء الثانية وهكذا قضى هذا الأمير شهيدا في سبيل القومية العربية وهو في أوج شبابه،

من آثاره الأدبية:[١]

هو كاتب وخطيب وله عدة مقالات في جريدة المفيد البيروتية بتوقيع " عبد الله بن قيس " ، وكان يجيد التركية والفرنسية وترجم عن الأولى رواية " فتح الأندلس" للشاعر عبد الحق حامد (مطبوعة)وله كتاب :" في تاريخ العرب والإسلام" ثلاثة أجزاء ، لا تزال مخطوطة، وله عدة قصائد شعرية متفرقة وعدة خطب جديرة بالجمع والطبع.

بعض مواقفه الأدبية :

نرى وفاء لهذا الشهيد الأعز أن ننشر قصيدته التي ألقاها في نادي المدرسة العثمانية الدمشقية ليلة حفلتها لسنتها الخامسة ١٩١٠- ١٩١١ وهي

(١) راجع شهداء الحرب العالمية ص ١٢٢ والشعر والوطنية ص /٥٠٢.

مدرسة الشيخ كامل القصاب فى حى (البزورية) بدمشق،، ويتجلى فى كل مقطع منها مايختلج فى صدره من وطنية صادقة وحس مرهف، وروح وثابة ودعاية للقومية العربية، وإنى أتقدم بالشكر إلي الأخ الوفى الأمير يحيى الشهابى و هو ابن شقيقة الشهيد الذى أتحفنى بهذه القصائد: [١].

تَعالى اللهُ يفْعلُ مايشـــاء ... أغاضَ النورَ أم حمَ القضـــاء
عرفتك أيّها الشعبُ المفـدّى ... يقصّر عن مَعَاليك العـــلاء
عرفتَك والمدارسُ آهــلاتٌ ... رياضٌ جادَها منك السخـاءُ
عرفتُك والمعاقلُ شامخــات ... لسطوتها تخرُّ الكبريـــاءُ
عرفتُك والبوارجُ منشئــات ... يهابُ زئيرها برٌّ ومـــاء

* * * * * *

أتذكرُ إذ نشأت وأنتَ طِفـل ... أنارَ ظلامَ غَفْلته الذكـــاء
أتذكرُ إذ صبوتَ إلى المعالـي ... بعزم حدّ صيقلَه المضـــاءُ
فَقَوّضتَ العروشَ ولا تبالــى ... وعرشَ الظلم يدركه الفنـــاء
سلوا كسرى وقيصر إذ أتتْهُم ... جُيوشَ العرب يدفعها الإبــاء
تحاذر أن ترى فى الكون بغيا ... وترجو أن يسودَ به الإخـــاء
سلوا الصينىَ والهندى يومـا ... وقد أودى بهم داءُ عيَـــاء
وداويتَ اللذين[٢] بغوا بحلم ... وبعض الحلم للباغـــى دواء
فأرضى فعلك الدّيانَ ربــى ... وَسرَ بما أتيتَ الأنبيـــاء

* * * * *

- ويذكر الشباب بالأمجاد الغابرة، والبعد عن اليأس فيقول:

---

(١) شهداء الحرب العالمية الكبرى ص ١٢٢- ١٢٥. والنص فى الأصل بدون تعليق.

(٢) هكذا فى الأصل والصواب: الذين.

تَذكر - زادكَ الرحمن مجــــدا ... ولا تيأس ففى اليأسُ البــلاء
تذكّر عهدَ أندلس ومصــــــر ... وبغداد وفاخر ماتشــــــاء
تذكر شامَنا والعلمَ فيهـــــا ... ليالى تحسدُ الأرضَ السمــاءُ
مدارسُ تستضىء بها البرايَــا ... وقد أخنَى على الغرب الشّواء
مئات ليس يحصيهن عـــدّ ... أذاع أريجَها منك العطـــــاء
أراَها اليومَ نال الدهرُ منــــها ... فغار العلمُ وأندكَ البنــــاء
وأقْفرت الديارُ ديارُ قومــــى ... وفاز الجهل وانقطع الرجـــاء
ألا بالعلم يَسعدُ كلُ حـــى ... وفى الجهلِ المذلة والشقــــاءُ

- وتتجلى سمو أهدافه، ووطنيته وحثّ الشباب بالإقدام على ارتشاف العلوم فيقول:

بلادى لا أراكِ الله ضَيمــــاً ... وخَيّمَ[١] فى مغانيكِ الصفاء
بَنَى وطني دعوا هذا التراخــى ... فلا يجدى التناذُب والبكـاء
إلى العلم الصحيح نسيرُ سيرًا ... حثيثًا لا يلمُّ به رخــــاء [٢]
ونبذل دون مانبغى دِمانـــــا ... ويَغنى دونَ مانبغى الثــراء
سَماع ، سَماعِ إن المالَ سُحــتٌ ... لعمرُ الحق ليس له بقَــــاء
إذا لم يفدْ فى سُبـل المعالــى ... ألا فالمال للعليا فــــداء
يقول الكاشحون[٣] من الأعادى ... بأن الشرقَ ليس له ارتقـَـــاء
وانْ لم يبقَ منه سِوى ذَمــــاء ... وغبا ينطفي هذا الذمَــاء[٤]

---

(١) لا أراها مناسبة للصفاء !.

(٢) لعله أراد : سيرا سريعًا إلى العلم لا يلم به (ارتخاء) أى استرخاء واضراب.

(٣) الكشح : مابين الخاصرة إلى الضلع الخلف والمراد الذين يطوون كشحهم على العداوة.

(٤) الذّماء : بقية الروح ، يقال : "مابقى منه إلاذماء يتردد في خَيال " أى بقية روح تتردد في جسم كالخيال. وغبا : أى سريعًا سيذهب هذا الذماء !.

وربّ البيت ماقال الأعـــادى ... ورب البيت مَيْنٌ وافــتراء[1]
فإن يكُ مجدُنا العلمي ولّـــى ... فملءُ عروقنا تلكَ الدّمـــاء
رفاتُ جدودِنا أبداً تنـــادى ... فيوقظ هاجعا هذا النـــداء
تقولُ عليكمُ بالعلم دومـــا ... فذلك منهلٌ فيه الشفـــاء
تقول وقولُها حق صُـــراح ... تعزّوا فالبنون لكـــم عزاء

وهذه قصيدة وطنية عنوانها: إلى م ......إلى م......؟
وقد جادت بها قريحته فى زمن السلطان عبد الحميد، عهد الطغيان وخنق الأصوات الحرة ، وقد تجلى فى مقاطعها ، آيات الهدى، والنصح لبني قومه، فقال رحمه الله ، وطيّب ثراه:

إلى م .... الى م......!

إلى مَ......إلى م ... تثور النفوس ... فتقذفُ بالأمل الباطـــل
وحتّى مَ.... يمرح هذا الخيـــال ... فيرجعُ فى خيبة السائل
ألم يأن[2] للقلب أن يَستفيـــقَ ... فلا يطمئنَ إلى الزائـــل
ولكنّه في سُباتٍ عميـــــق ... يفكّر فى الزمن القابـــل
وتلكَ الخواطرُ أحلامـــــه ... تهبُّ وتطفأ بالعاجـــل

* * * * *

فؤادى ..فؤادى.. إلى م السكـون ... أما للتجاهل من آخـــر
وكيفَ احتواك ظلام الخمـــول ... ومنك الشعاعَ إلى الخاطر
كفاكَ تَعامي وأنت البصيـــــر ... فقد أشرقَ الحقَ للناظـــر
أفقْ وتبصَرْ رؤوسَ الأنـــام ... فمِن مستكين إلى ثائر

---

(١) المين : الكذب.

(٢) ألم يأن : فى الأصل بضم النون والصواب ماأثبتناه بكسرها .

أفِقْ وتبصّرْ رؤوسَ الأنـــــام فمن مستقيم إلى جائـــر

* * * * *

فؤادى تنفّس صبحَ المُنَـــــى وآن قيامُك ياراقــــدُ
وأشرقَ للشرق نورُ الهـــدى فثابَ إلى عقلهِ الشـاردُ
وهبّ بنوه هبوبَ الريـــاح وحرّك لجهَم الراكــدُ
وأصغره قام والأعجمـــى وكلّ لنيلِ العلي قاصـدُ
ولا بدّ للشرق من هبـــةٍ يخرّ لها المغرب الجاحـدُ

* * * * * *

فأنَّ الفؤادُ أنينَ السقيـــم بصوتٍ خفىٍ ولكنْ مبـينْ
ورفّرف كالطيرِ يرجو الخـلاص وأنىٰ لذاك الشقى السجينْ
وقال رويدكَ ياصاحبـــى تنادى وأنتَ من الغافلـينْ
أتذكرُ شعبًا سما وارتقـــى وتلْهو عن العُرْب البائسينْ
وكانوا ملوكَ جميعِ الـــورى فأضحوا عبيداً إلى الآمرينْ

* * * * * *

فقلت : فديتك ياذا الفـــؤاد ويامستشارَ الْهنا والشّقـا
أتحيا نفوسُ براها الخمـــود وأودى بها حيث لامرتقـى
وفرقها الدهر عن مجدهـــا وناهيك بالدهر ان فرقـا !
وأغرى بها زخرف الأجنبـــى فلله منه إذا أبرقـــا
ودسّ بها من سمومِ النعــاس فنامتْ وهيهاتَ أن تأرقـا

* * * * * *

فضجّ الفؤادُ وكأنـــةٍ (١) يسألنى (٢) كشفَ سرٍ خفي

---

(١) هكذا فى الأصل :(وكـأنته) بزيادة واو والصـواب(كـأنانة) بحذف الواو وزيادة ألف بعد النون.

(٢) هكذا فى الأصل : (يسألنى) والصواب : (يسائلنى) لكى يستقيم البيت على البحر المتقارب.

فقلتُ له قد ألفنا الرخـــاء ... ولم يلْونا حَرج الموقـف
فجاء بنو الغرب أوطاننـــا ... مَجيءَ المُيَقّظ والمسعـف
وقاموا لنشـر العلوم وكُنا ... إذا قيلَ ماالعلمُ لم تعـرف
وشادوا المدارس دوراً عظامـا ... فأعجبَتِ العينَ بالزخـرف

* * * * *

- ومن آثاره الأدبية التي يحفظها له التاريخ في استانبول أنه في سنة ١٩٠٥ سافر هو " ومحب الدين الخطيب" إلى الآستانة للدراسة العالية،فاتصلا بالطلاب العرب فيها، وتطوعا لإلقاء دروس بقواعد العربية وآدابها عليهم، وأخذا يجلبان لهم بالبريد الأجنبي مجلات مصر وجرائدها كالمقتبس والمقتطف واللواء والمؤيد والأهرام وغيرها ويبثان فيهم مبادىء القومية العربية.

وفي استانبول أسسا مع" شكري الجندي" و"عبد الكريم قاسم الخليل" (جمعية النهضة العربية) على أن يكون مركزها الثابت في دمشق، وهي أول جمعية قومية عربية منظمة نشأت في أوانها قبل إعلان الدستور العثماني، وأفضت محادثات شبانها بعد الانقلاب إلى التأسيس المنظمات القومية المشهورة كالمنتدى الأدبي في الأستانة وجمعية (العربية الفتاه) والجمعية (القحطانية) وجمعية (العهد).

فالشهيد عارف الشهابي يعدُ من رواد القومية الأول الذين وضعوا أسسها في أوائل القرن الحاضر.

وكان يدرس بالمجان تاريخ العرب في مدرسة الوطني المجاهد الشيخ" كامل القصاب" بدمشق، ويلقن طلابها ماكان للعرب من مجد زاهر، ويحثهم على العمل لإعادة الأمة العربية إلى سابق عزها وسؤددها.

وبعد تخرجه في كلية الحقوق في الآستانة ، عين كاتباً خاصا لوالي ببروت (أدهم بك)، ثم عهد اليه بوكالة قائمقامية النبك، ولما أخذ الاتحاديون يضطهدون

شبان العرب، أبت نفسه الكبيرة الخضوع للذل، فآثر الانطلاق من قيود الوظيفة فاستقال واحترف المحاماه ، فكان من المحامين اللامعين فى عهده ، فاشتهر أمره وذاع صيته.

وقد شارك الأمير " عارف " فى حلقة دمشق الصغيرة السرية[١] والتى تألفت بدمشق عام ١٩٠٣م وانضم إليها طلاب كلية الشيخ "عباس الأزهرى"، وكان هدفها: مدارسة تاريخ العرب وقواعد اللغة العربية وآدابها ، ولكى نعرف شيئا عن الوطنية التى كانت تتأجج في صدور أعضائها نقرأ أبياتا من قصيدة طويلة لعارف الشهابى عام ١٩٠٧م أى زمن السلطان عبد الحميد، وهى موجهة إلى الأمة العربية، وهى تشيد بمجد العرب وسؤددهم وحضارتهم فى الماضى ،وتندد بجهلهم وخنوعهم للأجانب، وحث الأمة العربية على العلم وتأسيس المدارس الوطنية والتشبث بحقوقهم الضائعة ومن ذلك قوله:

فذى للبنين وذى للبنـــات ... تراها تلظى دروسـا دروســا
يُؤَمُّ إليها قُبيلَ الشـــروق ... شبابُ البلادِ خميساً خميَسا
يَسُوسَ عقولَهم الأجنبـــىّ ... كأنّا على العجز من أن نسوسا
يُريهم علوما تُميتَ النفـــوسَ ... ولا خيرَ فيما يُميتَ النفوســا
إلى أن محا ضوء آمالنـــا ... ولم يبقَ من ذاك إلا نسيســا[٢]

* * * * * *

أجل ....إن للـعلم بين الورى ... يدا ترفـعُ السـافلَ المزْدَرَى
ونورًا يُزيح ظلامَ الخُطُـــوبِ ... إذا الدهر عن نابه كشّـــرا
ولكنْ بربك ماعلّمنـــــا ... ولما نزل أنفسًا تُشْتَـــرى

---

(١) راجع القومية العربية. مصطفى الشهابى ص ٥٢-٥٦.

(٢) نسيسا: قليلا.

- أنرجوه من كرم الأجنبـــي ونرجو الرقى لأسمـــى الذرى
وأن نتملص من رقّـــــه وذا كيف يرضى بأن يخسرا ؟

* * *

ثم يحث على النهوض للمطالبة بحقوق العرب الضائعة فيقول:

بني وطنى ....آن وقت القيام ووقت البروز ووقت الزحـــام
وأن تتمطى بتلك القيـــود وان نطلب العيش عيش الكرام
وأن لا نؤول بأوطانـــــنا إلى الأجنبى ونبقى نيـــام
وأن نرفع البؤس عن أمـــة تساق إلي الذل سوق الســوام
أحبيكمُ ياجدوداً جـــرت إلى قمم المجد جرى السهــام

والقارئ يلمس انسياب القافية وطواعيتها، مما يدل على موهبة الشهيد ومهارته الشعرية.

***



الشهيد الشيخ أحمد طبارة :

(١٨٧٠ - ١٩١٦)(١)

مولده ونشأته :

هو ابن المرحوم حسن طباره ، وأسرته عربية الأصل ، حسنية الأرومة، هاجرت من المغرب إلى. بيروت قبل القرن الحادى عشر للهجرة، انحدر من أصلابها أعلام الرجال فى العلم والأدب والسياسة والتجارة.

---

(١) شهداء الحرب العالمية الكبرى ص ١٢٦.

ولد الشهيد في بيروت سنة ١٨٧٠م وتلقى علومه على أعلام عصره، وكـــان خطيباً لجامع النوفرة، وأسهم كثيراً في أعمال الإصلاح والوعظ والإرشاد .

نشاطه:

أ) في ميدان الصحافة : دخل معترك الصحافة، فكان من المبرزين، وقد حرر جريدة ثمرات الفنون"، وفي ٢٢ أيلول سنة ١٩٠٨م أصدر جريدة " الإتحاد العثماني"، فكانت في طليعة الجرائد البيروتية، وكان من أركان النهضة العلمية والأدبية، وله فيها القدح المعلّى.

ثم أصدر جريدة(الإصلاح)فكانت مجلة فنية وأدبية خرجت بترتيب صحفي أنيق، فبلغت في آخر عهدها وذلك قبيل نشوب الحرب العالمية الأولي شأوا لم تبلغه جريدة عربية معاصرة. وقد امتاز بمقدرته وجرأته الأدبية، وتفنن بأساليب السياسة، ووقف قلمه البليغ في نصرة القومية العربية ومقاومة رجال العهد التركي، فكان طودا شامخا لا يتزعزع عن عقيدته الوطنية الصلدة.

ب) في المؤتمر العربي :- كان من دعاة طلب الإصلاحات العربية، وعضوا بارزا في المؤتمر العربي اللامركزي الذى عقد في باريس وأميناً لسرّه، وقد ألقى أثناء انعقاده محاضرة ضد السياسة التركية نزلت على رؤوس الاتحاديين الأتراك كالصواعق فطغى حقدهم عليه.

محنته :

لما نشبت الحرب العالمية ١٩١٤ وتولى جمال باشا قيادة الجيش الرابع، كان الشيخ أحمد في عداد الذين يطاردهم جمال فقبض عليه وسيق به إلي الديوان العرفي في عاليه للتشفي والانتقام، ثم زج به في السجن ، ولقي أهوال التعذيب والإرهاق، فصمد لتلك المحنة، فكان مثاليا بإيمانه وصبره ، وجلده...

في السجن الحربي :

عجبت كثيرا [١] عندما سمعت بعض الناس يلقون التبعة على المرحوم الشيخ أحمد طبارة بأنه هو الذى أوقع المرحوم سعيد عقل في المأزق الحرج !

أما الحقيقة فهى عكس ذلك وأنا الذى كان حاضرا يومئذاك وسامعا مايجرى فى الديوان العرفى أؤكد : أن الشيخ دافع جهد طاقته عن براءة سعيد ولما سئل فى استنطاقه عنه، أجاب:-

- لم يكن لسعيد علاقة بسياسة جريدتى ، ولم يشتغل عندى هذا الشاب إلا بمرتبه، وكنت ألقّنه المواضيعَ السياسية ليكتبها، وإذا اتفق أنه كتب مقالا من عنده فإنى كنت أنظر فيه ولا أنشره إلا إذا كان يوافق سياسة الجريدة.....

ملاحظة :(حذفت المراقبة العسكرية الفرنسية بعد هذا الكلام أحد عشر سطرا)!

- كان باب السجن يفتح كل مدة لينادى على المتهم ، وفجأة ظهر الشبح الكريه ونادى :

- الشيخ أحمد طبارة : إلبس ثيابك واتبعنى :

فالتفت الشيخ إلينا وقال :

- أولادى ! ... أوصيكم بأولادى خيرا... يا إخوان ، سلموا على أولادى!

وخرج من بيننا وهو يردد هذه الكلمات المؤثرة وأغلق الباب.

---

(١) فايز الخورى (أدباء السجون ص ٣٤٧، ٣٥٥.)

خلاصة قرار الإتهام والحكم بإعدامه :

" بناء على طلب رزق الله أرقش المحكوم عليه غيابيا بالإعدام ، وكان قد أخذ سعيد عقل المحكوم عليه بالإعدام أيضا محرراً لجريدته، وكان العامل الوحيد في الجمعية الإصلاحية ومدعي الإصلاح ، وثبت أنه أهم عضو، وعامل خصوصى للامركزية، واشترك فى المؤتمر العربى بباريس، ووقع علي القرارات المتعلقة بتأسيس إمارة مستقلة" .

- ويتضح من نص قرار الاتهام : أن الشهيد كان أعظم ركن فى الجمعيات العربية ومن أشدهم اندفاعا للمطالبة بحقوق أمته وقوميته العربية.

- وفى فجر يوم السبت الموافق ٤ من رجب سنة ١٣٣٤هـ و٦ من أيار سنة ١٩١٦م أقتيد إلى منصة الإعدام فى ساحة البرج وصعد إليها بإيمان وجرأة مشهودة وهو يردد قول الشاعر العراقى جميل صدقى الزهاوى:

وإنَّ الذى يسعىٰ لتحرير أمةٍ   يهونُ عليه السّجنُ والنفىُ والشنقُ !

فكان فى عِداد شهداء القافلة الثانية من زعماء العرب وأحرارها وألحد فى مقبرة الرمل فى بيروت .

من آثاره الأدبية :

أ) كان الشهيد الشيخ أحمد طبارة مؤسساً لأول مطبعة إسلامية فى بيروت، طبع فيها معظم ماظهر من الأشعار والدواوين فى عهد الدستور العثمانى . وللشهيد عديد من المقالات البليغة فى مقاومة رجال العهد التركى كان يحررها فى عدة جرائد منها: جريدة " ثمرات الفنون" التى أصدرها بمعاونة بعض المثقفين من حفظة القرآن الكريم، وجريدة : " الإصلاح " وهى فنية أدبية . وجريدة : الاتحادالعثمانى الشهيرة...

ب) وكان الشهيد - رغم مهامه الصحفية - قد وضع سلسلة من الكتب العلمية والمدرسية المفيدة ، لا تزال حتى اليوم تدرس فى المدارس الأهلية. ومن آثاره المعروفة: كتاب:" فتح الرحمن لطالب آيات القرآن" كما نشر مصورا لكتاب: " "كليلة ودمنه" (١).

كتاب فتح الرحمن

وأود أن أوجه الأنظار إلي كتاب " فتح الرحمن " حيث أقامة الشهيد طبارة على منهج علمى مرتب لآيات القرآن الكريم وكلماته ، وكان الهدف منه - علي حد تعبيره - " ضبطا لألفاظ (القرآن) وتقويما للألسن ..... " (٢).

ثم يقول : " ولما كانت الغاية من هذا الكتاب الدلالة على مواقع الآيات الكريمة بواسطة كلماتها رأيت أن اقتصر من ألفاظ القرآن الحكيم علي الكلمات الرئيسية التى هى أكثر خطورا بالبال، وأعنى بها الأفعال المشتقة. والأسماء المتمكنة.... (٣).

وهذا يدل على أهمية الكتاب اللغوية ، كما يدل على الموهبة الأدبية والعلمية عند الشهيد.

جـ) **خطبه** :

وكان الشهيد خطيبًا لجامع النوفرة وساهم كثيرًا فى الإصلاح والوعظ والإرشاد بأسلوب أدبى رفيع(٤) وكان للشهيد دور بارز فى مؤتمر باريس الذى عقده الأحرار هناك.

" ومما جاء فى خطبة الشيخ أحمد طبارة قوله:" نحن نعنى بالعرب كل ناطق بالضاد ، لا فرق في ذلك بين المسلم وغير المسلم...." (٥)..

---

(١) راجع شهداء الحرب العالمية . أدهم آل جندى ص ١٢٦.

(٢) فتح الرحمن لطالب آيات القرآن . أحمد طبارة - ص /ج بيروت ١٣٢٣هـ.

(٣) المرجع نفسه ص /هـ.

(٤) أعلام الأدب والفن جـ٢ / ٣٧٤.

(٥) الأدب والقومية فى سوريا ص ١٢٥.

الباب الثالث

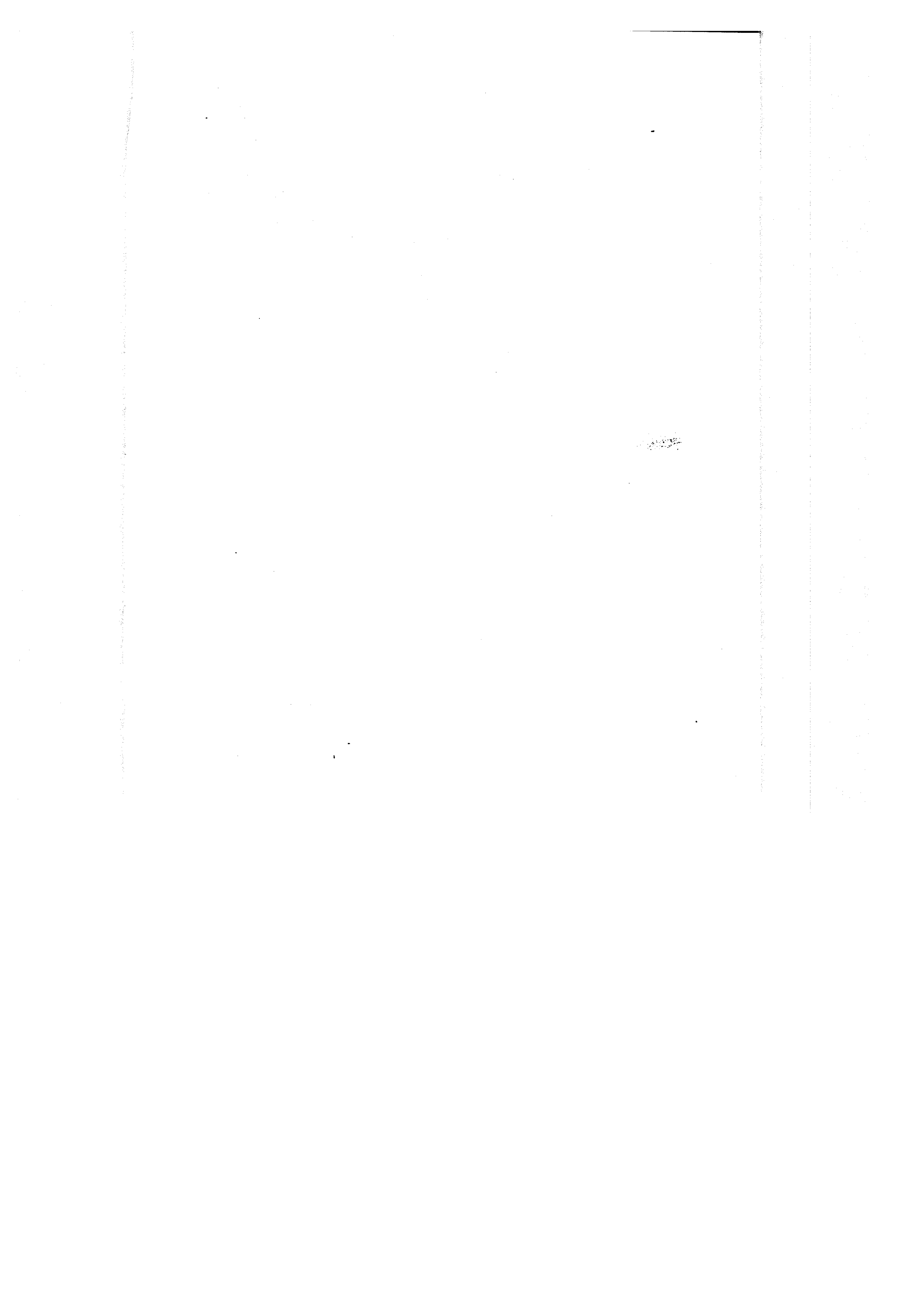
رثاء الأدباء الشهداء
عرض وتحليل

الفصل الأول

رثاء الشهداء فى شعر المشرق العربى

" عظيمُ النَّاس مَنْ يبكى الْعِظَاما --
ويندُبهم ولو كانوا عِظاما !

" أحمد شوقى"



تقديم

لم يقف الشعر العربي الحديث طويلا عند الشهادة ومعناها الوطني إلا ماتجده من أقوال عامة، قصيرة لدى بعض الشعراء ، كما نجد مثلا عند " أحمد زكى أبو شادى " في ديوانه:" أنداء الفجر" الصادر عام ١٩١٠م(١) بيتين بعنوان " أول الشهداء " جاء فيها:

لا تندبوا هذا الشهيد فإنه	لتراث أجيال وفخر قرون
ذهب الضحية للحياة بشعبه	متنزها عن مشبه وقرين (٢)

أما بعد استشهاد أحرار العرب علي يد جمال السفاح فقد أخذت الشهادة ومعناها الوطني تفرض نفسها منطلقة علي ألسنة الشعراء.

والجدير بالذكر أن أحدا من الشعراء لم يجرؤ على رثاء هؤلاء الشهداء - أحرار العرب- وإظهار فضلهم خلال هذه الحقبة إلا بعد إخلاء الترك عن بلادهم مخافة اتهامه بالتواطؤ ومعاداة السلطنة ! ويعلل د. " أمجد الطرابلس" في محاضراته عن شعر الحماسة والعروبة في بلاد الشام عدم رثاء الشعراء للشهداء - عند إعدامهم- بالإرهاب التركي وخنق الحريات!.

ولكن الشعراء مالبثوا - بعد أن وضعت الحرب أوزارها وانحلت السلطنة - أن وفوا الشهداء حقهم ، وصاروا يعددون مآثرهم وذكرياتهم التي رفعتهم إلى مصاف الأبطال(٣).

---

(١) تجدر الإشارة إلى أن د. عبد العزيز الدسوقي في كتابه: " جماعة أبولو " /١٨٢-١٨٧شك بصدور هذا الديوان عام ١٩١٠م ورجح صدوره ١٩٣٤م.

(٢) الشعر والوطنية في لبنان /٩١.

(٣) الاتجاهات الأدبية د. أنيس المقدسي ١٤٢.

- وعلى هذا فإن علينا أن نلتمس ماقيل فى شهداء العرب من تخليد لذكراهم وتمجيد لبطولتهم بعد أن انجابت الكربة عن الوطن العربى وداعبت نسائم الحرية وجوه الأحرار، وبعد أن استؤصلت شأفة الترك من البلاد . وتعد القصيدة المطولة " النائحة" التى نظمها شاعر العراق "جميل صدقى الزهاوى" فى شهداء أيار وتفجع فيها عليهم من أهم مايسجل مواقف الشهداء الرائعة ويصور بطولتهم الفذة وهم يعتلون أعواد المشانق (١).

قصيدة " النائحة"

او معلقة الشهداء : لجميل صدقي الزهاوي (٢).

هى من أعظم القصائد التى رثى بها شهداء الوطن العربى الذين قضى عليهم شنقا الطاغية" جمال باشا" خلال الحرب العالمية الأولى، وهى تقارب المائة والستين بيتا، ولا نبالغ إذا أسميناها " معلقة الشهداء " كما أطلق عليها د. أنيس المقدسى (٣) حيث جمع الشاعر الشهداء الذين تعانقت أرواحهم فى سماء العروبة، باكيا شبابهم ، ووصف المشانق التى أعدت للشهداء ، وقبور القتلى وأهليهم، واطمأن قلبه لأخذ الثأر على يد الشريف حسين، ثم ذكر ما أصاب الناس من نفى وتشتيت وعقب بذكر الثورة ودخول العرب دمشق إلي أن ختمها بذم جمال باشا ، وتفاءل بعهد زاهر ينسى العرب ماضى آلامهم، وهذه بعض أبياتها: (٤).

---

(١) الإتجاه القومى د. عمر الدقاق ص ٤١٧.

(٢) جميل صدقى الزهاوى: شاعر عراقى ،ولد فى ١٨ من حزيران (١٢٨٠هـ - ١٨٦٣م) وتوفى عام ١٩٣٦م.

(٣) راجع الإتجاهات الأدبية فى العالم العربى الحديث ص ١٤٢.

(٤) راجع ديوان الزهاوى ص ١٧٨- ١٨٠ ط بيروت والقصيدة ليست كاملة بالديوان ولامضبوطة ، ولذا استعنت بمراجع أخرى منها: أعلام الجيل الأول من شعراء العربية فى القرن العشرين ص ٢٥٩- ٢٦١. ومراجع أخرى كما سيتضح بعد.

على الأعواد

عَلَى كلّ عُودٍ صاحبٌ وَخليلُ — وفى كلّ بيتٍ رنَّةٌ وعَويلُ
وفى كلّ عينٍ عبرةٌ مُهْراقَةٌ — وفى كلّ قلبٍ حسرةٌ وغليلُ
عَلَاها وماغيرُ الفتوة سُلَّمٌ — شبابٌ تَسَامى للعُلا وكُهُولُ(١)
كأنَّ وجوهَ القوم فوقَ جُذوعِهم — نجومُ سماءٍ فى الصَّباح أُفُولُ(٢)
كأنَّ الجذوعَ القائماتِ منابرٌ — عَلَتْ خُطباءُ عُودهنَّ تقولُ(٣)
لقد رَكبوا كُورِىْ المطايا يحثُّهم — إلى الموتِ مِن وادى الحياةِ رَحيلُ(٤)
رجَالٌ عليهم من سَنا الفضل رَوْنقٌ — وللمجْدِ فيهم عِزّة وحجُول
أجَالوا بهاتيكَ المشانق نظرةً — يلوحُ عليها اليأسُ حينَ تجول
وبالنّاس إذ حفُّوا بهم يخْفرُونهَم — وقوفًا وفى أيدى الوقوفِ نصُول
يَرمُون أن يلْقوا عدولاً فينطِقُ(٥) — وهيهاتَ مافى الحاضرينَ عُدولُ

- وهو يسجل موقف الشهداء ويصور بطولتهم الفذة وهم يعتلون أعواد المشانق:

دَنوا فَرقوها واحدًا بعْدَ واحدٍ — وَقالوا وجيزًا ليسَ فيه فُضُول
فَمِنْ سَابقٍ كى لا يُقالَ محاذرٌ — ومسْتَعجلٌ كى لا يقالَ كسولٌ(٦)

---

(١) هذا الشطر مقتبس من قصيدة السموأل المعروفة ، وقد اقتبسه الشاعر لمناسبته المقام وسيأتى اقتباس آخر .

(٢) يقصد بالقوم هنا : الشهداء .

(٣) تقول : أى تخطب.

(٤) يشبه الشهداء وهم على أعواد المشانق كأنهم ركب على المطايا.

(٥) هكذا ورد فى الديوان ولعل الصواب: فينطقوا ، بالإسناد إلى واو الجماعة ، وهو أولى من إشباع الضم ، مراعاة للوزن والمعنى أيضا.

(٦) المراد: أنهم يتسابقون إلى الموت حتى لا يقال : إنهم خائفون منه.

اسماء القتلى (١)

على عُمَرَ الغالي وشكري تلهّفتْ قلوبٌ وتاهتْ في المصاب عقول (٢)
وبعد السليمين العريقين في العُلا وأحمدَ طرفُ المكرمات كليلُ (٣)
وعبد الحميد الحرّ أفضل ميتٍ فحزني على عبد الحميد يطول (٤)
ولهفي على مسْعى شفيق وجهده فما لشفيق في الرجال مثيلُ (٥)
وباتتْ تَصُكّ الوجهَ أمُ محمدٍ دعوها تصُكّ الوجه فهي ثكول (٦)
أيدْري الذي وارى علياً بقبره على أيّ شهم للتراب يهيلُ؟ (٧)
وياغيثُ إنْ لم تُسْق مرْقدَ حافظٍ فطرفيَ في الإرواء عنكَ بديلُ (٨)
ويا قبرَ رشْديَ (٩) والشهيدُ مبجّل سقاكَ من الغرّ العِهَادِ (١٠) هطولُ
وياجدث الوهّاب قلْ لي مصرّحا أأنتَ بإعزاز النبوغ كفيلُ؟ (١١)

---

(١) راجع أسماء الشهداء في : الأدب العصري في العراق . رفائيل بطي ص ٢٠ومابعده.

(٢) عمر : هو: الأمير عمر الجزائري، وشكري : هو : شكري بك العسلي.

(٣) السليمان : هما : سليم بك الجزائري ، وسليم الأحمد العبد الهادي.

(٤) هو : الشيخ عبد الحميد الزهراوي .

(٥) هو : شفيق بك المؤيد .

(٦) هو: محمد المحمصاني .

(٧) هو : علي الأرمنازي من بيت علم بحماة (دمشق).

(٨) هو : حافظ بك السعيد من أعيان فلسطين .

(٩) هو : رشدي بك الشمعة من دمشق .

(١٠) لعل الشاعر أراد: العِهادة ، وهي : أول مطر الربيع.

(١١) هو : عبد الوهاب بك المليحي ، المعروفة أسرته بآل الإنكليزي، أحد علماء دمشق .

وهل للعُريسيّ الجرىءِ وعـــارفٍ — إذا عُدّ أقطابُ اليراع عَديلُ ؟[١]
وليس كتوفيق فتىً أو كصالــــحٍ — ولا كأمين باسلٌ ونبيــــلُ[٢]
وعبد الكريم[٣] النّدب[٤] ماضاعَ رشدُهُ — إذ الدّهر يسقيه الرّدى ويَغُــول
تمثّل فوقَ العُود قبلَ وفاتِــــه — ببيت يُؤَسّي الشعبَ وهو يقــول:
"إذا ماتَ مِنّا سيّد قامَ سيّـــدٌ — قؤولٌ بما قال الكرامُ فَعُــول -[٥]
جلالُ، لعمر الحقّ ماكنتَ مذنبـــا — فكيفَ من الأتراك غالكَ غُول![٦]
ولا مثلَ جرجيَ[٧] فهو يوم أتوا بـه — إلى قبر الموت قسرًا ماعراه ذهول[٨]
كذاكَ سعيدٌ يومَ غِيلَ ومثلُــــه — رفيقٌ كلا المستهلكين حَمُــول[٩]

---

(١) هما : عبد الغنى العريسى ، والأمير عارف الشهابى .

(٢) هم : توفيق بك البساطى ، وصالح بك حيدر، وأمين بك لطفى.

(٣) هو : عبد الكريم الخليل.

(٤) الندب : جمع ندب وندباء : أى السريع إلى الفضائل الظريف النجيب، الخفيف فى الحاجة.

(٥) هذا البيت اقتباس من قول عبد الملك الحارثى أو السموأل بن عادياء اليهودى وقد روى البيت أيضا هكذا.

إذا سيّد منّا خَلاَ قام سيّدٌ .... قؤولٌ لِما قَالَ الكرامُ فَعُول

(راجع ديوان الحماسة لأبى تمام جـ١/٨١ . تحقيق د. عسيلان)

(٦) هو : جلال البخارى نجل العلامة " سليم البخارى " شيخ علماء دمشق .

(٧) هو : جرجى الحداد.

(٨) هكذا ورد البيت فى (الأدب العصرى فى العراق) وبه كسر فى قوله : " إلى قبر الموت" ولعل صحته : "إلى القبر قسرا" أو "إلى الموت قسرا" كى يستقيم البيت على البحر الطويل

(٩) هما: سعيد عقل . ورفيق رزق سلوم.

ولله ماكانوا يحسـّـُونَ من أذىً　　إذا الأرضُ تنأى تحتهمْ وتزولُ
وإذ قرَّبوا منها وإذ صَعَّـدُوا بها　　وإذ مسَّ هاتيكَ الرقابَ حُبولُ
وماهى إلا رجْفةٌ تعْترَى الفتـى　　مفاجأةً والرأسُ منه يَمِيـلُ!
مَشوا فى سبيلِ الحقِّ (١) يحْدُوهم الردى
وللحق بين الصالحين سبيـــلُ
ستَبْكى على تلكَ الْوجُوهِ منازلُ　　وتبْكى ربوعٌ للعُلا وطُلـولُ
وأعْظِمْ بخطبٍ فيهِ للمجْدِ شِقوةٌ　　وفى جَسَدِ العلياءِ منه نُحولُ

- هكذا استطاع الزهاوى أن ينظم "أسماء الشهداء" فى قالب شعرى بارع وأن يشيدَ برباطةِ جأْشهم وهم يقابلون مصيرَهم المحتوم ، فاقترنت أسماؤهم بالمجد والخلود.

" قبور القتلى "

قبورٌ ببيروتَ وأخرى بجِـلَّقٍ (٢)　　تجرُّ عليها للرياح ذيـــولُ
سرتْ روحهم تطوى السماءَ لربها　　وما غير ضوءِ الفرقدينِ دليلُ
ولله عيدانٌ من الليل أثمــرتْ　　رجالاً عليهم هَيْبةٌ وقبُــولُ
ويالكَ من رزءٍ حَمَدْتُ له البكى　　وقبّحتُ فيه الصَّبرَ وهْو جَميلُ
قُبورٌ كأنَّ القومَ إذْ رقَدوا بهـا　　عباديدُ سفرٌ بالتّلاعِ نزولُ (٣)

---

(١) روى البيت : مشوا فى سبيل المجد .

(٢) جِلّق : أى دمشق .

(٣) العباديد والعبابيد بمعنىً : أى الفرق من الناس الذاهبون فى كل وجه ، يقال : صار القوم عباديد وعبابيد، والنسبة عباديدى (المعجم الوسيط مادة عبد). وسفر: جمع مسافر أى مسافرون . والتلاع : الأماكن العالية ولعله أراد تشبيه هيئة الشهداء وقد نزلوا قبورهم ، بهيئة المسافرين المتفرقين القادمين من أماكن مرتفعة ثم هبطوا إلى تلك الحفر للإقامة بها.!.

هَوتْ أُمهم ماذا بهم يومَ صُلِّبوا ؟ ... على غيرِ ذنبٍ كي يقالَ ذَحُولُ (١)
سِوى أنَّهم قد طالبوا لبـلادهم ... بأمر إليهم فــــخْرُه سيؤول
ونادَوا بإصلاحٍ يكونُ إلى العُلا ... وللنجْحِ والعمرانِ فيه وصُــول
فما ردَّ عنهم بالشَّفاعةِ عصبـةٌ ... ولا ذبَّ عنهم بالسِّلاح قبيــلُ
ولا نفعَ السَّيف الصَّقيلَ حديدةُ ... مضاءٌ ولا الرّمحَ الطويـلَ عسُول

- ويردُّ الزهاوى الأمر إلى جوهر قومى ، وكأن القضيةَ شعوبية ، فيقول :

لعمركَ ليس الأمرَ ذنبًا أصابـَـه ... قِصاصٌ ولكنْ يَعْربٌ ومَغُــول!
أناخوا المطَايا حينَ أدركَ ليلهَــا ... بأسدةٍ فيهـا الحُمـاةُ قليــلُ
وإنِّى على مابى من الحرّ والصَّدى ... لأنظرُ ماءً ما إليـه سبيــلُ
أفكرّ فى الماضى فيأتى خيالُــه ... جميلاً أمام العينِ ثـمَّ يــزُول

البكاء على القتلى

وأنَّ بكائى اليومَ لو نَفَـع البكـا ... عليهـمْ وفى مستقبلى سَيطُول
أبعدَ بنى قومى أنُهْنِه عَـبْرتَـى ... وأمْنعُهَــا ؟ إنىّ إذنْ لبَخيــلُ !

*****

أَقُبَّرَة الحقل اِغْنَى الوقتَ واصفرى ... فما بَعد أيامٍ تمرُّ حقُــــول
يبرّحنى أن الصُّروحَ تقوَّضـت ... ويحْزُننى أن القُصورَ طلـــول
فليتَ الذّين استحْسَنوا الأمرَ فكّروا ... فكانَ عن الرأىِ السَّخيفِ عدولُ

* * * * *

---

(١) هوتْ أمة : المرادُ به هنا أسلوب تعجب ، وليس دعاء عليه !
وذَحُول : أى هم بعيدون أو بعدًا لهم . وفى " القاموس المحيط للفيروز بادى " باب اللام فصل الزاى : ناقة زحول إذا وردتْ الحوضَ فضرب الزائدُ وجهها فولّتْ.

- ثم يذم الحزب التركى الحاكم، الذى سلب حرية الناس ، وغمط حقوق العرب فى السلطنة العثمانية ، فوصف حكمهم كأنه ليل مظلم أرخى سدوله على الأرض، وأن هذا الليل مازال داجيا حتى جاءت الحرب وانهزم الأتراك فتقلص ظلمهم عن البلدان العربية.

قد اسْودَّ ليلُ الظُّلم حتَّى كـــأنَّه ... ستارٌ على الأرض الْفضَاء سَديلُ
ويَالكَ من ليلٍ يَروعُ كـــأنمَّا ... بكل مكانٍ منه يُرْقَبُ غُـــولُ
وقد قرَّ حتَّى قلتُ قدْ جَمَدَ الدّجى ... وخلتُ بياضَ الصُّبح ليسَ يسيلُ
وَعسْعسَ يرتاحُ الْكرى من ظَلامه ... وطالَ وليلُ الخائفينَ يَطُـــولُ
إذ الْوطن المأسُور ينهضُ قائمـــًا ... فتقْعدَ أغلالٌ به وكبُـــولُ

- ثم يحذِّر العربَ من بطش الأتراك طالبا الثأر للشهداء :

بَنى يَعْربٍ لا تأْمنوا التركَ بعدها ... بَنى يَعْربٍ إنّ الذِّئابَ تَصُـــولُ
ولَنْ تسْكنَ الأيامْ عن عصبةٍ جَنَوا ... ولكنّ بما كالوا لهم سَنكيـــلُ
وَقدْ سلبوا حرِّيةَ النَّاس مُذ عتـــوا ... وتلك مرادُ للحياةِ رســـولُ
وصبُّوا دماءً من شعوبٍ برئـــةٍ ... فاخضَلَّ[1] وهداتٌ بها وتلـول

* * * * *

- ثم يلتفتُ إلى القائدِ جمال باشا فيقول:

جَمالٌ لأنتَ القبحُ سمْوك ضِدّه ... وثَوبُك إذْ أرفلْتَ فيه ذليـــلُ
تُريدُ لمجدِ العُرْبِ فيما أتيتَــه ... زوالاً ومجْدُ العُرْبِ ليسَ يزولُ!

---

(١) هكذا فى الأصل ، ولعل الصواب فتخضلّ لكى يستقيم البيت على البحر الطويل .

رُويدكَ لاتغترّ بالدّهر إن صَـفا ... ولا تأْمن الأيامَ فهْى تـدولُ
تأنَّ ولا تعْجَلْ فما العُرْبُ غيرُهم ... ولا الشُم مِنْ وَعْر الجبال سُهول
وراءك لا تقرُبْ رواسىَ يعربٍ ... فقُربُ رواسيها عليكَ وبيـل !

ولما انسحبت الجيوش التركية من الأصقاع العربية، ودخل العرب الشام بقيادة فيصل فى ١٩١٨/١٠/٣ أخذ الشعر عامة نشوة الظفر، وانفعل الشاعر الزهاوى واشتد ضراوةً، وتدفقتْ حماستُه فقال:(١).

وَجاءتْ خُيولُ العُرْبِ تعْدو وَراءها ... بِقُرْبةٍ للإنكليـز خُيـول
هُنالك أهلُ الشّام صَاحوا وكبّروا ... وكبِّرَ أعلامٌ بهـا وسُهـول
وكانَ لأخذِ الثأر قد ثارَ ضَيْغَم ... له فى مغـار الغابنين شبول(٢)
أغرُّ كريمُ الأصلِ من فرعِ هاشم ... فطابَ له فرعٌ وطابَ أُصـول

- ثم يختتم نوْحَه ونَدبه مُبرقًا ببارقةِ أمل فى عهدٍ زاهر فيقول :

جَرَتْ هذه الأحداثُ والحربُ لـم تزلْ ... على فَتْكها بالنّاس فَهْى أكول
مضى مامضى لا عاد، واليوم فاستمع ... إلى لهجةِ التاريخ كيفَ يقول

- ولقد صدق حَدْس الشاعر فى هذه الملحمة الطويلة ، حيث توقع الوفاء من بعض أبناء الوطن الشرفاء الذين كتبوا عن الشهداء مباحثَ وفصول ، أو الذين رثوهم منددين بالظلم أينما كان .....فقال:

سَتُكتبُ فيه بالدّماءِ مباحـثُ ... وَتقْرأُ للويلاتِ فيه فُصُـول !
وَيذهب هذا الجيلُ نضْـوَ شَقَائهِ ... وَيأتى سعيدًا بالسلامة جيـلُ!

---

(١) د. أنيس المقدسى ص ١٥١ .

(٢) فى الأصل : الغابتين (بالتاء) ولعل الصواب ماذكرناه ، وهذا البيت غير موجود بالديوان.

" ساحة الشهداء "

ومن روائع رثاء هؤلاء الشهداء :

قصيدة :" حليم دموس " (١٨٨٨- ١٩٥٧م).

التى ألقاها فى النادى العربى بدمشق فى مايو (أيار) عام ١٩١٩م فى الحفلة الإكرامية التى أقيمت للشهداء بمناسبة مرور السنة الثالثة على استشهادهم فى سبيل الوطن ، مشيرًا إلى أسمائهم ، وقد استهلّها بقوله:(١)

ذَكّريني بِعَهْدهم ذكّرينـــــي فَتَواهم أثارَ نارَ شجُــــوني وأنينـــــي

حَدّثيني يا ساحةَ الشُّهَــداء عَنْ كِرامٍ بواسلٍ أوفيـــــاء ودعـــوني

كم برىءٍ ذاقَ المظالم غـــدْرًا عَذّبوه نفْيًا وجوعًا وأسْـــرا فى السجونِ

كَمْ حزينٍ مِنْ جَوْرِهم وحزيْـنَه وعيونٍ أجْرتْ دموعًا سخيْـنَه كالعيــونِ

كم سجينٍ لم يعْصِ فى الحقِّ ربّه كم سجينٍ قَضَى ولمْ يَدْرِ ذنْبه ! كم سجينٍ !

شَنَقُوه لا أنه حِلْفُ عيســـــى أو موالٍ لأحمدَ أولموســـــــى فى اليقينِ

شَنَقُوه إذ كان حراً وفيـّـــا وجريئاً مجاهدًا وطنيّـــــا ذا حنــينِ

---

(١) ديوان حليم دموس جـ١ /٢٧١- ٢٧٤ طـ٢ دار الأيتام بالقدس سنة ١٩٢٠م .
وأيضا :"يقظة الروح أو ترانيم حليم دموس " مختارات من منظومات ط بيروت الجامعة اللبنانية كلية الآداب والعلوم الإنسانية رقم ٥٤٥٠.

آه لو تنظرونَ فى أعضَــائى هِزةً مثلَ هزة الكهربـــاءِ
تعترينـــى

عند ذكرى علامــةٍ وأديبٍ عند ذكرى بحّاثــةٍ وخَطيبِ
وخديـــن

شهداءٌ كأنجم ساطعـــاتٍ فى سماءِ الآداب والمكــرُمات
والفنـــون

واحنينى إلى سيوف الجلاد واحنينى إلى أسود البـــلادِ
واحنينـــى!

قد أطلّتْ أرواحُهم لتناجى منتدانافى جوف هذى الدّياجى
والسكـــون

ذكرينى ياساحةَ الشهـداء ذكرينى باخوتى الأدُبـــاء
ذكرينـــى

ذكرينى أيامَ عبدِ الغنى وخليلٍ وأحمدٍ وعلـــىّ
ذكرينـــى

ذكرينى بنخبة الأحــــرار وأزاهير روضنا المعْــطارِ
ذكرينـــى

مثلَ رشديٍ وعارفٍ وشفيقِ مثلَ شكرى وباترو ورفـــيقِ
ذكرينـــى

مثلَ عبد الوهاب مثل السعيد مثلَ جرجى ومثلَ عبد الحميد
ذكرينـــى

وسعيدٍ وصالحٍ والأمـــيرِ وسليمٍ ونايفٍ ثم نـــورى
ذكـــرينى

والشقيقين من بنى المحْمصانى وابن هانى ونخـــلةَ المطرانِ
ذكرينـــى

وابن خرْسا وكل حرّ نبيـــهِ كفريدٍ بن خازنٍ وأخيـــهِ
ذكرينـــى

و كتوفيقٍ أو خطيب النـــادى والبخارى ومنشئ الإتحـــادِ وأميـــــنِ

شهداءُ عاشوا وماتوا كبـــارًا وتواروا ليلاً كبرق تـــوارى عن عيونـــى

قام فردٌ وقال هذا الكلامـــا : (نحن متنا فأحسنوا الانتقاما) من خـــؤون

- قد فعلنا كما أمرت أخيـــا وسلكنا فى الشرق نهجًا سويًا عـــن يقيـــن

قد بنينا ملكاً بتلك الجماجم وطلبنا العلى بشفرة صـــارم ذى رنـــين

نم قريرًا وأبشر بعهدٍ جديـــدِ قد تجلى بفضل كل شهيـــدِ ودفيـــنِ

ليس يرقى شعبٌ بغير ضحيَّه فلأنتم ذخيرة الذريَّـــــه والسنيـــنِ

لم تموتـوا يازينة الفتيـــانِ بل قضيتم فى خدمة الأوطانِ والبنيـــنِ

لم تموتوا فذكركم كل عـــامِ يتجلى في صفحة الأيـــام والقـــرونِ

فسلامًا أرجوحة الأبطـــالِ وسلاماً يامربض الأشبـــالِ فى العريـــنِ

وسلاماً يا ساحة الشـــهداءِ وسلاماً يا أنفس الأبريـــاءِ من حزيـــنِ!

هكذا العيش دمعةٌ وابتسامه　　وشهيدُ الأوطانِ يلْقى الكرامه
كلَّ حين(١)　　(أيار - ١٩١٩)

---

(١) ذكر الناظم في هذه القصيدة أهم شهداء الوطن والى القارىء أسماءهم كاملة :

من دمشق :

الأمير عمر الجزائري . شفيق المؤيد . رشدي الشمعة . شكري العسلي . سيف الدين الخطيب . سليم الجزائري . عبد الوهاب الإنكليزي . جلال البخاري . مسلم عابدين . أمين لطفي الحافظ . نايف تللو.

من بيروت :

الشيخ أحمد حسن طباره. يوسف الهاني . محمد ومحمود المحمصاني . عبد الغني العريسي . محمود المجم . عمر حمد . باترو باولي وتوفيق القاضي .

من لبنان :

الشيخان فريد وفيليب الخازن. سعيد عقل. الخوري يوسف الحايك .

من برج البراجنة : عبد الكريم الخليل.

من حمص : الشيخ عبد الحميد الزهراوي . رفيق رزق سلوم.

من حماة : علي الأرمنازي علي حقي البيطار.

من بعلبك : نخله مطران ، صالح حيدر.

من معلقة زحلة: جرجي الحداد.

من حاصبيا: الأمير عارف الشهابي .

من نابلس : سليم أحمد عبد الهادي .

من يافا: نافز السيد .

من طرابلس الشام : عبد الله ضاهر.

تلك صيحة حماسية ، وثورة وطنية عارمة ، يكشف عنها " حليم دموس" وقد انتهز تلك المناسبة الوطنية ليرثى لإخوانه : "الأدباء الشهداء" الذين لا ذنب لهم إلا أنهم أعلنوا عن حبهم لوطنهم المفدى ! ولنتأمل ثانية قوله :

ذكّرينى ياساحةَ الشهـداء ذكريني بإخوتــى الأدبــاء
ذكرينى
لم تموتوا فَذِكْرُكم كلّ عـــام يتجلّى فى صفحةِ الأيــــام
والقرون
هكذا العيش دمعةٌ وإبتسامة وشهيد الأوطان يلقي الكرامه
كل حين !

- ويلاحظ الباحث فى أبيات هذه القصيدة نوعا من الزيادة على الوزن المعهود : إذ أن القصيدة من بحر الخفيف : (فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن) ثم إن الشاعر بعد ذلك التزم بتكرار (فاعلاتن) مستقلة عقيب كل بيت ، وتلك التفعيلة الزائدة التزم فيها الشاعر بالقافية وحرف الروى دون بقية القصيدة وهذا نوع استحدثه الشعراء وبذلك يكون وزن الشطر الأخير (فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن فاعلاتن) ليكون من الخفيف المصرّع وهو نوع من التجديد المقبول الذى أضفى على القصيدة رونقًا وجمالا.

- وقد اتخذ أهل الشام من يوم السادس من أيار عيداً تذكاريا كل عام[١]، يحتفلون به ويشاركهم فيه الأدباء ." ففى بيروت ، كما فى دمشق يقيمون كل عام مهرجانًا حافلاً يلقون فيه الخطب والقصائد ، ذاكرين أولئك الوطنيين الذين ضُحى بهم على مذبح السياسة والقومية . وفى ٢٣ تشرين الأول -(أكتوبر) سنة ١٩٠٨م إحتفل العرب إحتفالا باهرا برفع العلم العربى على المكان الذى شنق فيه شهداؤهم، فكان لرفعه: هِزّةٌ أدبيةٌ عظيمة "، وهى تتجلي فى عشرات القصائد

---

(١) هو من الأعياد الوطنية التى تعطل فيها المصالح الحكومية بسوريا ولبنان.

والخطب التى جاشت بها خواطر الأدباء من جميع المذاهب، وإليك منها هذه الحماسيات التى ألقاها الشاعر : " حليم دموس " وهى على نظام الموشّحات : [١].

أيّها الأبطالُ حيّوا العَلَمَـــا　　واحمِـــلوه
وانصِبُوه فوق أسوار الحمـــى　　واحرســـوه
كنْ لقومى رمزَ مجـدٍ وعُلا　　فـــى الأممْ
وتموّج فَلك الشّعبُ فـــدىً　　يا عـــلمْ

- ولا يقف الشاعر " حليم دموس" عند هذا الحد بل يندُبهم فى حسرةٍ وهو يقول بعنوان :

" أرواح الخالدين " : [٢]

قُلْ لمن يَسْألُ عن أرواحهـــم　　إنها فى درجاتِ الخالديـــن
ياهداةَ الرّوح طِبْتم سكنًـــا　　وعليكم نفحةُ الـرُّوح الأمين
يَنْطوى العامُ ويأتى غيـــرُه　　ويغيبُ العمْرفى بحرِ السنين
فانظرُونا واسْمعوا آهاتِنـــا　　بين شَكوى وأنـينٍ وحـنينٍ!

كما اهتزّ العلاّمة الشاعر : " الشيخ " مصطفى الغلايينى [٤] لرفع العـلم

---

(١) الإتجاهات الأدبية د. المقدسى ص ١٥٢ وديوان حليم دموس ص ٣٠٧.

(٢) رباعيات وتأملات رقم ١٨ من مجموعة شعرية نثرية ، تصدر فى عشرين جزءًا تباعًا. بقلم حليم دموس ص ٤٧ ط بيروت.

(٣) ولد فى بيروت عام ١٨٨٥م . تعلم فى الأزهر ، تعاطى التعليم ، أقام مدة فى دمشق وعمان، تولى القضاء ببيروت ، سجنه الفرنسيون مرتين ببيروت الأولى عام ١٩٢٢م والأخرى عام ١٩٢٤ ثم نفى إلى فلسطين فأقام فى حيفا. توفى عام ١٩٤٤ له " رجال المعلقات العشر " و" ديوان " وكتب فى قواعد اللغة (راجع الشعر والوطنية ص ٥٠٧ والمنجد فى اللغة والأعلام ص ٥٠٨).

على مكان شنق الشهداء وفى ذلك الحفل المقام لتخليدهم فقال من قطعه حماسية على نظام المخمّسات: (١).

رايةُ العُربِ رايةُ المدنيّه ° رايةُ المجدِ رايةُ الحريـــه °
أنتِ مَهْوى آمالِنا الوطنيه ° ومنارٌ يهدى السّبيلَ السّويه °
دمتِ فينا مَدىٰ الزّمانِ عليـــه
بكِ نحْمى الحمى المفدّى ونجنى ثمراتٍ تُحيى القلوبَ وتُغْنى
وتُرجّى الحياةَ فى روضِ أمنٍ وارفٍ ظلّهُ خصيبٍ أغــنّ
فى حمى دولة العلا العربيـــه °

- وهكذا أدّى الشعرُ دورَه فى تلك المناسبات الوطنية يدفعه دم الشهداء وقد أضحي لبنة صلبة فى تأسيس القومية العربية !

- ومن أهم القصائد التى قيلتْ على أثر إعدام الشهداء العرب بسوريا ، وقيام الثورة العربية الكبرى بالحجاز قصيدة الشاعر : " خير الدين الزركلى " (٢).

---

(١) الإتجاهات الأدبية : المقدسى ص /١٥٢.

(٢) هو خير الدين محمود بن محمد بن على فارس الزركلى ، ولد ببيروت فى ٩ من ذى الحجة (١٣١٠هـ - ١٨٩٣م) وهو من أسرة دمشقية. وتوفى بالقاهرة يوم الخميس ١٣ من ذى الحجة (١٣٩٦)هـ الموافق ٢٥ من تشرين الثانى (١٩٧٦)م.

" الشهداء " (١)

نَعى نادِبُ العُرْب شُبّانهَا   فَجدَّدَ بالنّعى أَحْزانها
بكى كلّ ذى عِزّة تِربَه   فَهَاجَ(٢) نِزاراً وعَدْنانهَا
فَمَنْ للمدامِع ألاّ تفيضَ   وألاّ تُوالى هتّانهَا
ومَنْ للأضالع ألا تَذُوبَ   وقد نا حتِ الرّوح جثمانهَا
وهل لدم الحرّ ألاّ يَثُورَ   ويدفعَ للحرب فِرسَانهَا
فجائعُ ، هُنّ حديثُ القلوبِ   وهيهاتَ تسطيعُ سُلْوانهَا
وقفتُ أسائلُ أهلَ العَراء   حُداةَ النياق ورُكْبانهَا
علامَ الكواكبُ ما تَسْتبينُ   وقد غيّرَ الدّهرُ ألوانهَا
علام تَئِنُّ رياحُ الجَنُوب   أنينَ المضيعةِ معوانهَا
وفيمَ تَنُوح حَمامُ الشآم   فتُشجى وتُقلِقُ أغصانها
ومِمّ تلبّدَ وجْهُ السّماءِ   فصبتْ على الأرضِ نيرانَها
دَعا مُوقِدُ الحربِ أبطَالها   حماةَ الدّيارِ وفتْيانَها
وَثوّب(٣) يندُب للعالمين   عيونَ الرّبوع وتيجَانَها
فأبكى على غرر المسلمين   أباةِ المذلّةِ قرآنَها
وأبكى على آل عيسى المسيـ   ـحِ شمِّ العرانينِ صُلْبانَها
نَعتْ لغةُ العُرْب مَنْ أحكموا   لسانَ قريشٍ وتِبْيانَها

---

(١) ديوان الزركلى ص ١٦٤- ١٦٥ ط/١ بيروت ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م. والقصيدة فى الديوان عارية عن الشرح والتعليق.

(٢) فى الأصل : وهاج : ولعل الصواب ماذكرناه .

(٣) ثوّب : كرر.

وَناحتْ على مَنْ بَنوا عِزّهَــا ... وأعْلَوا بما أثّلوا شأنَها

– وينتقل الشاعر إلى ذكر ماكان لهؤلاء الشهداء من فضل فى التعجيل بإعلان الثورة فيقول :

أبى السّيفُ إلا انتقامًا لها ... وخافَ على الضيم خسرانَها
أثار بنى هاشمٍ فى البِطاح ... وأنطقَ فى التُّربِ حُسّانها
دَعوا بالخيولِ وأهلِ النصول ... واشرعت الروعُ مُرّانهــا (١)
كتائبُ هبّتْ تلبّى الدعــاء ... وتطوى القِفارَ وكُثبانهــا
برمحٍ يرنّ وعضبٍ يئــنّ ... ينبّه فى التركِ وسْنانهــا

– ثم يحثّ على الانتقام لشهداء العرب فيقول :

هُو الثّأْر أدركه الثائـرون ... أشْجَى (٢) "فروقاً" وسُلْطانَها
وأنعشَ أرواحَ منْ فى القُبور ... فكادتْ تُعاودُ أبْدانَهــا
أطلّت تُرفْرفُ فوقَ الجمـوع ... تحيّى مِن الغَيبِ أوطانَهــا
جُذُوعَ المظالمِ لو تنْطقين (٣) ... قرحْتِ فى النّاس أجفانهــا
سَيُومض فى الناس برقُ السّلام ... وتَسْلو النوادبُ إرنانهــا (٤)

---

(١) المران :شجر يصنع منه الرماح.

(٢) هكذا فى الأصل والصواب : فأشجى . أو توضع (نون) "الثائرون" فى الشطر الثانى فتكون هنا :
(الثائرو : ن أشجى) حتى يستقيم البيت على البحر المتقارب.

(٣) هكذا فى الأصل والصواب :
لو تنطقيــ ن قرحت) أى بوضع (نون) تنطقين "
فى الشطر الثانى ، حتى يستقيم البيت على البحر المتقارب.

(٤) إرنانها : الإرنان :الصيحة والصوت الحزين عند الغناء أو البكاء (راجع لسان العرب مادة رنن) ولعله أراد – متفائلاً – أن النوادب ستترك ندبها!.

- هكذا يندُب " الزركلي " شهداء العرب الذين ساهموا في ترسيخ معنى القومية، كما يندب حظ العرب ، ومجدهم الغابر ، ليحرك فيهم شهامة الصدور، وقد رثى للسادة من " نزار ، وعدنان" ، وأشار إلى ماصاروا إليه من ظلم بعدما عاشوا عصور عز طويلة !.

" ويلاحظ مافي هذه الأبيات الحماسية من نفحة عربية واضحة فالشهداء شهداء العرب كافة لا شهداء الشام وحدها، (نعاهم نادب العرب) وبكاهم العرب نزارهم وعدنانهم ، وغضبت لهم العروبة كلها فهبت تثأر لهم.

****

وعلى الوتر نفسه يضرب " الزركلي" في قصيدة ثانية عنوانها:

العرب والترك

يشير فيها إلي غدر الأتراك بعهودهم واضطهادهم العرب إضطهادا حملهم على الثورة ،وذلك حيث يقول:[1].

عتا أحفادُ جنكيزَ فساقُوا — سلائلَ يعربٍ سوقَ العبيدِ

همُ عقدوا العهودَ على ولاءٍ — وهمْ عمدوا إلي نقض العهودِ

فكم قتلوا من الأحياءِ صبرًا — وكم ساموا المهانةَ من عميدِ

وكم حملوا على الأعواد ظلماً — وكم سَقُوا المنيةَ من شهيدِ

******

إلى(أم القرى) عدتْ المذاكى[2] — وفى (أم القرى) خَفقُ البنودِ

بروقٌ في الحجازِ ومضْنَ وهناً — فكان بجِلّق قصفُ الرعودِ

---

(١) محاضرات عن شعر الحماسة د. الطرابلس ص ٦٢ ،٦٤.

(٢) مذاك ومذكيات من الخيل ماتمت سنه وكملت قوته . ومنه المثل : " جريُ المذكيات غلاب" أي غالب على غيره (راجع المنجد في اللغة والأعلام مادة ذكى).

وليس يخفى مافي عبارة " أحفاد جنكيز " من دليل على ماكان يضطرم في نفوس العرب آنئذ من نقمة على الترك . ومثل هذه العبارة نجدها عند شاعر آخر هو "فؤاد الخطيب" (١) الذي يقول في إحدى قصائده معبرا عن المعاني نفسها التي انطوت عليها أبيات الزركلي السابقة (٢).

يا آل جنكيزَ ، إن تثقُل مظالمكم	علي الشعوب فقدْ كانتْ لهاَ نِعَمَا
فالظلمُ أيقظَ منهم كلَّ ذي سِنَــةٍ	ماكانَ ينهضُ لولا أنه ظُلمــا
والشنقُ عن حَنَقٍ منكم ومـوْجدةٍ	قد أرهفَ العزماتِ الشمَّ والهِمـا
أرهقتمُ الشعبَ ضرًبا في مفاصله	حتى استفاقَ وسلَّ السيفَ منتقِما

" وقد بقيت تضحيةُ شهداء ٦ أيار ١٩١٦ حية في نفوس أهل الشام فجعلوا من ذكرى استشادهم في كل عام يوما تعطل فيه الأعمال وتلقى فيه كلمات الرثاء والتمجيد. ثم يطوف الناس بقبورهم وقبور من تلاهم من شهداء الوطن فينثرون عليها أكاليل الزهر، ويستمطرون لساكنيها الرحمة . ومازال الشعراء حتى اليوم يشيدون ببطولة هؤلاء الشهداء في يوم ذكراهم ولو رحت أذكر كل مانظم في تمجيدهم حتى اليوم لطال بنا الحديث ، ولكنني سأجتزيء بعرض منتخبات من

قصيدة مشهورة في رثائهم " لخليل مردم بك " (٣)

نظمها سنة ١٩٢٤ في ذكراهم الثامنة. وقد اخترتها دون سواها لما فيها من وصف حي موجع ليوم استشهادهم!.

---

(١) شاعر لبناني (١٨٨٠- ١٩٥٧م)

(٢) راجع القصيدة بتمامها في كتاب (ثورة العرب) لأسد داغر ص/٢٢٤.

(٣) ولد بدمشق سنة ١٩٨٦م) تقلد وزارتي المعارف والصحة ثم وزيرا مفوضا لسوريا في العراق وكان قد انتخب عضوا في مجمع فؤاد الأول بالقاهرة ، وله عدة مؤلفات. (راجع أعلام الفن والأدب جـ ١ / ٤٠٠).

- يبدأ الشاعر ببكاء الشهداء بكاءً مراً يعبر عن الألم العميق الذى مازال يشعر به أهل الشام على توالى السنين. ثم يعود بالذاكرة إلى ذلك اليوم الفاجع، فيصف لنا أولئك الشبان الأحرار وهم يلفظون أنفاسهم علي الجذوع فى سبيل استقلال العرب، ونرى بأعيننا وجوم البلاد وذهولها أمام هول الكارثة وأمام تلك الأجسام الغضة وقد ذبلت على الأعواد. ومالت بأعناقها وكأنها تغضى كرما عن ظلم الظالمين . وإليكم أبياتا من هذه القصيدة المؤثرة.

لا همَّ دمعيَ من طول البكا نَفَدا — فهبْ لعينيَ ماتبكى به الشُهَدا

وما الدموع ، وإن جادتْ بمُنجدةٍ — فاجعلْ لها من دمى أو مهجتى مَدَدا

لوَمُ بمَنْ لا يُرِقُ الدَمعَ تكرمُه — لمن أريقتْ دماهم للبلادِ فِدى

في مثلِ ذا اليوم - لا جاد الزمانُ به - — على الجذوع[1] علتْ أرواحُهم صُعُدا!

طارتْ إلى الملأ الأعلى لتدرك ما — قد فاتها نيله إذ تسكن الجسَدا

لصوتها فى حَفاف العرش هينمةٌ — هل تسمعون ففى أذْنىَّ منه صدى

صدى دعاءٍ عريض ذى حكايته — العرب، والعرب، واستقلالهم أبدا

*****

هل تذكرون، وما بالعهد من قِدم — يوماً أراكم ضُحاه طالعًا نَكِدا

على الوجوه علاماتُ الأسى ارتسمتْ — وفى القلوبِ سعيرُ البثّ قد وَقَدا

ترى الكآبة ممدودًا سرادقها — وغيمَها بسماء الشّام منْعقدا

فى الغوطتين إذا مانسمةٌ خطرتْ — أنَتّْ كما أنَّ محزونٌ إذا جَهَدا

كأنمّا الدَّوح إن مال النسيمُ به — ثواكلُ نشرت أشعارَها كَمَدا!

*****

(١) فى الأصل : على الجذوغ. بالغين

فلو تَراهم على الأعواد مائلــــةً أجسامُهم لنقدتَ الصَّبر والجَلَـدا
تواجه الشَّمسَ منهم أوجهًا نضرتْ كالماس في الشَّمس لألاءً إذا اتّقدا
كأن إطراقَهم في طول صمْتــهمُ كمن يراجعُ معنىً رائعًا شـردا
كأن إغضاءَهم إغضاءَ ذي كـرمٍ عن الإساءةِ خُلْقاً طاهرًا وهُدى[١]

وفي قصيدة أخرى :

- تناول شاعر دمشق " خليل مردم بك " موضوع شهداء أيار في جملة من تناوله من الشعراء وحرص على إبراز معنى تضحياتهم وأثرها في تشييد صرح الحرية في بلادهم فقال:

وطني ، تقدّس في الورى اسْتقلالُه شهداؤنا ودماؤهم قربـانُـــه
فتعطّرتْ بنفوسهم أجـــواؤُه وتخضّبتْ بنجيعهم رِقيَعانُـه
ولقد عجبتُ لمن يحاولُ هَدْمَــه وعلى الجماجم وُطّدتْ أركانُه !

* * *

- وعلى هذا المنوال كان سائر الشعراء ينسجون قصائدهم . من نحو قول شاعر العراق " محمد رضا الشبيبي " [٢] مناجيًا أولئك الضحايا: [٣]

قالوا تكونُ فداءَهم أوطانُهــم فتجاوبوا كلاَّ نكونُ فداءَهـا
إنَّ الضَّمائرَ والقلوبَ إذا دَجَــتْ دخَلَ الأسى أعماقَها فأضاءَها

---

(١) ديوان الأستاذ خليل مردم بك لم يطبع بعد وإنما هي قصائد تفضّل الشاعر بتقديمها إلينا.

(٢) الشّبيبي محمد رضا (١٨٨٨- ١٩٦٥) أديب وسياسي عراقي ولد في النجف . نبغ في الشعر. رئيس مجلس الأعيان ورئيس مجلس النواب ورئيس المجمع العلمي العراقي ووزير المعارف أكثر من مرة . له " ديوان شعر " و "ابن الفوطي" في تاريخ الدولة العباسية (المنجد في اللغة والأعلام ص ٣٨٤).

(٣) عمر الدقاق ص ٤١٩ وديوان خليل مردم بك ص ١٨٣.

- ومن طوال القصائد وعظيمها فى رثاء الشهداء : قصيدة الشاعر "فارس الخورى" [(١)] وقد ألقاها فى :

ذكرى الشهداء

الذين اعدمهم السفاح أحمد جمال باشا.[(٢)]

كان التجلّدُ فى البلوى يُؤاتِينِى ... فمَا له حينَ أدْعو لا يُلَبِّينِّي
ضاقَ الفُؤادُ بآلامٍ تُبرّحنُـــي ... وفاجعاتٍ بنار الوجْدِ تكْوِينِــي
وطارد الهمُّ عن عينى الرقادَ وهل ... تنام مقلةٌ موتورٍ ومغْبــون
أينَ الصَّفاءُ الذى قد كنت أمنحه ... للنفس من خَفَراتِ الغيدِ والعِين[(٣)]
من كل منّاعةٍ باتتْ تُسامرنِـــى ... من خَمرةِ الْحب أسْقيها وتَسْقينِــي
قَضى على صَفو أيامى وبدّ لَــه ... مَنْ أمرَه الأمر بين الكافِ والنّــونِ
أصبُو لكل كئيب فى الديــارِ ولا ... آوى إلى غير محروبٍ ومحــزون
أجيبُ دعوةَ مَنْ أدعـــو لمأتمهِ ... وإن دعيتُ للهوٍ قلتُ خَلّـــونى
وكَفّكِفوا لحظاتِ النّوْر عن بَصَرى ... فنظرةٌ مِن شُعاع الشّمس تُؤْذِينــى
فإنّنى حِلفُ همٍ لا يفارقنـــى ... ورُبَّ قلبٍ على الأحزانِ مرهــونِ

وقد اعتاد " فارس الخورى " فى بدء قصائده أن يجارى الشعراء القدامى الذين يبدءون قصائدهم بالتشبيب، ولكن الحزن على رفاقه الشهداء جعله يمر بهذه العادة مرور الكرام ، حيث طغي الحزن على التغزل بمحبوبته التي كان يسقيها من خمرة الحب وتسقيه ، لذا هو يتساءل بقوله:

---

(١) ولد فارس الخورى فى ٢٠ تشرين الثانى (١٨٧٣م) فى قرية الكفير بمنطقة (حاصبيا) التابعة لولاية سوريا . وتوفى عام (١٩٦٢)م.

(٢) الأدب العربى المعاصر فى سوريا. سامى الكيالى ص ١٧٧- ١٨٠. والقصيدة فى الأصل بدون شرح أو تعليق.

(٣) العِينُ : جمع عَيناء وهى واسعة العينين.

كيفَ السَّبيلُ إلى يومٍ تصحُّ بـــه ... جروحُ قلبٍ برمحِ الجَور مطْعـونِ

بل كيفَ يهْنأ لى عيشٌ ويسعدنــى ... دَهْرى وتعبثنى[1] الدنيا وترضينـى

ومعشرى بين مطرودٍ ومنتبــذٍ ... عبر الفيافى ، ومصلوبٍ ومسْجونِ

أبكى ومعذرةً، عينـــى إذا ذَرَفتْ ... على الغطاريفِ منها والأساطـين

على النجوم الدرارىِّ الـــتى أفلتْ ... وأطلعتْ من دموعى كلَّ مـخزونِ

على ظِلال الأفانينِ التى قصِـفت ... وأطولُ[2] شوقى إلى ظلّ الأفانين

على الشيوخ ،على رهط الفتوة بل ... على الليوثِ، على الغـرِّ الميامين

على مَناهلِ فَضلٍ غاضَ كـوثَرُها ... وخلَّفتْ وَرْدَ زقّـــوم وغِسلينِ

فياصلُ الحزم غراءٌ شمائلــــهم ... معالمٌ للهدى ، شُمُّ العَـــرانين

بيضُ الصحائفِ ماهَانوا ولا غَـدَروا ... أنقى وأطهرُ من زَهَـــرِ البساتينِ

قد عابهم بقضاءِ الترك أنهَّــمُ ... أصحابُ قلب بحبِ العربِ مفتْـونِ

ضَحَّوا بهم وأسرُّوهم إلى حفـــرٍ ... فى الرَّمل من غير تكـفينٍ وتلقينِ

فاستنطِق الرَّملَ عما ضمَّن حفرتُه[3] ... من كلّ ندبٍ بقاع الرمل مدفـونِ

ما كان أفجَعَه صُبحاً طلعتَ بـــه ... يايومَ " بيروتَ " بل يايوم "جيرونِ"[4]

---

(١) هكذا فى الأصل والصواب : وتعبث بى .

(٢) هكذا فى الأصل ولعل الصواب: ياطول شوقى .

(٣) هكذا فى الأصل ولعل الصواب : عمن ضمّ حفرته حتى يستقيم الوزن الخفيف.

(٤) جيرون: قال ابن الفقيه : ومن بنائهم جيرون عند باب دمشق من بناء سليمان بن داود عليه السلام، يقال : إن الشياطين بنته ، وهى سقيفه مستطيله على عمد وسقائف ، وحولها مدينة تطيف بها ، قال: وإسم الشيطان الذى بناه " جيرون" فسمى به ، وقيل :إن أول من بنى دمشق " جيرون " بن سعد بن عاد بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، وبه سمى باب جيرون وسميت المدينة " إرم ذات العماد"، وقيل فى معنى جيرون غير ذلك. (راجع معجم البلدان لياقوت الحموى جـ٢ / ١٩٢٢).

ما لاح نورك إلاّ بعد أن غربتْ ... فينا شموسُ الهدى والعزم والدّين
من كلّ أروعَ عنوان المضاء به ... يمشى إلي الموت لا يمشى إلي الهُون
كيف التأسى إذا طُلّتْ دماؤهمُ (١) ... فالدّمع مهما تجارى لا يؤاسيني
وهل تجلّد موتورٌ بمدمعه ... قبلى لأقنعَ منه اليوم بالدُّون
أريدُ قوماً مغاويرًا لثأرهم ... في معقل النسر أو في معقل النون
أبكي على أمة لجَّ الشقاءُ بها ... تجرى إلى طَالِع بالبؤس مقرون
العزُّ غادرها والذلُّ جاورها ... والدّهر ساورها بعد ابن هارون
ولّى الزمانُ عليها كلَّ معتسفٍ ... من طينةِ البغى والطغيان معجون
من معشرٍ جعلوا جُلَّى مفاخرهم ... منهاجَ جنكيزَ أو أنماطَ نيرون
مثل الزرازير فى إدبار دولتهم ... وعند إقبالها مثلُ الشواهين !
بيارقٌ في رقاعِ الشؤم رافعةٌ ... رءوسَها فوق هاماتِ الشواهين (٢)
قالوا سياستَهم- والغدر دينُهم - ... سياسةُ العدل والإحسان واللين
يستدرجون بحُلو القولِ مأربهم ... وفى حلاقيمهم سُمُّ الثعابين
لا حتَّ لهم فرصة فى العرب سانحةٌ ... فنكَّلوا واستباحوا كل قانون
دسّوا لنا كلَّ مفترٍ يعيثُ بنا ... نهباً ويَرجع فى أموالِ قارون
تحلّلوا السلب والتمثيل فانبعثوا ... وخرّبوا كلَّ معمورٍ ومسْكون
جاحوا البلاد بفعلٍ ليس يقْحمه ... أضرى الوحوش ولا أطغي الشياطين
لم يكْفهم برجال العُرْب مافتكوا ... حتى محا (٣) آية الزيتون والتين (٤)

*****

(١) طُلّتْ دماؤهم : ذهبتْ هدرًا على يد السفاح !.

(٢) كرر الشاعر لفظة: " الشواهين " أى كرر القافية قبل سبعة أبيات وهو : إبطاء فى الشعر.

(٣) حتى محا : هكذا فى الأصل ، ولعل الصواب : محوا ، مراعاة لسياق الجمع.

(٤) أشار إلى آية " التين والزيتون " إجتلابا للقافية ، والمراد : أنهم محوا آيات القرآن الكريم عامة !

- ياليتَ شِعْرى أَمَا سَارتْ فضائِحهم لصاحبِ التَّاج فى عَلياءِ بَرْلِينِ (١)

إن " الخورى " يتعجب قائلا : لست أدرى ! لماذا لم تصل فضائحهم إلي حاكم برلين - ألمانيا - وهو حليفهم - حينئذ -؟ وكأن الشاعر توسم أن يكون حليفهم هذا إنسانا ، لا يقبل هدم الإنسانية ، ولا يرضى عن تلك الوحشية ولذلك عقب بقوله :

فكيف يرضى على دعواه من شـرف بأن يكون حليفا للمجانـــين!
ما كانَ حالَفهم لو لم تكنْ ثَبَتَتْ له مناسبُ طورانٍ وطوطونِ (٢)
عليه نِقمةُ أهل الأرض قاطبة ً ولعنة الله من بين السلاطين !

*****

قلْ للأُلى عفَّروا حُرَّ الوجوه على أقدامِ طاغيةٍ دامي السكاكينِ

---

(١) صاحب التاج أو حاكم برلين فى الحرب العالمية الأولى هو : فيلهم " غليوم " (١٨٥٩-١٩٤١م) تولى عرش الإمبراطورية ١٨٨٨م تنازل عن العرش بعد خسران الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨م (المنجد فى اللغة والأعلام ص ٥٠٤، ٥٣٧).

(٢) طوران : اسم أطلقه العرب قديما على مقاطعة فى بلوجستان (المنجد فى اللغة والأعلام / ص٤٣٩).

- وفى معجم البلدان : طوران : من قرى هراة ينسب إليها: أبو سعد خالد بن الربيع .. الكاتب الطورانى ، وكان من أفاضل خراسان، وقيل : طوران : مدينة صغيرة لها رساتيق وخصب. وقيل : هى ناحية المدائن ، وقيل : غير ذلك ....(معجم البلدان جـ٤/٤٧).

طوطون : الطاط والطوط والطائط : الفحل المغتلم الهائج ، والجمع طاطة وأطواط، وحكى طاطون ، والكلمة واوية ويائية.

والطاط : الظالم والطوط والطاط : الراجل الشديد الخصومة (راجع لسان العرب المحيط لابن منظور جـ٢ مادة طوط).

ومنهمُ الشّاعر المطبوعُ علّمـــهم ... حنْيَ الرّءوس لدى تمـــثال تِنّين [1]

أتخفض الرأسُ إجلالاً وتكرمــةً ... لرسم مُفْترس دامى البـــراثين !

قل" للشقيرى" مُفْتيهم وورائدِهم ... بل قل" لكرد علي" و"الغلاّيينـــى"

وزمرةٍ مثل ملاّطٍ ورُفقـــته [2] ... من سُوقة الشّعر عبدان الدهاقين [3]

وكلّ مَنْ حَملوا الأقلام واندفعوا ... جريًا إلي السبق في تلك الميادين

ماذا دَهاكم وفيكم أهلُ منزلـــةٍ ... حتى أشدْتم بتمداح الملاعـــين

ما أحدثوا فى ديار العرب موبقةً ... حتى صدعتم بتحبيذٍ وتحســـين

هل سَرّكم صَلْبهمُ أحرارَ أمتكم ... أم راقكم هتكُ أعراض الخواتين [4]

أما سمعتم شهيقَ الباكيات ولا ... شكوى السجين وأنّـــات المساكين

ولا اطّلعتم على ماكـانَ من عبرٍ ... منشورةٍ بين بيروتٍ وصـــنّين [5]

---

(١) تِنّين : بكسرتين وتشديد النون وياء ساكنة : جبل التنين مشهور بقرب جبل " الجودى " - المذكور فى القرآن الكريم- من أعمال الموصل (راجع معجم البلدان جـ٢/٥٤).
والتنين : أيضا: من أسماء الحية أو الأفعى الكبرى ، ولعل الشاعر أراد تشبيه السفاح بها.

(٢) الذين تولوا تحريرجريدة " الشرق " - لسان حال السفاح - الشيخ أسعد الشقيرى، ومحمد على كرد ، وبدر الدين النعسانى ، والشيخ مصطفى اللغلايينى ، والشاعر شبلى ملاط إلا أن بعضهم قد تغير موقفه بعد مذابح السادس من أيار كالشيخ الغلايينى .

(٣) الدهاقين : كلمة فارسية تعنى رئيس الإقليم أو التاجر(المنجد مادة دهق). ولعل الشاعر أراد أنهم عبيد لتجار الحرية أمثال السفاح جمال.

(٤) الخواتين : جمع خاتون، وهى المرأة الشريفة المصون (المنجد/ ختن) ولا يخفى مافى البيت من استفهام إنكارى تهكمى !

(٥) صِنين : جبل فى سلسلة جبال لبنان الغربية ، يشرف على بسكنْتا وزحلة ٦٢٨و ٢م له شكل مثلث . ذكره سترابون وسماه " سنان " على قممه آثار بناء مربع لعله من آثار الفنيقيين (المنجد ص ٤٢٦).

سَلُوا فِلَسطِينَ تُنبئكم حـوادثُه | وماجرى فيه مِن "يافا" لـ"حبرون"
الآمنونَ به صارتْ مقابـــــرُهم | حواصلَ الطيرِ أو جوفَ السراحينِ
وما رَثَيتم لنا فى يوم نكبتنـــا | وقد رَثَى فيه أهلُ الهندِ والصّينِ!
هى المنافعُ قد أعمتّ بصائركـــم | وأنطقتكم بقولٍ غيرِ مــوزونِ
حتي تركتمْ لكم فى قومِكم صُحفاً | مشئومةً بين دفّاتِ الدواويـــنِ
فكلما ذكرتْ أسماؤكم لُعِــنتْ | كراً على الدهر من حينٍ إلى حينِ
فاستهدفوا لنبالِ الذمّ داميــةً | وراقبوا يومَ تحرير الموازيـــنِ

وفى حفلة ذكرى الشهداء عام ١٩٢٥ أضاف الشاعر فارس الخورى إلى هذه القصيدة بعض الأبيات نقتطف منها مايلى : -

بكيتم وجدارُ السّجنِ يُحْدِق بـى | وعينُ حافظةٍ بالشزْرِ ترمينـــى
وصاحبُ الحكمِ يُمليه لكاتبــهِ | وناصِبُ الحبلِ فى الميدان يدعونـى!
الحظّ قدّمهم عَنيّ وأخرّنــى | حتى أرى دُول "التاميز" و"السّين"[1]
تُسْدى العهودُ بتحقيقِ الوعودِ لنا | عن كلّ حق بالاستقلالِ مضمـونِ

- ثم يختم هذه القصيدة الرائعة بالأمل المنشود فى الوحدة والعزم على ذلك فيقول :

لابدّ أن يَرجعوا للشّام وحْدَتَهـا | مِن بعد مافصَلُوها عن فِلَسطِـينِ
من الفراتِ إلى الأردنّ رابطــةً | مثلُ الذى بينَ صِنّينَ وقسّيونِ[2]

- هكذا جاءت القصيدةُ تصويرًا للمأساة التى واجهتها الأمة العربية- حينئذ - على يد جمال باشا، وقد ضَمّنها الشاعرُ كثيرًا من المعالمِ والشخصياتِ التاريخيـة

---

(١) التايز والسين : نهران الأول : فى بريطانيا يشق العاصمة لندن، والآخر: يشق فرنسا

(٢) القسيون : أقوام غازية قضت على الدولة البابلية الأولى وأنشأت سلالة حكمت نحو ستة قرون تقريبا (١٧٣٠- ١١٥٥) ق.م . (المنجد / ٥٥٢).

البارزة، فأضحتّ القصيدة وكأنها وثيقة تاريخية ، وواقعًا ملموسًا ، وهذا مايضمن لها الحياة والسيرورة .

ولم يفت الشاعر أن يغمز بعض المتملقين للسفاح ، والذين كانوا لسان حاله - حينئذ - وهو لا يرثى لهم اليوم حالا، وهم كانوا أشد تجاهلا لحقوق الأمة العربية!

* * *

كما شارك الشاعر " أمين ناصر الدين (١٨٧٥- ١٩٥٣)م [١] بقصيدة رائعة أسماها : " جزار سوريا " سنة ١٩١٦م وفيها يندب الشهداء ويحث علي الثورة: فيقول : [٢].

شعبٌ يُضَامُ وغَاشِمٌ لا يَرْحَــمُ	ونوائبُ تَغْشَى الْوليدَ فَــيهْرِمُ !
ودَمٌ يُطَلُّ علي الثَّرى ومَشَانِقُ	بحِبَالها وُصِلَ القَضَاءُ المــبرمُ
هَلْ بعد ذلك للتجــلّدِ موضعٌ؟	إن كانَ فيكم مَنْ يَحُسّ ويفْهَمُ !
والله لو نَابَ الّذى قد نابكــم	بعضَ السّوائم لا نثنتْ تتـظلمُ !
مَنْ لا يحركه تحكّــم ظالمٍ	مُتغطرسٍ فلنفْسِه هو أظْــلمُ
والمطْمئنُ إلى الغَضَاضَةِ شأنُه	أن يستبدّ به الذى يتحـــكمُ
إن كنتمُ دونَ النساءِ شجــاعةً	فدعوا النّسَا يفْعلنَ ماهو أحزم !
لو أنّكم حقًا سُلالةَ يعْــربٍ	لم تَضْرعُوا جنبًا لمن يتهضّـــمُ

*****

هذى دماءُ بَنِيكم مسفوكـةً	أفليسَ يجْرى فى عروقــكم دمٌ!
هذى ذراريكم تموتُ أَمامكم	جوعًا ليحيا الغَاشِمون وينْعَمُوا
هَذا ذِمَاركم اسْتُبِيح وأنتــمُ	مُتخاذلون يَرُوعكم أن تَقْدُمُـوا

---

(١) صاحب جريدة الصفا.

(٢) ديوان الإلهام . أمين ناصر الدين ط لبنان ١٣٥٠ هـ - ١٩٣١م ص ٥٧-٥٩.

- عارٌ تخاذُلكم وقد نزلتْ بكــم ... دهياءُ سابغةُ الذوائبِ صيلمُ (١)

أيسُومكم سوءَ العذابِ مسيطرٌ ... فذٌ وأنتمْ أمــةٌ تتألــمُ !

أمحاذِرُون الموتَ إن قُلتم لــه ... حتّام تَبغى يا جمالُ وتظلِـمُ

أشْقَتْ فظائِعكَ البلادَ بأسْرِهــا ... فبكلّ ربعٍ نكبةٌ أو مأتــمُ !

وهنا يَتيمٌ مالهَ مِنْ ناصــرٍ ... وهناكَ ثاكلةٌ تنُــوحُ وأيِّــمُ

*****

- ثم يجيب الذى يدعي أن جمال باشا مسلم ! فيقول :

أجمالُ لا واللهِ لستَ بمسلـــمٍ ... كذبَ الذّى قدْ قالَ إنّك مسـلمُ

لم يَبْرح الإسلامُ يأمرُ أهلَــــه ... بالرّفق مُذْبُعِثُ النبيّ الأعظـمُ

أقبلتَ تقسِطُ هادمًا أركانَـــه ... ولأنتَ مَجزيٌّ على ماتَــهْدمُ

ونَزتْ بك الأحقادُ أفظعَ نـــزوةٍ ... فبطشتَ مُنتقمًا ولم تكُ ترحم

هلاّ ترقّبتَ المآلَ لدولـــــةٍ ... مازالَ مُعظمنا بها يَسْتعصِـمُ

ولَّتكَ سوريةٌ فلم ترفُق بهـــا ... ومضيتَ تنقضُ ماتَشاءُ وتبـرِمُ

مِلْكُ الرّقابِ مزعزعٌ لكنّمـــا ... مِلْكُ القلوبِ هو الذّى لا يُهدمُ !

لو كنتَ تسْمع من(شكيب)نُصْحَه ... ماكانَ فى لبنانَ من يَتظلّـــمُ

ما انْفكَّ يَصْدقُك النصيحةَ مخلصاً ... حتى نَقِمتَ عليه مالا يُنقَــمُ

*****

جزارَ سوريةَ احتكم فرجالُهـــا ... غَنمٌ ودآءُ خُنوعهم مسْتَحــكم

واسْتَصْفِ أموالَ البلادِ ولا تـخَفْ ... لو مّا فأنتَ على الرعيَّةِ قَـيّمُ !

وإذا تَضَاغى الجائِعونَ فقلْ لـهمْ ... مِنْ راحتيَّ الرِّزْقُ أصبحَ يُقسمُ !

لا بأسَ فى جوعِ الرعيةِ إن يكـنْ ... في جُوعِها شِبعٌ لكم وتَنعّــمُ !

---

(١) صيلم : أي شديدة مستأصلة.

لو أنَّ بطشَكَ بالعدُوِّ كمثلِهِ ... بالشَّعبِ لم يكُ في العِدى من يُقْدِمُ

إذهبْ إلى (القوقاس) إن تلك باسلا ... والى (العراق) ففيهما ماتعْلَمُ

سَمَّوك(فاتحَ مصرَ) وَهْو تملّقٌ ... وأراك مُغْلِقِهَا وأنفُكَ يُرغَمُ !

أتكونُ فَاتِحَهَا ووارِدَ نيلِهَا ... وهي العرينةُ قد حَمَاها الضَّيغم !

*****

عارٌ علي الْعُرب الخنوعُ لِمَنْ بهِ ... حُطِم(الحطيمُ)وكادَ ينْضَبُ (زمزمُ)

فتبايعوا تحتَ العِجاجِ على الرَّدى ... حتى يُصانَ ذِمارُكم أو تَعْدِموا

ورَدُوا حِياضَ الموتِ قَبل وُرودِكم ... حوضَ الهَوانِ يُساط فيه الْعَلْقَمُ

فيرَى (جمالٌ)كيفَ عاقبةُ الّذي ... ظَلَمَ العبادَ وكيفَ يُجزى المجْرِمُ

ويزورُ مِن بعدِ الهلاكِ جهنَّماً ... فَقد التظتْ شوقًا إليه جَهنَّمُ !!

- والقصيدة: واضحة المعاني ، تفيض عذوبةً وسلاسة ، وتعجُّ بالسخرية اللاذعة الهادفة .

- والأبيات : تحمل أناتٍ شجيةً واستنكاراً شديداً يدفع بشرارة الثورة على الأتراك.

- والشاعر: ثائر حانق ، تفجرت نفسه غيظا على تقاعس العرب تجاه الظلم ، وحتى بلغ فى مخاطبتهم هذا المدى من السخرية والتهكم، فهو يهيب بهم أن يثوروا في وجه الطغاة . كما يصوّر للطاغية المستبد - جمال باشا- نهايته، ويحذره سوء العاقبة ..... وقد تحقق ماتوقعه الشاعر للطاغية المستبد.

- كما شارك الشاعر " محمد العدنانى " [١](١٩٠٣- ١٩٨١م) فى رثاء الشهداء.

بقصيدته : " ذكرى وعبرة " وفيها يقول : [٢].

هو العَسف لا يألو يُسدّده الدّهرُ	إلى مهجة المحزونِ أنهكـــة الشّرُّ
أناختْ به الآلامُ تَترَى كأنها [٣]	ذِئابُ فَلاةٍ عضَّ أحشاءَها السَّعرُ [٤]
فراحتْ تبثُّ الشام خَالِصَ وُدِّها	وما الودُّ إلا النابُ ينهشُ والظُّفــــرُ

---

(١) ولد بفلسطين وتعلم بها ، ثم انتقل إلى الجامعة الأمريكية فى بيروت حيث نال عام ١٩٢٧م شهادة ب. ع. ثم عمل مدرسا بالجامعة السورية، فجامعة حلب، انتخب عضو شرف بجمع اللغة العربية الأردنى له " دواوين شعر " وله " معجم الأخطاء الشائعة " و" معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة " أسهم فى كتب المطالعة للأطفال (سلسلة ليديبرد) الشهيرة والتى تصدرها مكتبة لبنان بالعربية (راجع معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة. للعدنانى ،الغلاف) ط مكتبة لبنان.

(٢) ديوان اللهيب . محمد العدنانى جـ/١ ط بيروت ص ١١-١٧.والقصدة فى الأصل دون شرح أو تعليق.

(٣) تترى : أى متتابعة ، ولعل الكلمة اسم لا فعل وأصله : وترى - كما فى وراث وتراث- ومما يرجع كونها اسما تنوين " تترى " فى قراءة ابن كثير وأبى عمر وأبى جعفر " فى قوله تعالى :"ثم أرسلنا رسلنا تترا" الآية / ٤٤. سورة المؤمنون . وتعرب الكلمة دائما : حالا.

(٤) فى الأصل : السعر : بضم السين ولعل الصواب ما أثبتناه أى بالفتح ، فالسعر بفتح السين : الجوع الشديد - وهو الأنسب هنا - والسُعر بضم السين : الجنون (المنجد مادة سعر).

رَماها جمالٌ بالأسى يَصْرعُ المُنىَ ... وأرْهَقَهَا ماشاءَ للغاشِمِ الضُّـرِ (١)

حَدا صِيدَها للحَتْفِ قد نُصِبَتْ له ... أراجيحُ مِن أعْوادِها نَبتَ الْفَخْـرُ !

عَلَوها ، وفجْرِ المجدِ يَفْتَرُّ غِبطةً ... بفتيتهِ الأبرارِ زانَهمُ البِشْـرُ

وما وِزْرهم إلا إباءُ نفُوسِـهم ... وأنَّهم عُرب ، فيا حبَّـذا الوِزْرُ

مَاشَوا إلى حوضِ الحِمامِ وقد بَنَوا ... ليعربَ عزًّا خابَ فى هدمهِ الدَّهـرُ

لقد ولَّت الحربُ الضَّروسُ وأقبلتْ ... جيوشٌ على هاماتِها عُقِدَ النَّصـرُ

****

وراحتْ فَرنْسا تدَّعى رأبَ صَدْعِنا ... ولم نرَ أينَ المكْرُ أو غَلَّ والغَـدْرُ

أتَانا بنوها والوِدادُ لباسُهـم ... ولكن بسمِّ الضِّغن قد أوغِر الصَّـدرُ

تَرِف لهم أعلامُ سلمٍ بجلِّـقٍ ... وأعينُهم حُمر ، وأعلامُهم حُمـرُ (٢)

ألا بئسَ مَن هشَّتْ وجُوهُهم كمـا ... تَهِشُّ لسِربِ الشَّاءِ تخْدعُها الغُبرُ (٣)

فليس يُدوِّى الرَّعدُ فى الأفْقِ ثائراً ... على الناس إلاَّ بعد ما البرقُ يفتـرُّ

تُرى هدَموا البستيلَ كيما يُشيِّدوا ... لنا مثلَه في جوفهِ يُدفَنُ الحُـرُّ

---

(١) المراد : جمال باشا السفاح التركى .

(٢) جِلِّق : موضع فى سوريا اختلف فى تعيين موقعه لعله " كسوة " جنوبى دمشق استوطنه الغساسنة وتردد إليه " يزيد بن معاوية " عسكر فيه البيزنطيون ٦٣٣-٦٣٦- أثناء الفتوحات العربية (راجع المنجد/ ٢١٦).

(٣) الأغبر : الذئب .

لقد بخسونا حقّنا وتسربلــوا ... بمكرهم، والعُرْب أعياهمُ الختـْـرُ (١)
فثاروا ، وهبّتْ فى السويداء عصبة ... تبارتْ لبذل النّفس أو يُدرِكَ الثـّأر
وفى غُوطةِ الفيحاء أصلى أشاوس ... لظَي الحرب، والأعداءُ جحفَلُهم مَجرُ
أهابَ بهم سلطانُ : خلّوا عرينَكم ... ودونَكم الأوغادَ غرّهمُ الـوفْرُ (٢)
فكم فئةٍ كُبرى تبدّد شملُـها ... ودبّ بإذنِ اللهِ فى روعِها الذُّعـرُ

*****

سَرى وسَرَوا ، والليلُ أسحمُ قاتِم ، ... إلى حومةِ الهيجا ، ، وقد نفِد الصّبرُ
كماةٌ من الإيمانِ نسْجُ دروعِهـم ... ومن ضرباتِ الحقِّ ضربُهمُ الهبْـرُ (٣)
فدارتْ على رأسِ البُغاة رحى الوغَى ... وكان نصيبَ المعتدى الآثم الدّحْـرُ
وباتَ لجيعُ الخصْم كالبحر زاخراً ... وليس لغيرِ العُربِ فى لُجه مَخْـرُ

*****

لقد هدأتْ من بعدِ عامينِ ثـورةٌ ... لَدُنْ حزبَ السّوسَ الغطارفةَ الأمرُ (٤)

---

(١) الختر : أقبح أنواع الغدر .

(٢) هو المجاهد العربى الكبير" سلطان الأطرش" .

(٣) الهبْرُ : اللّحم أو بضع لحم لاعظمَ فيها (المنجد / هبر)

(٤) السّوس الغطارفة : لعله أراد السادة الأشراف .

وآبُوا إلى الصَّحراءَ بعدَ بناتِهم   دعائمَ لاستقلالهم أُسُّها صَخْرُ
لئنْ سكتتْ في الشام ثورةُ يعربٍ   فبعدَ سكونِ الليلِ يضّطرِمُ الفَجْرُ (١)

*****

فِدىً لك يافيحاءُ كلّ ضحيّةٍ   مِن الملأِ الأعلي يُشَدُّ بها الأزرُ
لقد شِدْتِ لاستقلالنا أسَّ صَرْحِهِ   وأُرخِصَ يومَ الْختلِ من أُسدكِ العُمرُ (٢)
وَخَلَّفتِ للتاريخ أمجدَ صفحةٍ   يُقَصِّرُ عن تفسيرِها الشِّعرُ والنَّثرُ
هزأتِ بأعلاجٍ يئزُّ رَصاصُهم   ليرْجعَ يومَ النَّخبِ كِفّتهُ النُّكْرُ (٣)
وهيهاتَ أنسى غادةً وحيدها   وقد هالها التنكيلُ ، والبطشُ، والقَسرُ
فراحتْ تُثير العُرْب كى يدفعُوا الأذى   ويانِعُها في صدرِ يلْتظي الجُمْرُ
أهابتْ به والتَّنكُ يحصُدُ قومَها : (٤)   فديتُكَ ذدْ عَنْ قومِكَ الموتَ يابكرُ
أبوكَ قضى في ثورةِ الأمس ذائداً   عن الوطن الغالى فأخلده الذِكرُ
وهاهى (٥) أجنادُ العدّو تكاثرتْ   وها قد أتَى يدعوك ياولدي الوِتْرُ (٦)
فَمُتْ ولواءُ الفخرِ يغْشَاك ظلّهُ   أبوكَ له شِطرٌ، وأنتَ له شِطْرُ
لئن لم تجدْ قبرًا مُشاداً فهذهِ   حَنايا ضُلوعِ المجدِ يابنى هِىَ القبْرُ

---

(١) اضطربت النار: اشتعلتْ . والمراد : تهديدٌ باشتعال الثورة الكامنة في النفوس.

(٢) الختل : الخداع.

(٣) إشارة إلى إطلاق الفرنسيين الرصاص على عرب سوريا ، لأنهم قاموا بمظاهرة هدفها الدعاية للمخلصين الذين رشّحوا أنفسهم لعضوية البرلمان السورى .

(٤) التنك : كلمة تركية تعنى : رقائق من حديد طليت بالقصدير ، ولعل المراد مابداخلها من مواد ملتهبة تفتك بمن تُلقى عليه.

(٥) ينبغى في غير الشعر أن يقال : وها هى ذى......

(٦) لعل الشاعر أراد : الثأر .

أرِقْ دمكَ الغالي لتحريرِ سُوريــا فروحكَ لاستقلالِ أمّتِنا مَهْــرُ

إذا كان في موتي حياةٌ لموطنــي فنفسي له القربانُ إن ينفعِ الجزْرُ

سئمنا حياةَ الذُّلِ فلنُسرعِ الخُطــا إلى الرَّمسِ لن يرضى بحالتِنا حُــر

وسَارا إلى حيثُ العدوّ مُعَسْكِــرُ وفي كلّ كفٍ منهما يكْمُن الذُّعــرُ

فما لبِثا أنْ دمَّرا كُلَّ ثُكنَــةٍ وعَادا، وقد غنّى لعَوْدِهما النّصــرُ

* * *

فمَن راحَ يبغي الموتَ في ساحةِ الوغى مَضى الموتَ عنه واستطالَ به العُمْرُ!

ومَنْ طلب استقلالَه بسِوى الدِّما تَدفّق مِثلَ الغَمْرِ، أو دُونَها الغَمْرُ

وراحَ يَصُدُّ المعتدين بمِقْــوَلٍ تَعوّدَ من إيماضِ خُلبِهِ الثّغــرُ (١)

يكونُ بسَفْسافِ العِبارةِ كالــرَّحى تدورُ ولكنْ ليسَ في جوفها بُرٌّ! (٢)

نابلس: تموز ١٩٣٢

* * *

وللشاعر "محمد العدناني" أناشيد وطنية حماسية كان للشهداء منها نصيب، فهو يقول بعنوان:

"نشيد الشهيد" (٣)

غسّلوه بدموعــي وادفنوه في ضُلوعي

واذكُروا أنَّ هُجوعي فَرَّ مفجوعًا وهامــا

عن جُفوني

---

(١) الإيماض: البرق، والخُلَّب: السحاب لا مطر فيه فكأنه يخدع. يقال لمن يعد ولا ينجز: "إنما أنت كبرق خلب". والثغر: الفم (المنجد مادة/ ومض، وخلب، وثغر)، ولعله أراد الاستعاذة من كل مراوغ خادع!.

(٢) يكون بسفساف العبارة: يكون بكلامه الهابط الردىء: والذى لا طائل تحته كالرحى تدور على خواء.!

(٣) محمد العدناني. اللهيب جـ١ من ديوان العدنانيات ص ٢٤ ط المطبعة العصرية صيدا بيروت.

قد ذوى زَهر الأقَاحِ | فاكتوينا بالنُّــــواحِ
وَمضَتْ عينُ الصَّباحِ | تَذْرِفُ الدَّمع سِجَامــا

في جُنونِ

أصبحَ الجُرح ثخينـا | وهفَا القلبُ حَزينــا
ياشهيدًا كنتَ فينا | مَوْرِدًا يَشْفِي الأُواما (١)

كُلَّ حينِ

زَهر الذِّكرى سَيَبقَى | ناضِراً بالجفْنِ يُسْقَى
عافَ في دنياه رقًّا | فابتغَى الموتَ الزُّؤامَــا

في فُتونِ

إنَّ مَنْ مَاتَ شهيدًا | نال في الدنيا الخُلودا
تاركاً فينا الخُدودا | بالأسى تذكوا إضْطِرَامَا

كالأتونِ!

القدس: آب ١٩٣٨

- هذه القصيدة من مجزوء بحر الرمل (فاعلاتن فاعلاتن) في كل شطر، وقد جعلها الشاعر مقطوعات، التزم فيها بالقافية وحرف الروى إلا أنه زاد على الوزن المعهود تفعيلة (فاعلاتن) عقيب كل مقطع، مع اتحاد كل مقطوعة في الأشطر الثلاثة الأولى بحرف روى واحد، وهو نمط من الأنماط المستحدثة واستعراض لمقدرة الشاعر وبراعتـه، ودلالة على غزارة مادته وتمكنه من مفردات اللغة. ولا غرابة في ذلك، فتاريخ الشاعر العلمى و مؤلفاتُه اللغوية تشهد بذلك (٢).

---

(١) الأواما : العطاشى.

(٢) سبق التعريف بالشاعر العنتاني ص ١٦٢ .

وقد سبق أن أشرنا (ص ٣٨) إلى أن جمال باشا كان يعلم بمكانة الشهداء من أمتهم وأهليهم ، ولهذا نفى أسرهم جميعا وكل من يمت إليهم بصلة إلي بلاد الأناضول ، كما ألقى ببعضهم في السجن - قبل تنفيذ الحكم - خشية القلاقل.

* * *

- وكان ممن ناله هذا التعسف الشاعر : " وديع عقل" [١] ولاذنب له إلاأنه من أسرة الشهيد : " سعيد عقل " ، ولهذا وجدنا للشاعر " وديع عقل " مقطوعة شعرية ساخرة تصور لنا بعض ذلك التعسف وهى بعنوان:

" أتانا جمال . ياثريا "[٢]

أتانا " جمالٌ " يا ثُرَيَّا بهَولِـــه ... ففى أىّ غورٍ عنه أُخفى جمالكِ
ويا روعتى إن بلَّغوه وشايـــةً ... وبتُّ سجينًا لا أقيمُ حِيالكِ
وما رَوْعَتى من قائدِ الجيشِ غيرَ أن ... تروحي إليه تبذلينَ سُؤالكِ
وتجثينِ[٣] مِن أجلى لديهِ ضراعـةً ... ليصفحَ عن ذنْبِى ويرحمَ حَالكِ
يمينًا بربّى إن أمَتِ جنابَــه ... وغَبرّتِ من ذاك التراب نِعَالكِ
فإنى لألْقَى مهْجتى فى حِبالِـه ... ويصرمِ قلبى ياثُرَيَّا حِبالكِ
وأنكرُ ماترويِنَه عن براءتـى ... وأشرحُ آثامي وأنْفِى مَقَالكِ
بِربّكِ صُوني ماءَ وجهِكِ ريْثَمَا ... أُلاقى الرَّدى ثم افعلي مابَدَا لكِ

٢٨تشرين الثانى ١٩١٤.

---

(١) وديع بشارة عقل . ولد فى الدامور قضاء الشوف فى ١٥ شباط سنة ١٨٨٢م. أنشأ مجلة كوكب البرية ١٩١١م وجريدة الأحوال عام ١٩٢٠م ثم جريدة الوطن مع شلبى الملاط. وهو مؤسس نقابة الصحافة اللبنانية ورئيسها على دورتين - كان حربا على الطغيان العثمانى توفى عام ١٩٣٣م. (راجع الشعر والوطنية / ٥٠٦).

(٢) ديوان وديع عقل: ص ٣٠ ط بيروت (١٩٤٠م).

(٣) تجثين : تركمين.

الباب الثالث

الفصل الثانى

رثاء الشهداء فى شعر المهجر

" إذا أَلَمَّتْ بـوادى النِّـيلِ نَـازلـةٌ ...... باتتْ لها راسِياتُ الشَّام تضْطربُ
وإن دَعَا فى ثرى الأهرامِ ذُو ألــم ....أجَابه فى ذُرى لبنانَ منتـحبُ

أحمد شوقى



هناك في المهجر الجنوبي - حيث قصرت يد الأتراك عن أن تنال المناهضين لهم - استطاع الشعراء أن يعلنوا عن ثورتهم ، وأن يرثوا لإخوانهم الشهداء في قصائدهم الحماسية. فقد دأب أبو الفضل الوليد، وإيليا أبو ماضي، ورشيد سليم الخوري، وإلياس فرحات وغيرهم على استنهاض قومهم في كل مناسبة ، ومن ذلك قصيدة الشاعر : "القروي"[١] ، وهي بعنوان :

(الشهداء) ومطلعها :[٢]

خَيرُ المَطَالِعِ تَسْليمٌ علي الشُّهدا   أزكى الصلاةِ على أرواحِهم أبَدا

فلتنحني الهامُ إجلالاً وتكرُمةً   لكل حرٍ عن الأوطانِ ماتَ فِدى

- وقد أوحى هؤلاء إليه معاني قومية رائعة ، فبعد أن يناجي الشهداء بقوله :

ياأنجمَ الوطنِ الزُّهرَ التي سَطَعتْ   في جوِّ لبنانَ للشَّعبِ الضَّليلِ هُدى

قد عَلَّقتكم يدُ الجاني ملطّخةً   فقدّستْ بكمُ الأعوادَ والمسَدا

حتى غدا كلُّ حرٍ لو تصيتَ لـه   حبلَ المنونِ على هُدَّابهِ سَجَدا

بل علَّقوكم بصدرِ الأفْقِ أوسمةً   منها الثُّريَّا تلظّىَّ صدرُها حَسَدا

- يعود فيوضح لنا الفائدة القومية التي جناها العرب من هذه الحادثة ، فيكفي أنها جمعت العرب، بل إن الحبل الذي شُدَّ على أعناق الشهداء سيكون سبباً لتوحد العرب حول معتقدهم القومي ، فيقول :

أكرمْ بحبلٍ غدا للعُرْبِ رابطةً   وعقدةٍ وحّدتْ للعربِ معتقَدا !

يازائرَ الأرزِ خبِّرْ زائرَ البلدِ الـ   حرامِ أنَّا جمعنا الأرزَ والبلَدا[٣]

---

(١) الشاعر القروي هو: رشيد سليم الخوري. ولد في قرية البربارة بلبنان في ٧ من نيسان عام ١٨٨٧م . سافر عام ١٩١٣م إلى البرازيل.

(٢) ديوان القروي جـ٣ /٩٢ - ٩٥ ط٢ بيروت ١٩٨١م والشعر القومي في المهجر الجنوبي د. عزيزة مريدن ص ٢٤٤ ط/٢ دمشق ١٩٧٣م.

(٣) شجرة الأرز : شعار الجمهورية اللبنانية ورمز الخلود.

عُوجا على حُرشِ بيروتَ معًا وقِفا حيثُ النبيَّان في قبرٍ معًا رَقَدا (١)
المحْمصانيّ للتسليم مذْ بـــدَا تحتَ الرِّمال ومذْ الخازنيّ بـــدا
لو شَقَّ صدرُ الثَّرى عمَّا به انجليا قلباً يُعانقُ فى صَدرِ الثّرى كَبِدا

*****

- ثم يقرِّع أبناء لبنان ويلومهم على صمتهم وتخاذلهم فيقول :

يا للجبانة ! بلْ يا للخيانةِ مـِـنْ شعبٍ حِيالَ حِبالِ الغَاشِمِ ارْتَعَـدا
قد كان منهزمًا إذ كانَ مُزدحِمـاً إنَّ الجبانَ لمفقودٌ وإنْ وُجِـــدا
يا شعبَ لُبنانَ بَاتَ الصّبرُ مفضحةً ألاَ نَفَاذَ لصبرٍ أجرُهُ نَفَـــدا ؟
هل عُلّقوا عن بلادِ الصينِ فاضطربـتْ وأنتِ لا قامَ صِنّينٌ (٢) ولا قَعَـدا ؟
أين الحمَاسةُ يا لبنان ؟ قد بَرَدتْ كالثلجِ اوالدَّم يالبنانُ قد جَمَدا ؟
مافي حياتِك يالبنانُ من أمـلٍ حتى يغادِرَك الجيلُ الذى فَسَدا
لا يستطيعُ حِراكاً إن دعوتِ ولو قالوا الوظيفة تدعو خائنًا لعِدا !!

- ولكنه يخشى أن تُطلّ دماءُ هؤلاء أو تُهدر سدى؛ لذلك بعد أن يقرع أبناء لبنان الذين أيأسه منهم أن فَتُرت حماستُهم ، وجمُدت الدماء فى عروقهم هو يناشدُ شبابَ الأمة الذين هم عمادها وسندها أن يثأروا للشهداء قائلا.

---

(١) الحُرش : غابةُ صنوبر شمال شرق بيروت . وقد التقيتُ بعددٍ من مثقفى أهل بيروت وسألتهم شرح هذا البيت فقالوا : إن لنبى الله يونس- عليه السلام - مسجدا قديما بمنطقة (الجِيّة) . وله مقام قبلى ذلك المسجد.
ولنبى الله يعقوب - عليه السلام - منطقة معروفة تسمىٰ منطقة النبى يعقوب فى(بعلبك) وهاتان المنطقتان (الجيّة وبعلبك) تبعُدان كثيرا عن منطقة الحرش . وإننا لم نقفْ على ماذكره الشاعر من أن بمنطقة (الحُرش) أنبياء أو نبيّين دفنا فى قبر واحد!. فلعل اعتقاداً عند النصارى بذلك ، غير أنه ليس هناك مايؤيده أيضا. !

(٢) سبق التعريف بها ص١٥٧

وأنتم يا شبابَ اليوم يا سنـداً ... لأمةٍ لا ترى في غيركم سَنَـدا
ناشدتُكم بدماء الأبريـاء ألاّ ... لا تُهدرَنّ دماءُ الأبرياءِ سُـدى
تلك الجبابرةُ الأبطالُ ماولـدتْ ... للحرب أمثالَهم أمْ ولنْ تلِـدا
إن صاحبوا السيفَ لم يستكثروا عدداً ... يوم النّزال ولم يستعظموا عَـدَدا
للهِ أروعَهم كالنّار متّقِـدا ... يبغى حياضَ الرّدى بالنار مُبتردا
يُقبِّل الجرح لو لم يُغره طَمَـعٌ ... بغيره ، ماتمنّى أنه ضُمِـدا
كأنما الجرح ثغرُ المجدِ مُبتسمـاً ... والنّصلُ فيه لسانٌ بالثّناء شَـدا
يا من يَرومُ كؤوسَ العزِّ صافيـةً ... جفّتْ ينابيعُ لبنانَ فَـرِدْ بردَى
دمُ الشهادةِ يجْرى في مناهلـه ... حرّاً ، طهورًا يبلُّ الروحَ والجسَـدا
لا سِلم إنْ لم تُعِد للأرزِ نضْرتَـهُ ... والعيشَ في الأرزِ مخضلّاً كما عُهدا
ولا مَعادَ بغير الحقّ منتصـرًا ... ولاانتصارَ بغير الشّعبِ مُتّحِـدا

***

أما الشاعر المهجرى " أبو الفضل الوليد "(1) فقد عمد بأسلوبه الحماسى وألفاظه الجزلة إلى تخليد ذلك الموقف ، ورثاء إخوانه الشهداء فى قصيدته الشهيرة: (ليحيى العرب) ومنها قوله :(2).

بلادَ الشّام غادرَك الكـرامُ ... فعيشُ الحرِّ فيك إذنْ حـرامُ
لقد كثرتْ من العربِ الضّحايا ... ولم يهتزّ فى الغمدِ الحسـامُ!
ألا أيها العُربُ استقلّـوا ... مُذلّيكم فحتّام الخصـامُ ؟
أنبقى ساكتينَ بلا حـراكٍ ... وللثوراتِ حولَنا اضطـرامُ ؟

---

(1) هو إلياس عبد الله طعمه (الجندى المجهول) ولد فى قرية الحمراء (لبنان) عام ١٨٨٩م. توفى عام ١٩٤١م.

(2) ديوان أبو الفضل الوليد ط بيروت - لبنان ١٩٧٢.

هو إذن يدعو إلى الثورة منذ البداية :

فثُوروا الثورةَ الكُبرى وقُــولوا لهم إنّا نَموتُ ولا نَــنام
فهل صَار الدّم العربيُّ مــاءً ؟ نَعَم فحياتُنـا ذالٌ ولامُ !

- كما يغمز السفاكين الطُغاة فى دعوته إلي الثورة فيقول :

وحتّام المخافة مِن عُلــوج لهم ذَمٌ وليس لهم ذِمـام
يَرون محبةَ الأوطانِ جُرْمــاً به يهوى مِن الأحرارِ هامُ
لقد قَتلوا العواطفَ والمزَايــا ففي أحشائنا منها سِهامُ

- ومن المعلوم : أن بسالة الشهداء ، وشجاعة قلوبهم وعقولهم بلغت حدا كبيرا جعلتهم يذهبون إلى أعواد المشانق وهم يهزجون ويحيون العرب فى أناشيدهم الحماسية ، وكانوا عن الموت لاهين ، وللقاء ربهم مبتسلين ، فضربوا أروع الأمثال وفى هذا مافيه من إثارة قريحة (أبى الفضل) الذى يناجيهم ويصف شجاعتهم لدى الموت فيقول:

أيا صحبى الكرامَ ألا فِداكُــم لئامٌ بعدَ ماقلّ الكِـــرامُ
مَشَيتمْ باسلينَ إلي المَنايَــا وكان لكم على النّطع ابتسَامُ
ليحيى العُرْبُ قد صِحْتُم ومتمْ ! فصيحتُكم لخُطتــكم دَوامُ
فنحنُ لدى بَسَالتِكم حيَــارى وأنتمْ فوقَ ذِلّتنا عِظَــامُ
على أعوادِ مُرقيةٍ رُفِعتُــم منارات بها يُهدى الأنــامُ
وكنتم قدوةً للشّعب مُثلــى فهل يُرجى له يومًا قِيــام ؟
فَفى هذا القِصاصِ لكم حيــاة " وللظلماءِ والظُّلم انــهزامُ

- هكذا يشيد " أبو الفضل " بشجاعة الشهداء دون بادرة ضعف أمام القدر أو إستسلام للدموع .

وأخيرا يستخلص - كما فعل زميله " القروى " - العبرة القومية من هذه الحادثة ، ففى الموت حياة للشعوب ، وفى الشهداء فداء وعتق ، ولهذا هو يخاطب أرواحهم بهذه الحكمة الجليلة.

فربَّ منيةٍ كانتْ خُلُـــودًا ... وربَّ حميةٍ فيها الحِمَـــامُ
وربَّ ضحيةٍ أحيتْ شُعـــوبًا ... فكان لها انعتاقٌ واقْتحامُ
على البلوى إذنْ صبْرا جميلاً ... لنا آمالنا ولكِ السَّـــلامُ

- وللشاعر أبى الفضل على هذا النسق قصائد عدة عربية الروح كـ " صدى الأجيال " و " الصرخة الكبرى " و " الدولة العربية " وغيرها.

*****

وبموازنة بين قصيدتى : (القروى) و (أبى الفضل) المذكورتين نجد أوجه شبه :- فلا يخفى مافيهما من نفحات عربية أصيلة وواضحة تدل على أن الحادثة هذه كانت عاملا رئيسيا فى تفتح القومية العربية، وجمع شمل العـرب **فحبال المشانق** عند (القروى) : " غدت للعـرب رابطة " والعقدة التى شدت على أعناق الشهداء : " وحدت معتقد العرب " والخطاب غدا موجها لا إلى أبناء دمشق أو أبناء بيروت بل إلي العرب كافة ، والشعب الذى ينتمى إليه هؤلاء ليس مرتبطا بقطر عربى محدد بل هو أمة العرب كلها :" وأنتم يا شباب العرب يا سنداً لأمة.....".

اما أبو الفضل :

فقد كثرت عنده " من العرب الضحايا " و " على العرب أن يستذلوا مذليهم " والترك قد غدوا فى نظره " علوجا ليس لها ذمام " وفى هذه الكلمة مافيها من دليل على ماكان يجيش فى نفوس العرب من الحقد والنقمة علي الحكام الأتراك، وتأمل فى الصرخة التى أطلقها الشهداء وهم على أعواد المشانق :" ليحيى العرب"

- ومن الواضح أيضا أن القصيدتين تتضمنان دعوة صريحة واضحة إلى الثورة على السلطنة ، (فالقروى) يناشد شباب العرب أ لا يهدروا دماء ضحاياهم ، و(أبو الفضل) يحفز العرب علي الثورة حفزا قويا إذ الضحايا كثرت ، ولم تجرد السيوف بعد من أغمادها ! وإذا كان الخوف هو المانع فإلام السكوت على من يستذلونهم ؟ وهل صار الدم العربى ماء حتى يغضوا على الثأر ؟ إذن يجب أن تقوم " الثورة الكبرى " يجب أن يثور العرب ليبرهنوا على أنهم لا يسكتون على ضيم ولا ينامون على ظلم أو طغيان. [١]

وصادفنا لدى الشاعر المهجرى : " أسعد رستم [٢] " تفنناً فى هجاء الأتراك ووصف شرورهم ، كما ورد فى قصيدته:" يابني الترك لستم مسلمينا" حيث استعمل هذا الشاعر الظريف كل ما وهبه الله من خبث لاذع فى ثلب الأتراك ووصف أعمالهم الشائنة.

ثم رسم صورة فوتوغرافية لجمال باشا ، وكتب تحتها : جمال باشا جلاد الأمة السورية ! هكذا نعته ، ثم أتبع الصورة والنعت بقصيدة هجاء لاذعة ، ومطلعها: [٣].

---

(١) راجع الشعر القومي فى المهجر الجنوبى ص ٢٤٦.

(٢) صاحب ديوان الرستميات ، والرئيس السابق لتحرير جريدة المهاجر .

(٣) ديوان أسعد رستم ص ١٩- ٢١ ط جريدة النسر اليومية عام ١٩٦٢م واشنطون - نيويورك.

إنما تلك صورةُ الشّيطـــانِ ... شانقُ الأبرياءِ فى الأوطـــانِ !
إن يكنْ يُشْبه ابنَ آدمَ شكــلاً ... فَهْو وحشٌ فى هيئةِ الإنســانِ!
بجمالٍ سمّوه وهو قبيــحٌ ... قَذِرِ الكفِّ بينَنا واللسّــانِ !
كيفَ لا وهْو صاحبُ الأمرِ قبلاً ... والمشيرُ المفخَّمُ العثْمانـــي
ذو المقامِ السّامى الحميدِ المزايا ... والشجاعِ المقدامِ راعي الحصان

إلى أن يقول مشيرا إلي بعض أسماء الشهداء :

ذلك المجرمُ العظيمُ الخطَايــا ... العديمُ الشّعورِ والوجْـــدانِ!
اللئيمُ المكابرُ المتمـــادى ... الذى هان عنده شنقُ (هانـــى)
والذى أغضبَ السماءَ عليه ... بطشُه فى (الخوريِّ)وفى(المطران)
وكثيرونَ غيرُه مثل (بتـــرو) ... (ورضا)و (الشريف)و(المحْمصانـــى)
فجمال وكلُّ تركىٍ ســـواه ... قدَ تمادَى فى الظُّلمِ والعُـــدوانِ
فاعلاً ما اشمئزّتِ النّفسُ منه ... واقشعرّتِ فرائصُ الأبـــدان
قصَد البطشَ بالنّصارى عمومًا ... وخُصوصًا بالعُنصرِ المورانـــي
ومن الجَوْرِ والشّقا والرّزايــا ... مانَجا مُسْلمٌ ولا نَصْرانـــي
ولو أنّا كنّا هناكَ جميعـــًا ... لعدمنا (جبرانَ)و(الريحانـــى)
ولو أنىّ وطئتُ (صوفر)يومًا ... وَضَع الشامتُون (صِفْرًا) مكانــى!

ثم يقول:

يابني التركِ أين أرضُ جمال ... فسيجنى جَزاه ذاكَ الجانـــي
يابني التركِ سلّموه إلينـــا ... بحياةِ الحريمِ والخِصْيَـــان !
إن ظَفِرتمْ إخوانَنا بجمـــالٍ ... فعليه احكموا بلا ديــوانِ !
وإلى ساحةِ الجهادِ خــذوه ... عَلقوه هناكَ بالسّيقَـــانِ
وأعدّوا صندوقَ كازٍ وألقُـوا ... تحتَه كومةً من البـــلانِ

واحرقوه حيًا فخيرُ جـــزاء أن ترَى منه موتَه العيْنَـــانِ
وخذوا منه بَعد ذاك رمـــاداً واعرضوه فى مُتحفٍ بالقناني
وعلى كلّها ضَعُوا اسمَ جمـالٍ وصِفوه بعينِ ذا العنْـــوانِ
إنَّ هذا رمادُ جسمٍ خبيـــثٍ طهِّروا الأرضَ منه بالنِّيـرانِ !!

* * *

وقد عثرت - فى إحدى النشرات التى صدرت عام ١٩١٦م - على قصيدة طويلة بعنوان فى رثاء الشيخ (الشهيد) :" عبد الحميد الزهراوى " الحمصي أحد شهداء تلك القافلة : والقصيدة بتوقيع أديب حمصي إسمه : " جورج أطلس "[١] . وأحب أن أستعرض وإياكم بعض مقاطع من هذه القصيدة، على رغم مافي عباراتها من ضعف فنىّ ظاهر ، فقد رأيت أنها تكشف عن كثير من العواطف التى تعتلج فى النفوس آنئذ من حزن على الشهداء ، وحقد على الترك .

ويبدأ الشاعر قصيدته برثاء الشهيد وبكائه بكلام مطبوع ليس فيه من التكلف أثر ، وهو يستغرب فى الوقت ذاته أن يرى دعاة الوحدة العثمانية الدينية لايهبون لنصرة شيخ مسلم كان موضع احترامهم جميعا:

عبدَ الحميد أخى ، ما كنتُ منتظراً أنّ السَّماء بهذا الجـور تبلونـــا
تَبكيك حِمصُ وما تحويه من نـزهٍ يبكيك "ميماسُنا"، "يبكيك عاصينا"[٢]

---

(١) هو أديب وشاعر وخطيب ، هاجر من حمص إلى البرازيل ثم إلى الأرجنتين ، وقد توفى بها فى ٢٦ كانون الثانى سنة ١٩٢٦م. أصدر جريدة أسماها " الزهراوي " عام ١٩١٤ حبا فى صديقه الشهيد الزهراوي - وكانت الجريدة أسبوعية.
كما أصدر مجلة الكرمة، وقد تابعت زوجته الأديبة :" سلامة الحمصية " إصدارها حتى بعد وفاته فكانت مجلة فى المرتبة العليا فى ميدان الإصلاح النسائى . (راجع أعلام الأدب والفن جـ ١ / ١٢١- ١٢٢).

(٢) العاصى : نهر حمص ، والميماس: أحد متنزهاتها.

يبكيك مَنْ سَمعوا صوتاً جَهرتَ به   ضدَّ التفرّق فانبتَّ الإخا فينـا
أين الأُلى طالما باهوا بشدَّتهـم   وطالما احتقروا مَنْ خالف الدِّينا
لمْ لم يذودوا ولم لم يقطعوا قرنـاً   شدَّ الطُغاةُ إليه زينَ وادينـا ؟

وينتقل صاحب هذه الأبيات بعد ذلك إلي تعنيف ممثلى الحلفاء لأنهم هم الذين شَجّعوا العرب علي التمرد وأطمعوهم بالاستقلال ، ثم نفضوا أيديهم منهم وسمحوا لمراسلاتهم السرية معهم أن تقع فى أيدى الترك وتركوهم يصلبون على الجذوع دون أن يحركوا ساكنا :

ياقنصلَ العمِّ سام! لا رأيتَ هنـا   طولَ الحياة ولا لاقيتَ تطْمينـا
سلّمتَ للتُّرك أوراقاً قتلتَ بهـا   خيرَ الكرام وفرَّقتَ المُحبينـا!
ويا فرَنسا التى بالغشِّ قد جَذَبتْ   إلى المشانق جمعًا من مَواليـنـا
نفختِ فى بعضِنا روحَ الرَّجاء وإذ   قُمنا على التّرك لم تأتِي تُعينينـا
ويا حكومةَ جُورج الخامس احترمى   مافى الكتاب الذى أوحاه فادينا [١]

- وأخيرًا يلتفت الشاعر إلي مخاطبة مواطنيه العرب داعياً إياهم إلي الثورة صراحة على الترك والاعتماد على أنفسهم للتخلص من طغيانهم ، كل ذلك بعبارات فيها من السذاجة بقدر مافيها من الصراحة والعنف :

حتّام ياقومُ تدعُونا الرمـاحُ ولا   نَروى الظَّما من دم التُّركى غازينا
سُلّوا السيوفَ المواضى اليومَ واندفعوا   مثلَ السيول علي أعدى أعادينا
وَحرِّموا الترك لا تُبقوا على أحـدٍ   وَجدِّدوا ماانقضى من مجدِ ماضينا
جمالُ باشا! تهيّأ فالمـوتُ أتتْ   من كأسِ نقْمتها تُسقى المَهاجينا [٢]

(١) أى عيسى عليه السلام .
(٢) يريد : الهجناء .

والأبيات ... على علاتها تمثل ماخلّفته تلك النكبة فى النفوس من ألم حانق يمازجه السخط على المشجعين الماكرين من الحلفاء ، والحقد على الجلادين الظالمين من الأتراك[(١)]

وذهب بعض الشعراء الآخرين إلى تقريع العرب تقريعا مؤلما على سكوتهم بعد الفاجعة وتركهم دماء الشهداء تطل فلا يأخذ أحد بثأرها. من هؤلاء الشاعر المهجرى "يوسف عساف"[(٢)] الذى يقول في إحدى قصائده الحماسية التى نظمها فى تلك الفترة، مخيرا قومه بين الحياة العزيزة أو الموت :

السيف قاضٍ صارمٌ لا يشفِـقُ ... والرُّمح مولى جائرٌ لايرفِـــقُ
هذا العجاج ، فدونَـكم فسطاطَـه إن كنتـــمُ ممن يعـــيشُ ويرزقُ
أولا ،فناموا في القبور لأنكـــمْ ... موتي ، وبطن الأرضِ فيكم أخلقُ

- ثم يذكرهم بما آلوا إليه من ذلةٍ وتفرق بعد عزهم الغابر:

نبذتكمُ دارُ السلام -وأنكـرتْ ... أنسابَكم ببنى أميةَ جِلَّـــقُ
وتساءلتْ عنكم سيوفُ جدودِكم ... مشدوهةً والصافنات السُّبَّـــقُ
يا ويلَ أمّكم ؛أأنتم أمــــةٌ ... أم أنتمُ خلفُ الممالكِ ملحـــق ؟

ويذكرهم أخيرًا بمظالم الترك وبتلك المشانق التى نصبوها هنا وهناك حتى وهتْ أمراسها من كثرة الضحايا، كل ذلك بعبارات عنيفة مثيرة.

للتركِ فيكم كلَّ يوم وثبـــةٌ ... يُردى الذكورَ بها وتُسبى المرهقُ[(٣)]
كم جَندلوا من قومِكم، كم أبعَدوا ... من أهلِكم ، كم جوَّعوا ، كم أرهَقوا
تلكَ المشَانِقُ قد وهتْ أمراسُهـــا ... مما يُناط بها ومما يُشنَـــــقُ !
تلك السجونُ قد اشتكتْ جدرانُها ... مما يُساط بها ومما يُزهَـــــقُ !

---

(١) محاضرات عن شعر الحماسة / ٥٧ - ٥٨.

(٢) ولد عام ١٨٨٣م فى شبطين قضاء البترون هاجر إلى البرازيل عام ١٩٠٢ كتب فى عدة جرائد منها "المناظر" و "الجديد" و "الاتحاد اللبنانى" أنشأ "مجلة الحياة" توفى عام ١٩٥٧م (الشعر والوطنية / ٥٠٤).

(٣) المرهق : (المراهقة) من أرهق لغة فى راهق.

واهًا لأرضكم، وفيها عصبةٌ | تركتْ عليها كلَّ يوم يَنعَــقُ
لو أنصفتْ أطيارُها ما غرَّدتْ | لو أنصفتْ أشجارُها لا تُورقُ
لو أدركتْ أنهارُها ما نَالَهَــا | مِن ذلةٍ جَمُدتْ فما تَترَقْــرقُ

* * *

ولعل قصيدة نسيب عريضة[1] وموضوعها (الشعب الذى لا يفيق) هى مما نُظم فى هذه الفترة أيضا لأنها تضرب على الوتر نفسه وتحاول استثارة الشعب بطريق التبكيت المر:

كفّنوه
وادفنوه
أسكنوه
هوةَ اللحدِ العميق
واذهبوا ، لا تنْدبوه ، فهو شعبٌ
ميتٌ ليس يفيق .!

*****

هتك عرضٍ
نهب أرضٍ
شنق بعضٍ
لم تحرك غضَبه
فلماذا تذرف الدَّمع جزافاً ؟
ليس تحيا الحَطَبة!

* * * * *

(١) ولد نسيب أسعد عريضة فى حمص (١٨٨٨م) هاجر إلى أمريكا الشمالية سنة ١٩٠٥م توفى عام ١٩٤٠. (أعلام الأدب والفن - أدهم آل جندى جـ١ /١٠٥).

رب ثارٍ

رب عارٍ

رب نارٍ

حرّكتْ قلبَ الجبان

كلُّها فينَا ولكنْ لم تحركْ

ساكنًا إلا اللسان !!

- وعندى أن مثلَ هذا العنف فى الخطاب الذي ينطق بالألم الكظيم والثورة العارمة ربما كان أدل على عمق الشعور القومى عند صاحبه من الأقوال الصارخة والأهازيج الحماسية المغرورة. (١)

* * *

وهذه القصيدة من الشعر الحديث الذى يلتزم فيها صاحبها بتفعيلة من البحور المتشابهة: - كالهزج والكامل والرجز والرمل- وقد التزم الشاعر هنا بتفعيلة من بحر الرمل (فاعلاتن) يأتى بها تارة مرة واحدة وأخرى مرتين أو ثلاث مرات، دون إلتزام بعددها فى كل سطر.

إلا أنه هنا زاد جزءا من كلمة أو كلمة على وزن (فعلن) كما فى (غضبه)و(حطبه).

- ومثل هذا الوصف الحي المؤثر دليل على ماترك استشهاد هذه الكوكبة من الشبان العرب على المشانق التركية دفعة واحدة من ألم فى النفوس وعلي ماكان لموتهم من أثر فى دعم الفكرة الاستقلالية العربية فى بلاد الشام.

---

(١) محاضرات عن شعر الحماسة ص ٥٩- ٦١.

ولنختم الحديث عنهم بهذه الأبيات التى قالها بشارة الخورى [١] فى تمجيد تضحيتهم : [٢].

كتلةٌ من لـــهبٍ	فى سماء العـــربِ
ولواءٌ من هـــدًى	وشعاعٍ من نبـــي
يا شهيداً دمُـــه	قال يا أرضُ اشربــى
أنتِ إنْ لم ترتــوى	مِن دمِ الحرّ الأبـــى
ذلّ فيكِ العربــىّ	واستبدّ الأجنبـــى
(عزّتٌ) حسْبُ المنى	بسمـــةٌ من يعْــربِ [٣]
قل له إن جئتَـــه	(عزتْ) الأوطانُ بى

وبعد : فهذا الرصيد الضخم من القصائد والأناشيد التى كانت صدى لرثاء القافلة الأولى من شهداء العرب، لهى دليل على عظم مصابهم حينئذ، ومعلم على طريق ثورتهم ووحدتهم الوطنية على حد قول فؤاد الخطيب :

فالظلمُ أيقظَ منهم كلّ ذى سِنةٍ	ماكانَ ينهضُ لولا أنه ظُلمـــا
والشّنقُ عن حَنَقٍ منكم ومَوْجدةٍ	قد أرهفَ العزماتِ الشُّمَ والهِمَمَا

---

(١) لقب بالأخطل الصغير، ولد فى بيروت عام (١٨٨٥م) أصدر جريدة البرق . أسس حزب الشبيبة اللبنانية . إنتخب نقيباً للصحافة اللبنانية عام ١٩٢٥م وعضواً بالمجمع العلمى بدمشق عام ١٩٣٢م مثل لبنان فى محافل الشعر العربية توفى عام ١٩٦٨(الشعر والوطنية/٤٩٤).

(٢) محاضرات عن شعر الحماسة /٦٥ وأعلام الأدب والفن جـ١ /١٥.

(٣) عزت : هو الشهيد الدكتور الطبيب عزت الجندى.

- ولقد كان فى رثاء هؤلاء الشهداء - بهذا الكم - حياة وتخليد لأرواحهم ، وحق لهم ذلك : فهم الذين لم يرهبوا الموت، بل استقبلوه وهم يعلنون :

أن الموت فى سبيل الوطن حياة ! وأن علي جماجم الأبطال يبني الاستقلال !
وأن الهرب من الموت موت ! وأن فى الموت على الحق حياة!

فخلدوا - بذلك - أنفسهم ، كما خلدوا فى النفوس أعمق الأثر بالتقدير والإجلال !.

فالناسُ صنفان موتى فى حياتهمُ وآخرون ببطن الأرض أحياءُ!

- بهذا الأسلوب وحده تتحرر الشعوب والبقاع من السيطرة والاستعمار والاحتلال .... وتنال الحرية والكرامة والاستقلال ....

*****

" خصائص عامة "

كانت القصيدة أبرز الأنواع الأدبية التى أدّت مهمة التعبير عن الواقع السياسى وغيره حينئذ، يعقبها فى ذلك المقالة.

أما القصة والمسرحية فلم يرقيا إلى مستوى الفن ليكون لهما شأن يذكر فى الحياة الأدبية .

ولقد رأينا فى رثاء الشهداء تحولاً واضحًا فى خصائص غرض الرثاء على النحو التالى:-

١- أخذ الرثاء فى هذه الحقبة طابعا قوميا يلائم متطلبات الحياة أو الواقع، لهذا إستحال الرثاء إلى : الإشادة بمواقف الشهداء وعظماء الأمة الأوفياء.

وتفشت الروح الوطنية فى أعماق الشعوب ونضج الوعي بين أفرادها ، وظهر "شعر الوطنية أو القومية" بظهور فرض السيطرة والاستعمار ، وقد وجد الشعراء فى الشهداء والأبطال المعاصرين مادة حية وغزيرة يغذون بهـــا :

" **شعر القومية** " ، ليحل محل " **شعر الرثاء** " الذاتي القديم.

٢- **وإن أول مايبدو** للباحث خلال القصائد والمقطوعات المذكورة أن هذا الحدث الذى شهدته ساحاتُ دمشق وبيروت فى ذلك اليوم الرهيب لم يكن حدثا محليًا انحصر صداه فى هذين البلدين فحسب بل كان مصاب العرب قاطبة أثار قرائح الشعراء، إثارةً حادة فتناوله من فى العراق ومن فى الشام ، واهتزَّ له من كان فى مهجره الأقصى علي حدّ قول أمير الشعراء:

إذا أَلَمَّتْ بوادى النيلِ نازلـــةٌ	باتتْ لها راسياتُ الشَّام تضطربُ
وإن دَعا فى ثَرى الأهرامِ ذُو ألمٍ	أجابَه فى ذَرى لبنانَ مُنْتَـحِبُ

والظاهرة الأخرى: أن من رَثوا هذه القافلة من شهداء العرب حرصوا علي إبراز عظم التضحية التى قدموها، وروعة البطولة التى تحلوا بها، ولذلك لم تعل فى معظم قصائدهم رنة الحزن، ولم تهلل قوافيها بدموع التضجع بقدر مادوت صيحة اليأس وصرخة الثأر! (١)

٣- ولقد تجلت في هذه المراثى سمة فنية هى :

صدق التعبير ، وسهولته ووضوح معناه . كما فى قول جميل الزهاوى وهو يخاطب جمال باشا :

جمال لأنت القبح سموك ضده	وثوبك إذ أرفلت فيه ذليل
رويدك لا تغتر بالدهر إن صفا	ولا تأمن الأيام فهى تدول
وراءك لا تقرب رواسى يعرب	فقرب رواسيها عليك وبيل !

---

(١) راجع الاتجاه القومى فى الشعر العربى الحديث ص ٤١٩ ومابعدها.

٤- كما تجلى فى تلك المراثى : التصوير الفني الحركي ، مع دقته وإحاطته ففى المشهد الرهيب - شنق الشهداء - تتداعى فيه الصور البصرية والحركية تداعيًا فنيًا يؤثر فى السامعين ولنتأمل ذلك الترتيب الحركى فى أبيات:

" رشيد الخورى" :

قد علّقتكم يدُ الجاني ملطخةً ... فقدّستْ بكم الأعوادَ والمسَدا

حتى غدا كلُّ حرٍ لو نصبتَ لـه ... حبل المنونِ على هُدّابهِ سَجَدا

بل علّقوكم بصدرِ الأفق أو سمةً ... منها الثُّريا تلظّى صدرُها حَسَدا !

ثم عند خليل مردم بك :

فلو تراهم على الأعوادِ ماثلةً ... أجسامُهم لفقدتَ الصّبرَ والجَلَدا

كأن إطراقَهم فى طولِ صمتهمِ ... كمن يُراجع معنىً رائعاً شَردا

كأن إغضاءَهم إغضاءُ ذى كرمٍ ... عن الإساءةِ خُلُقاً طاهراً وهُدَى

ثم فى قول الزهاوى :

وماهى إلا رجفةٌ تَعْتَرِى الفتى ... مفاجأةً والرأسُ منه يميـــلُ

- وهكذا يتعدد التصوير الفنى الحركي - وهذا قليل من كثير سبق ذكره .

٥- ونرى فى رثاء الشهداء تلك المطالع ذات النبرة الخطابية الحماسية ، كما فى مطلع الزهاوى :

على كلّ عودٍ صاحبٌ وخليـــلُ ... وفى كلّ بيتٍ رنّةٌ وعَويـــلُ

وفي كلِ عينٍ عَبْرةٌ مهراقَـــةٌ ... وفي كلّ قلبٍ حسْرةٌ وغليـــلُ

كأنَّ الجذوعَ القائماتِ منابـــرٌ ... عَلَتْ خطباءُ عُودهنَّ تقــولُ

وكما في " نشيد الشهيد " للعدناني :

غسّلوه بدموعي واد فنوه في ضلوعي
واذكروا أنّ هجوعي قرّ مفجوعًا وهاما
عن جفوني

ومطلع " الشهداء " للزركلي :"

نعي نادبُ العُرْبِ شبّانَها فجدّد بالنّعي أحزانَها
فمنْ للمدامع ألا تفيضَ وألا توالي هتّانَها
ومن للأضالع ألا تذوبَ وقد نامت الروحُ جثمانَها

٦- كما أن معظم القصائد تفتتح بنداء أو استفهام أو بقسم أو بتحية سلام.كما في نداء " حليم دموس " لساحة الشهداء ، واستفهامه عن ذنب الأبرياء:

حدثيني يا ساحةَ الشهداءِ عن كرامٍ بواسلٍ أوفياء
من بريءٍ ذاقَ المظالم غدرا عذّبوه نفياً وجوعًا وأسرا
كم سجينٍ لم يعص في الحقّ ربّه كم سجينٍ قضى ولم يدرِ ذنبه

وكما في تحية الشهداء للقروي :

خيرُ المطالع تسليمٌ على الشُّهدا أزكى الصلاةِ على أرواحهم أبَدَا
فلتنحنِ الهام إجلالاً وتكرُمه لكل حرّ عن الأوطانِ ماتَ فِدى

والقسم في قصيدة " جزار سوريا" لأمين ناصر :

شعبٌ يضام وغاشِمٌ لا يَرْحَم ونوائبُ تَغشى الوليدَ فيهرمُ
واللهِ لو ناب الذى قدَنا بكَم بعضَ السوائمِ لا نثنتْ تتظلّم!

٧- والواقع أن كثيرا من هذا الشعر الثائر الذى كان يحض على الانتفاضة في وجه الترك مبثوث في القصائد التى قيلت لرثائهم ، والأمثلة كثيرة وواضحة

منها قول الشاعر القروى :

يا شعبَ لبنانَ باتَ الصّبر مفضحةً ... ألاَ نفاذَ لصبرٍ أجرُهُ نفَـــدا ؟
أينَ الحماسةُ؟ يا لبنانُ قد بـــرَدَتْ ... كالثّلجِ والدّم يالبنانُ قد جَمَـدا !

وقول أمين ناصر الدين :

شعبٌ يُضام وغاشم لا يرحَـــمُ ... ونوائبُ تغشَى الوليدَ فَيهْـــرمُ
ودمٌ يُطلّ علي الثّرى ومشانِـقُ ... بحبالها وُصِل القضاءُ المبـــرمُ
واللهِ لوناب الذى قد نابكـــم ... بعضَ السوائم لا نثنتْ تَتَظَلــمُ
إن كنتمُ دونَ النساءِ شجاعـــةً ... فَدَعوا النسا يفعلن ماهو أحزم !!

٨- وفى بعض قصائد الرثاء التى عرضنا لها : يلاحظ الباحث طول نفس الشاعر على أن تلك الميزة تتفاوت بين شاعر وآخر ، أى أنها لا تمثل اتجاهاً عاماً- رغم كثرتها - وممن عرف بطول النفس في رثاء الشهداء : جميل الزهاوى ، وحليم دموس ، وفارس الخورى ، ورشيد الخورى ، ومحمد العدناني .

٩- وقدحافظ الشعراء على الأسلوب التقليدى بلغته الفصحى فجاءت القصائد علي الأبحر الشعرية التقليدية التى تعتمد على وحدة البيت لا القصيدة ، وعلى تعدد الموضوع حتى عند شعراء المهجر المذكورين ، لم نجد تجديدًا فى أوزانهم ولا فى قوافيهم إلا ماندر كقصيدة - نسيب عريضة - مع محافظتها على التفعيلة الواحدة - كما سبق فى موضعه -

والخلاصة : أن أسلوب الشعر فى هذه المرحلة عامة قد مثل بعض جوانب النزعة **الكلاسيكية الجديدة** حين استخدم الشكل القديم للتعبير عن مضمون واقعى جديد.

وكان من أبرز سمات الأسلوب فى هذه المرحلة الوضوح والأداء المباشر،وكان هذا الوضوح سطحيا يتمثل فى :

- وضوح الألفاظ والتراكيب وترادفها فى معظمها.
- تكرار المعنى فى صور متعـــددة.
- الاتكاء على التعابير اللغوية الموروثة.

ولعل فى هذا التقليد أو المحافظة نزوعا قوميا جادا إلى التراث العميق الذى هو أصل حضارة العرب ومجدهم، ودليل ماهيتهم العربية. !

وبهـذا يتـضح لنا الشكل الفنى أو أهم الخـصـائص لقـصـيـدة الرثاء العربيـــة-حينئذ - .

* * *

خـــاتمـــة

- تظل الحقبة الغابرة منذ تولى السلطان عبد الحميد الثاني حتى الحرب العالمية الأولي ينبوعا ثرا لأقلام الكتاب على اختلاف مناحيهم ، فقد ضعفت الدولة العثمانية ، واستبد حاكمها ، واشرأبت أعناق الطامعين من حولها ، وتعددت التنظيمات السياسية ، وتضاربت النزعات الأدبية ....على نحو ما أشرت إليه بالفصل الأول من الباب الأول.

- وكان على الأحرار الغيورين (١) أن يتصدوا للطامعين ، وأن ينادوا بالسيادة والاستقلال ، وإن كلفهم ذلك حياتهم التى قدموها رخيصة فى سبيل تحرير وطنهم العربى .

- ففى مؤتمر باريس الذى رأسه الشهيد الزهراوى كان الأمل والانطلاق معا حيث أعلن الشباب الأحرار عما فى صدورهم من قرارات وطنية ضاق بها صدر الحاكم المستبد " جمال باشا " الذى تحمل وزر إعدام قوافل من الشهداء بلغت نحو اثنين وثلاثين شهيدا ، وقد آثر إعدامهم فى يوم واحد هو : السادس من إيار من عامى ١٩١٥، ١٩١٦م ليكون يوما تاريخيا ، وليجعل من الشهداء عبرة أمام المناهضين لحكمه!.

وهيهات أن تكمم الأفواه ! فقد تعالت أصوات المنددين بالظلم والوحشية العظمى ، وانطلقت الثورة العربية الكبرى ، وماتت الأيدى القاتلة من حيث أرادت الحياة وبقيت حياة الأبرياء ! على نحو ما عرضـــت له بالفصل الثانى من الباب الأول.

---

(١) أجاز بعضُ النحاة هذا الجمع بينما رأى جمهور النحاة جمع غيور على (غُيُرٌ).

- **أما في الباب الثاني** : فقد عرضت لترجمة الشهداء الأدباء الذين عثرت - بعد جهد - على بعض آثارهم الأدبية وقد رتبت ترجمتهم حسب ترتيب إعدامهم في فصلين : الفصل الأول : عرضت فيه لبعض شهداء دمشق. وفي الفصل الآخر : عرضت فيه لبعض شهداء بيروت .

- وكان لإعدام هذه الكوكبة من الشبان العرب علي مشانق الترك دفعة واحدة أثر بارز في تأسيس أركان القومية العربية : فقد اتخذ العرب من تكريم ذكراهم دعما لإنتشار **التيار القومي** ورسوخه ، وراح الشعراء ينشدون القصائد التي حملت بذور الإنتفاضة ضد السيطرة التركية منتهزين كل مناسبة قومية لتجديد ذكرى الشهداء وتأثيرها في نفوس الجماهير ؛ ولهذا عقدت.

ولهذا عقدتُ الباب الثالث : لرثاء هؤلاء الشهداء، في فصلين:

الأول : في رثاء شعراء المشرق . **والآخــــر** : في رثاء شعراء المهجر ثم ختمت الباب بخصائص عامة لشعر الرثاء في تلك الحقبة، أوضحت فيها كيف تحول غرض الرثاء التقليدي إلي الرثاء الموضوعي ، وكيف تبلور معنى **الرثاء القوميّ** : أو **الشعر الوطني** الذي حمل رسالته بدأ ب وكان شوكة واخذة في وجه الطغاة ، يؤجج الصدور ، ويحمس الشعور ، ويثير الحمية ، ويحث على الانتقام .. كل ذلك من خلال رثائه للشهداء.

- ولقد كان في شعر الرثاء - بهذا الكم - خيرُ دليل على ماقدّمه هؤلاء الشهداء الأول لأدبنا الحديث من أسمى معاني البطولة ، مما كان خير زاد لجيلنا المتصاعد؛ ولهذا فقد دفعني الوفاء إلى الكتابة عنهم وجمع ما استطعت من أخبارهم وآثارهم ، فتتبعت المصادر التي هي مظان الفائدة بيد أني لم أحظ بكامل ما أملتُ؛ **نظراً لتفرّقها وصعوبةِ الحصول عليها حتى في موطن الشهداء: (بيروت ودمشق)**

- ولهذا أيضا فإن القلم ليشرئبّ متطلعًا إلي عودة - في بحث قادم ليشمل كاملَ آثارهم ، وليشمل بقية إخوانهم الشهداء في كل الأقطار العربية، راجيا أن أكون قد أضفت جديدا لتاريخ أدبنا العربي والإسلامي فالكتاب في مجمله - حوى آثارا أدبية قد انطوت وعزّت على طالبها .

*****

والجديرُ بالذكر : أن معظم الأشعار التي جمعتها بالبابين : الثاني والثالث غير مشروحة وغير محققة في أصولها إلا ماندر ، ولهذا قمت بضبط معظم الأبيات وشرح بعض الكلمات التي رأيت غموضها نسبيًا .بما يوضح مراد الشاعر في نظري .

- كما رأيت - من الأمانة العلمية- التنبيه إلى بعض السقطات العروضية الكثيرة المتفرقة ، فأشرت إلى كثير منها بهوامش صفحات البابين الأخيرين ولعلها كانت نتيجة الرواية أو النقل ، وهي لا تخفى على فِطنة القارىء الكريم ،،،

والله أسأل أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم،،

والحمد لله رب العالمين ،،

المؤلف

اهــم المراجــع

١- الاتجاهات الأدبية فى العالم العربى الحديث د. أنيس المقدسى ط/٥ - دار العلم بيروت سنة ١٩٧٣م.

٢- الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر د. محمد محمد حسين ط/ ٣ دار النهضة بيروت ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

٣- الاتجاه القومى فى الشعر العربى الحديث د. عمر الدقاق ط دار الشرق العربى بيروت سنة ١٩٨٥م.

٤- أدباء السجون . عبد العزيز الحلفي ط دار الكاتب العربي .

٥- الأدب العربى المعاصر فى سوريا ١٨٥٠ - ١٩٥٠ . سامى الكيالى ط/٢ دار المعارف مصر سنة ١٩٦٨م.

٦- الأدب العصرى فى العراق . رفائيل بطى . قسم المنظوم ط مصر (١٣٤١هـ - ١٩٢٣م) .

٧- الأدب والقومية فى سوريا . سامى الكيالى ط معهد البحوث والدراسات العربية سنة ١٩٦٩م.

٨- الأعلام جـ٣ ، ٤، ٥ . خير الدين الزركلى ط/٣ بيروت سنة ١٩٦٩م.

٩- أعلام الجيل الأول من شعراء العربية فى القرن العشرين د. أنيس المقدسى ط/٢ بيروت سنة ١٩٨٠م.

١٠- أعلام الفن والأدب جـ١ ، جـ٢ . أدهم آل جندى ط دمشق سنة ١٩٥٤.

* * *

١١- بيروت ولبنان فى عهد آل عثمان . يوسف الحكيم ط/٢ دار النهار بيروت سنة ١٩٨٠م.

***

١٢- جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن . صالح مسعود أبو بصير ط/٣ دار الفتح بيروت (١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م).

* * *

١٣- الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها د. عبد العزيز محمد الشناوى جـ١ ط القاهرة سنة ١٩٨٠م.

١٤- ديوان أبو الفضل الوليد ط دار الثقافة بيروت سنة ١٩٧٢م.

١٥- ديوان أحمد شوقى جـ١ ط مصر سنة ١٩٧٠م.

١٦- ديوان أسعد رستم ط جريدة النسر اليومية واشنطون نيويورك سنة ١٩٦٢م.

١٧- ديوان إيليا أبو ماضى - شاعر المهجر الأكبر - ط دار العودة بيروت .

١٨- ديوان جميل صدقى الزهاوى ط/٢ بيروت سنة ١٩٧٩م.

١٩- ديوان حافظ إبراهيم جـ١ ط دار العودة بيروت.

٢٠- ديوان حليم دموس جـ١ ط/٢ دار الأيتام السورية بالقدس ١٩٢٠م.

٢١- ديوان الحماسة لأبى تمام تحقيق د/ عبد الله عسيلان جـ١ ط جامعة الإمام محمد بن سعود ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

٢٢- ديوان خير الدين الزركلى ط/١ بيروت سنة ١٩٨٠م.

٢٣- ديوان الشاعر القروى . رشيد سليم الخورى . بقلم إيليا الحاوى - ط/٢ بيروت سنة ١٩٨١م.

٢٤- ديوان الشهيد عمر حمد - ط طبارة بيروت سنة ١٩٢٩م.

٢٥- ديوان العدنانيات . محمد العدنانى ط - بيروت .

٢٦- ديوان وديع عقل ط بيروت كانون الثانى سنة ١٩٤٠ .

***

٢٧- رباعيات وتأملات .مجموعة شعرية . حليم دموس جـ٢ ط/١ دار الإنصاف بيروت سنة ١٩٥٣م.

* * *

٢٨- الشعر الحديث فى الإقليم السورى د. سامى الدهان . ط معهد الدراسات العربية جامعة الدول العربية سنة ١٩٦٠م.

٢٩- الشعر العراقى الحديث والتيارات السياسية والاجتماعية .د/ يوسف عز الدين ط دار المعارف -مصر سنة ١٩٧٧.

٣٠- الشعر القومى فى المهجر الجنوبى . د. عزيزة مريدن ط/٢ دار الفكر دمشق سنة ١٩٧٣م.

٣١- الشعر والوطنية فى لبنان والبلاد العربية من مطلع النهضة إلى عام ١٩٣٩م. وليم الخازن ط بيروت ١٩٧٩م.

٣٢- شهداء الحرب العالمية الكبرى . أدهم آل جندى ط. دار العروبة دمشق سنة ١٩٦٠م.

* * *

٣٣- فتح الرحمن لطالب آيات القرآن . الشهيد أحمد طبارة. المطبعة الأهلية بيروت سنة ١٣٢٣م.

٣٤- فى الأدب الحديث د. عمر الدسوقى ط/٧ دار الكتاب العربى بيروت .

٣٥- فى الأدب الحديث د. عمر الدسوقى ط/٧ دار الفكر العربى .

* * *

٣٦- محاضرات عن شعر الحماسة والعروبة في بلاد الشام من أواخر القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين د. أمجد الطرابلسي ط معهد الدراسات العربية العالية سنة ١٩٥٦م.

٣٧- محاضرات عن القومية العربية تاريخها وقوامها ومراميها . مصطفى الشهابي ط معهد الدراسات العربية العالية جامعة الدول االعربية سنة ١٩٥١م.

٣٨- مختارات المفيد . عبد الغني العريسي - تقديم ناجي علوش ط /١ دار الطليعة بيروت .

٣٩- مذكرات السلطان عبد الحميد د. محمد حرب عبد الحميد ط - دار اللأنصار بالقاهرة عام ١٩٧٨م .

٤٠- معجم البلدان . ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي جـ٢ ، ٤ط بيروت.

٤١- المنجد في اللغة والأعلام ط/١٧ - دار المشرق ببيروت عام ١٩٧٣م.

٤٢- ميزان الذهب في صناعة شعر العرب . السيد أحمد الهاشمي ط ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

* * *

٤٣- لبنان في التاريخ منذ أقدم العصور التاريخية إلي عصرنا الحاضر . د. فيليب حتى ط بيروت سنة ١٩٥٩م.

٤٤- لسان العرب المحيط لابن منظور - إعداد يوسف خياط جـ٢ ط بيروت .

* * *

فهـــــرس

الباب الثالث

" رثاء الأدباء الشهداء (عرض وتحليل) "

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
١٩٩١/٥٥٠٣
الترقيم الدولى I.S.B.D.
977-00-1768-X